

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة التفسير



الحسرو وليه الفروية

في الفقرة الأبرم

بحث مقدم لنيل الشهادة العالمية { الماجستير }

لعماد الطالبي:

فرقان الدين مهربان الهندي

بإشراف الدكتور:

عبد العزيز الدردير موسى

١٤٠٤ ————— ١٤٠٥ هـ

١٩٨٤ ————— ١٩٨٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

التمهید

الحمد لله ربّ العالمین ، والعاقبة للمتقین .

قال الله عزّ و جیلّ :

" لقد أنزلنا إلیکم کتابا فیه ذکركم أَقْلًا تَعْقِلُونَ " . (١)

" أَقْلًا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " . (٢)

" وهذا کتاب أنزلناه مبارک فاتبعوه و اتقوا لعلکم

تُرْحَمُونَ " . (٣)

" فاستمسک بالذی أوحی إلیک إنک علی صراط مستقیم و إنّه

لَذِکْرٌ لَّکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْأَلُونَ " . (٤)

" إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ

سمیعا بصیرا إِنَّا هدیناه السبیل إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا " . (٥)

" إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ

یحملنها وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ " الآیة . (٦)

(١) سورة الأنبياء - الآیة : ١٠ .

(٢) سورة محمد - الآیة : ٢٤ .

(٣) سورة الأنعام - الآیة : ١٥٥ .

(٤) سورة الزخرف - الآیة : ٤٣ - ٤٤ .

(٥) سورة الإنسان - الآیة : ٢ - ٣ .

(٦) سورة الأحزاب - الآیة : ٧٢ .

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " . (١)

" قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ

وَالْبغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " . (٢)

" قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ " . (٣)

" قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي

وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ " . (٤)

" اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ

أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ " . (٥)

" وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ، فَإِن تَوَلَّيْتُمْ

فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ " . (٦)

" فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ " . (٧)

" فَو رَبِّكَ لِنَسْأَلَنَّهِمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ " . (٨)

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٣٣ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٤) سورة يوسف ، الآية : ١٠٨ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية : ٣ .

(٦) سورة المائدة ، الآية : ٩٢ .

(٧) سورة الأعراف ، الآية : ٦ .

(٨) سورة الحجر ، الآية : ٩٢ - ٩٣ .

"قال رسول الله إمام المرسلين و خاتم النبيين ، صلى الله عليه و سلم :

" و قد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به - كتاب الله - ، و أنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ ، قالوا : نشهد أنك قد بلغت و نصحت ، فقال : اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات " . (١)
وقال صلى الله عليه وسلم :

" تركت فيكم أمرين ، لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما ، كتاب الله و سنة نبيه " . (٢)
و قال صلى الله عليه وسلم :

" القرآن حجة لك أو عليك " . (٣)
و قال صلى الله عليه وسلم :

" كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيّته " الحديث متفق عليه . (٤)

و قال صلى الله عليه وسلم :

" فإنّ الله سائلهم عما استرعاهم " الحديث . متفق عليه . (٥)

(١) صحيح مسلم ، الحج ، رقم الحديث المسلسل : ١٢١٨ .

(٢) مؤطا الإمام مالك ، كتاب الجامع رقم الحديث : ١٦١٩ ص / ٥٠٢ ،

(٣) صحيح مسلم ، الطهارة ، رقم الحديث : ٢٢٣

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، الجمعة رقم الحديث : ٨٥٢ .

و صحيح مسلم ، الإمارة ، رقم الحديث : ١٨٢٩ .

(٥) صحيح البخاري ، الأنبياء ، رقم الحديث : ٣٢٦٨ و

صحيح مسلم ، الإمارة ، رقم الحديث : ١٨٤٢ .

والأخوة وسعادة الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿ الرّ كتاب أنزلناه اليك لتخرج
الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، الله الذى له
ما فى السموات وما فى الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد ، الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ، ويبغونها عوجاً أولئك فى ضلال
بعيد ﴾ (١) .

﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا
أولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون ﴾ (٢) .

﴿ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ، وهدى
ورحمة للمؤمنين ﴾ (٣) .

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (٤)

٢ = أرسل خاتم النبيين بهذا القرآن ليهتدى به جميع الناس الى ربهم . . .
م . . . ويعبدوه وحده .

ان الله عز وجل أرسل رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين
بهذا القرآن العظيم ليهتدى به جميع الناس الى ربهم المنعم ، ويعبدوه وحده
لا شريك له باتباع كتابه وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - كما قال تعالى ﴿ شهر
رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ (٥) .

وقد بين الله عز وجل فيه ما يجب على هذا الانسان المخلوق المكرم المختار
المكلف المسؤول نحو ربه ، الخالق الحاكم السائل المالك من توحيد عبادته سبحانه

(١) سورة ابراهيم : الآية ١ - ٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٧ ، والطاغوت : هو كل ما يعبد من دون الله سبحانه
من الشيطان والكاهن والأوثان وغيرها .

(٣) سورة يونس : الآية ٥٧ . (٤) سورة النحل : الآية ٨٩ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٨٥ ، ان القرآن المجيد قد أنزل لهداية الناس =

واتباع رسوله ، وما يجب عليه نحو اخوانه من أعضاء أسرته وأعضاء مجتمعه ونحو دينه وأمته ، وأمره بتدبر هذا القرآن الذى فيه ذكره وبيان حقيقته ومسؤولياته .
وأوجب عليه الايمان بكل ما جاء فيه وفي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما جاء ، كما أوجب اتباع ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ، أى السنة دون غيره ، فقال تعالى ﴿ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾ (١)
﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الألباب ﴾ (٢)
﴿ كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾ (٣) .

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (٤) ، ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ، ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ (٥) .

﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ، أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين ، أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ، فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها ، سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴾ (٦) .

﴿ قل اني هداني ربي الى صراط مستقيم ، دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ،

=====

جميعا ولكن اذا كان المتقون الساعون في الاهتداء الى ربهم هم المنتفعون به ، قال تعالى ﴿ ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ﴾ البقرة : ٢٥١
(١) سورة الأنبياء : الآية ١٠ . (٢) سورة ابراهيم : الآية ٥٢ .
(٣) سورة ص : الآية ٢٩ . (٤) سورة محمد : الآية ٢٤ .
(٥) سورة الكهف : الآية ١ - ٤ ، قيما : أى مستقيما لا اختلاف فيه .
(٦) سورة الأنعام : الآية ١٥٥ - ١٥٧ ، ﴿ وصدف عنها ﴾ أى أعرض عنها ،
وصرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال ، فلهذا يعذبه الله سوء العذاب أى شديد العقاب .

عليه وسلم - كتاب الله القرآن أتم تبليغ ، وشرحه وفسره بالقول والعمل ، وبين للناس كل منازل اليهم من ربهم الرحيم من القرآن والحكمة ، أى السنة ، وكل ما يحتاجون اليه من شؤون دينهم ومصالح دنياهم العامة .

٤ = اكمال الله عز وجل دين المسلمين الاسلام يوم عرفة في حجة الوداع . . .

. . . وشهادة المسلمين بتبليغ رسول الله عليه السلام بوجه أكمل .

ولقد شهد المسلمون شهادة صدق يوم عرفة في حجة الوداع حينما قال لهم

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ، ان اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت الأمة ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس (أى يشير بها اليهم) : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات (١) ، وهناك أنزل الله عز وجل قوله سبحانه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ (٢) .

وقال ابن جرير في تفسيرها : قال بعض أهل التأويل : يعني جل ثناؤه بقوله هذا : اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم ، وحد ودى وأمرى اياكم ونهيبى وحلالى وحرامى وتنزيلى من ذلك ما أنزلت منه في كتابى ، وتبينى ما بينت لكم منه بوحىي على لسان رسولى ، والأدلة التي نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة

=====

(١) صحيح مسلم : الحج رقم الحديث ١٢١٨ ، ج ٢ / ٨٩٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣ ، وروى الامام البخارى عن طارق بن شهاب قالت اليهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : انكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً ، فقال عمر رضي الله عنه : اني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت ، وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت : يوم عرفة وأنا والله بعرفة . (صحيح البخارى : كتاب التفسير ، رقم الحديث ٤٣٣٠ ، ج ٤

٠ (١٦٨٣ /

من أمر دينكم فأتتمت لكم جميع ذلك فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم ، وكان ذلك في يوم عرفة عام حج النبي حجة الوداع .

وقالوا : لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من الفرائض ولا تحليل شيء ولا تحريمه ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعش بعد نزول هذه الآية إلا احدى وثمانين ليلة .

- ثم روى ابن جرير عن ابن عباس قوله ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ وهو الاسلام قال : أخبر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة أبدا ، وقد أتمه الله تعالى فلا ينقصه أبدا ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا (١) .

- وروى ابن ماجه عن أبي الدرداء قال : خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن نذكر الفقر ونتخوفه فقال : آلفقر تخافون ؟ والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا صبا ، حتى لا يزيغ قلب أحدكم ازاعة الاهيه ، وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء ، قال أبو الدرداء : صدق والله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء (٢) .

ه = جميع العباد مأمورون باتباع كل ما أنزل الله على رسوله :

ان النبي والأمة جميعا مأمورون باتباع كل ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والسنة ، لأن الرسول ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى .

=====

(١) تفسير ابن جرير الطبري المجلد الرابع ج ٦ / ٧٩ ط البابي الحلبي بمصر .

(٢) سنن ابن ماجه : المقدمة ، رقم الحديث ه ، ج ١ / ٤ .

هذا هو دين الله الاسلام الذى لا يقبل الله غيره ، وهذا هو كتابه القرآن الأمين على كل كتاب (١) ، سماوى سابق الهادى للتي هي أقوم أى لأوضح السبل وأعدل النظم ، وهذا هو رسول الله خاتم النبيين مبلغ القرآن ومبينه الذى أرسله الله رحمة للعالمين * وما أرسلناك الا رحمة للعالمين * (٢) .

وهذه هي دعوته الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وهذه هي مسؤوليته العباد نحو ربهم الذى خلقهم من العدم بفضله وحكمته وأكرمهم وأنعم عليهم ، وحملهم مسؤولية أمانة التكليف بطاعته باتباع ما أنزل على رسوله ، فانه تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، فيبعث العباد ويسألهم عما كلفهم به ويحاسبهم عن أعمالهم في الدنيا ويجازيهم بالعدل والفضل * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * (٣) .

فان أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وسبيل اتباعهما هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

=====

بالعروة الوثقى لانقسام لها * ، أى من كفر بما يعبد من غير الله كالشيطان والكاهن والأوثان وآمن بالله فقد تمسك من الدين بأقوى سبب النجاة والفلاح .

* لانقسام لها * أى لانقطاع لها ولا زوال .

(١) روى الامام البخارى معلقا عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - ترجمان القرآن في تفسير كلمة * مهيمن * من قوله تعالى * وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه * المائدة : الآية ٤٨ : انه قال : المهيمن : الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله . (صحيح البخارى : فضائل القرآن ، ج ٤ / ١٩٠٥) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٣) سورة الزلزلة : الآية ٧ و ٨ .

١٢ = فتوبوا أيها المسلمون الى ربكم واتبعوا كتابه القرآن وسنة نبيه اتباعا كاملا . .

. . ليرضى عنكم وينصركم ويغفر لكم :

ان المسلمين الأولين اذ آمنوا بكتاب الله وبرسوله - صلى الله عليه وسلم -

واتبعوهما اتباعا كاملا هداهم الله ونصرهم وأعزهم ، ومنذ أن بُعد معظم المسلمين

عن كتاب ربهم وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وأهملوا مسؤولياتهم نحو ربهم

ودينهم ، وأمتهم وغرتهم الحياة الدنيا وزين لهم الشيطان تقليد أعداء الاسلام

أصابهم الوهن والذل واليأس القاتل ، وتفرقوا وضعفوا وتخلفوا ، ولا علاج لهذا

ولا سبيل الى النجاة الا أن نرجع الى ربنا الكريم ونتوب اليه توبة نصوحا ، ونعبده

وحده لا شريك له ولا نخضع الا له تعالى ، ونتبع كتابه القرآن ورسوله خاتم النبيين

اتباعا كاملا وندعو الناس الى اتباعهما ونقوم بكل ما يجب علينا من المسؤوليات ليرضى

عنا ربنا الرحمن ، وينصرنا ويعزنا ، لأنه تعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده

الخير إنه على كل شيء قدير .

هذا هو سبيل النجاة الوحيد من كل مانحن فيه من المشكلات والمحن ،

لأن القرآن الكريم هو الصراط المستقيم وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه

قال تعالى ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ،

والله غفور رحيم ﴾ (١) ، والا لولم نتبع القرآن والرسول اتباعا كاملا ولم نبين

للناس ما في القرآن والسنة من الواجبات عليهم ونعرض عنهما ، ونقبل على الدنيا

فان هذا القرآن يكون حجة علينا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : الطهور

شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسيحان الله والحمد لله تملآن ما بين

السموات والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك

أو عليك (٢) .

=====

(١) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٢) صحيح مسلم : الطهارة ، رقم الحديث ٢٢٣ ، ٢٠٣/١ .

وهذا ليس بالتعليم فقط ، بل بالقدوة الحسنة والتربية والتطبيق ، وليس في فصولها فحسب ، بل في كل مكان منها ، فهذه الجامعة الاسلامية بسدأت عاصمة الاسلام تعود الى سيرتها الأولى ، في تعليم علوم الكتاب والسنة على المنهج القويم وتربية شباب المسلمين تربية اسلامية على طريقة السلف الصالح ، ونشر الدعوة الاسلامية في أنحاء العالم ، واناة الطريق للمسلمين ودعوتهم الى العودة الى الاسلام الصحيح كما نزل ، وذلك بتمسك الكتاب والسنة واتباعهما اتباعا كاملا .

فان الجامعة الاسلامية ماثرة خالدة من مآثر حكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة المهمة بنشر الدعوة الاسلامية ونصرة قضايا المسلمين ودعمهم ، المحببة للعلم والثقافة ، الداعية الى التضامن بين المسلمين ووحدهم تحت راية الاسلام أيدها الله عز وجل وحفظها من كل شر ، وبارك فيها وفيمن يقوم عليها ، وحفظهم من كل سوء ، ووفقهم لما يحب ويرضى .

وأخيرا أقدم هدية الشكر الى أستاذي الكريم فضيلة الدكتور عبد العزيز الدردير موسى حفظه الله ، الذي أشرف على اعداد هذا البحث بكل عناية وأمانة وفي ضوء توجيهاته القيمة ، بفضل الله عز وجل وتوفيقه وصلت الى اكماله جزاه الله خيرا وبارك فيه .

وهذا لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) (٢) .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ، وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين .

=====

(١) رواه أبو داود والترمذى والامام أحمد عن أبي هريرة واللفظ لأبي داود ، سنن أبي داود : الأدب رقم الحديث ٤٨١١ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، سنن الترمذى : البر والصلة رقم الحديث ١٩٥٤ ج ٣٣٩/٤ ، ومسند الامام أحمد ٢٥٨/٢ .

(٢) أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه : باب الزكاة رقم الحديث ١٦٧٢ ، ج ١٢٨/٢ ، ومسند الامام أحمد ٦٨/٢ .

الباب الأول

مبادئ المسؤولية ، وأسسها في الاسلام

- الفصل الأول : المسؤولية في اللغة والشرع .

- الفصل الثاني : أركان المسؤولية .

- الفصل الثالث : شروط أهلية التكليف وتحقيق المسؤولية

في الشريعة الاسلامية .

الفصل الأول

المسؤولية في اللغة والشعر

(١) المسؤولية في اللغة :

ان المسؤولية في اللغة مصدر صناعي بمعنى السؤال ، من سأله عن كذا ، وفي الأصل كانت كلمة المسؤولية اسم مفعول ، ثم زيدت عليه ياء مشددة ، وتساء مربوطة فصارت هذه الصيغة مصدرا صناعيا ، قال صاحب القاموس المحيط : (سأله) كذا وعن كذا وبكذا : بمعنى : سؤالا وسألة ومسألة وتسالآ ، والأمر : سل ، وأسأل ، ويقال : سأل يسأل كخاف يخاف ، وهما يتساولان ، والسؤال ماسألته ، وتساءلوا : سأل بعضهم بعضا (١) .

وقال ابن المنظور : وقوله عز وجل * وقفوههم انهم مسؤولون * قال الزجاج : سؤالهم سؤال توبيخ وتقدير ، لا يجاب الحجة عليهم لأن الله عز وجل عالم بأعمالهم (٢) .

وقال الراغب : (سأل) السؤال : استدعاء معرفة أو ما يؤدي الى المعرفة واستدعاء مال أو ما يؤدي الى المال ، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان ، واليد خليفة له بالكتابة أو الاشارة .

واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها ، اما بوعد أو برّد ، ان قيل : كيف يصح أن يقال : السؤال يكون للمعرفة ومعلوم أن الله يسأل عباده نحو * واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . . * الآية (٣) .

=====

(١) القاموس المحيط المرتب لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي (٧٢٩ -

٨١٧ هـ) بترتيب الطاهر أحمد الزاوي على طريقة المصباح المنير ٢ / ٥٠٣

(٢) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي

المصري (٦٣٠ - ٧١١) مادة (سأل) ١١ / ٣١٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

* سورة الصافات : الآية ٢٤ .

قيل : ان ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيتهم لالتعريف الله عز وجل ، فانه
علام الغيوب .

فالسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام وتارة للتبكيته ، كقوله تعالى * واذا
الموودة سئلت * (١) (٢) ، ومثله قوله تعالى * وسوف تسألون * (٣) .
وقد جاء في الصحاح في اللغة والعلوم : المسؤولة بوجه عام حال أو صفة
من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته (٤) .

فكلمة السؤال لها اشتقاقات واستعمالات كثيرة ، والذي يهمننا في هذا
البحث هو ماأخذ من مادة سأل عن كذا ويسأل سؤالا فهو سائل ، وسئل عن
كذا يسأل سؤالا فهو مسؤول ، ومن هذه المادة والاستعمال صنع المصدر الصناعي
المسؤولية .

والنتيجة المأخوذة من هذا أن للمسؤولية أطرافا ثلاثة : الأول السائل ،
والثاني : المسؤول ، الثالث : موضوع السؤال الذي يسأل عنه .

(٢) مصدر التكليف والزام المسؤولية :

انه لا مسؤولية بدون الزام وتكليف ، ولا عدالة ولا سعادة ولا نجاة ولا فلاح
بدون المسؤولية والجزاء ، بل ينحرف الانسان عن هدف حياته ويتجه الى الشقاء
والهلاك ، وتتفشى الفوضى ويفسد النظام وتعم الهمجية ، وتقضى على القيم
الانسانية ، فلا بد من تحديد مسؤولية الانسان وجزائه ، واذن لابد من مصدر
الزام المسؤولية عليه ، ومن الطبيعي أن لا يكون ذلك المصدر لالزام المسؤولية
والتكليف الا الذى خلق الانسان فسوى ، والذى قدر فهدى وجعله سميعا بصيرا ،

=====

(١) سورة التكوير : الآية ٨ .

(٢) المفردات في غريب القرآن / ٢٥٠ والراغب : هو الحسين بن محمد
الأصفهاني المتوفي سنة ٥٠٢ هـ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٤٤ .

(٤) الصحاح في اللغة والعلوم : لندايم مرعشيلي ، أسامة مرعشيلي / ٤٥٣

وألهم نفسه فجورها وتقواها ، وذلك الله رب العالمين .
 وإذا كان الله عز وجل مصدر التكليف والزام المسؤولية وبيانها ، فهو الحاكم
 السائل ، والانسان هو المحكوم المسؤول ، وأمانة التكليف هو الحكم ، وموضوع
 السؤال .

(٣) حقيقة المسؤولية في الاسلام :

فان الله عز وجل خلق الانسان لعبادته ، وأنعم عليه بنعمة العقل وحرية
 الاختيار والاستطاعة ، وبيّن له سبيل الخير والشر ، وأوضح الهداية من الضلالة ،
 وبيّن مسؤوليته وأتم عليه حجته بإرسال الرسل وانزال الكتب * رسلا مبشرين
 ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما * (١).
 وبعد أن بين^{الله تعالى} /مسؤولية الانسان وأتم عليه حجته أنذره بالعقاب على اهمالها
 وبشّر بالثواب والانعام على القيام بها .

فالمكلف وملزم المسؤولية ، والحاكم والسائل عن المسؤوليات هو الله الخالق
 العليم الخبير ، والانسان هو مكلف من ربه تعالى ، ومسؤول أمامه قبل كل شيء .
 وموضوع السؤال هو : أمانة تكليف الله عز وجل باتتباع ما أنزل الله على
 رسوله ، فهذه حقيقة المسؤولية وأركانها ، .

فالمسؤولية صلة وثيقة بين العبد وربّه الكريم ، ولها منه تعالى بيانها
 وضوابطها ومقوماتها وشروطها ، كما لها جزاءها العادل في الدنيا والآخرة .
 هذا . . . وان المسؤولية في الاسلام شخصية فردية لا تتعدى فيها أشر
 الفعل الى غير فاعليه ظلما ، قال تعالى * ولا تزر وازرة وزر أخرى * (٢) .
 ولا يسأل العبد سؤال توبيخ الا بعد التبليغ قال تعالى * وما كنا معذبين حتى

=====

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٢) سورة الاسراء : الآية ١٥ .

نبعث رسولا * (١) .

(٤) تعريف المسؤولية الاصطلاحي :

في ضوء هذا التمهيدي لعل القارىء يستطيع أن يفهم مفهوم التعريف

الاصطلاحي للمسؤولية ، وقد ذكر العلماء عدة تعريفات ، وكل منها يودى الغاية من قريب أو بعيد ، وان كان بعضها مجملة وأخرى مفصلة ، الا أن لبعضها ميزة فوق التفصيل ، وتكون تلك الميزة وجه الاختيار .

- فقال الأستاذ عبد القادر عودة : ومعنى المسؤولية القانونية في الشريعة الاسلامية أن يتحمل الانسان نتائج أفعاله التي يأتيها مختارا ، وهو مدرك لمعانيها (٢) .

- وقال الدكتور مقدار ياسجن في تعريف المسؤولية : أما من جهة معناها فهو تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الايجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى ، وأمام ضميره في الدرجة الثانية ، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة (٣) .

- وقال الأستاذ عبد الصمد بن بكر : معنى المسؤولية في الاصطلاح هي ترتب الجزاء من الله تعالى على ما يأتي به المكلف من أعمال أو أقوال أو نيات باختياره سواء أُلزم بها شرعا أو التزم بها بمقتضى الشرع (٤) .

وهناك تعريف جامع شامل مختار ، لأنه يبين أركان المسؤولية ومقوماتها ، وشروطها بوضوح أكثر ، كما يشمل مفهوم التكليف أيضا :

=====

(١) سورة الاسراء : الآية ١٥ .

(٢) التشريع الجنائي الاسلامي ١ / ٣٩٢ .

(٣) التربية الأخلاقية الاسلامية ص ٣٣١ ، وذلك الكتاب رسالة الدكتوراه التي

حصل عليها الباحث من جامعة القاهرة وطبع سنة ١٣٩٧ هـ من مكتبة

الخانجي بمصر .

(٤) المسؤولية وصلتها بالتكاليف الشرعية ص ٧١ وهي رسالة جامعية حصل عليها =

- وذلك تعريف الدكتور حسن عناني فقال : (كون الناس جميعا مأمورين من قبل الله عز وجل بأن يرتضوا مجموعة القيم والمبادئ والتعاليم التي بلغها خاتم النبيين منهاجا لحياتهم ، فيرضاها الصفة من الخلق مختارين ، ويأياها غيرهم ويكون على أساسها الحساب والجزاء عدلا وفضلا) .

ثم يحلل هذا التعريف قائلا : (كون الناس جميعا) يتضمن المسؤولين وقولنا (مأمورين) يتضمن التكليف والإلزام وقولنا (من قبل الله سبحانه) يشير الى أن المكلف والسائل هو الله سبحانه ، وقولنا (بأن يرتضوا) يشمل القبول والرضا من جانب العباد .

وقولنا (مجموعة القيم والمبادئ) يتضمن القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم كمنهاج ، وقولنا (التي بلغها لهم خاتم النبيين) يشير الى الاعلام والتبليغ ، وقولنا (فيرضاها الصفة من الخلق ويأياها غيرهم) يتضمن طرفي الاختيار ، وقولنا (ويكون على أساسها الحساب والجزاء) يشتمل على أهم مقتضيات المسؤولية ، ونعني به بأنه يترتب على الاختيار الانساني من خير أو شر من الفضل في الثواب والعدل في العقاب . ١ . هـ (١) .

٥ (صلة المسؤولية بالتكليف الشرعي :

قد جاء في هذا التعريف الأخير (كون الناس جميعا مأمورين من قبل الله عز وجل) أي أن العباد جميعا مأمورون مكلفون من ربهم الذي خلقهم باتباع القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى ﴿ فاستمسك بالذي أوحى إليك أنك على صراط مستقيم ، وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ (٢)

=====

== صاحبها شهادة ماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٣٩٨ هـ .

(١) المسؤولية في الاسلام والتنمية الذاتية ، صفحة ٣٠ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٤٣ و ٤٤ .

فعلم بهذا أن للمسؤولية صلة وثيقة بالتكليف الشرعي ، لأن تكليف الله لعباده جزءاً من مفهوم المسؤولية .

وللمسؤولية الشرعية مفهوم أوسع من مفهوم التكليف ، لأن المسؤولية تتضمن ما يتضمن معنى تكليف الله لعباده وزائداً عليه ، وهو سؤال الله عز وجل العباد عما كلفهم به من التكليف الواجبة ، وغيرها من الأعمال الاختيارية .

ثم جزأوه تعالى إياهم على أعمالهم بالعدل والفضل ، وإذا تضمن مفهوم المسؤولية مفهوم التكليف ، بل التكليف هو أساس المسؤولية ، فلا بد من بيان :

(٦) معنى التكليف لغة وشرعا :

التكليف في اللغة والشرع :

قال ابن منظور : والكلف : الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقة ، وكلفه تكليفاً أى أمره بما يشق عليه ، وتكلفته الشيء : تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادتك (١) . وقال الراغب : والتكلف اسم لما يفعل بمشقة أو تصنع أو تشيع ، ولذلك صار التكلف على ضربين ، محمود : وهو ما يتحراه الانسان ليتوصل به الى أن يصير الفعل الذى يتعاطاه سهلاً عليه ، ويصير كلفاً به ومحياً به . وبهذا النظر يستعمل التكليف في تكلف العبادات .

والثاني : مذموم وهو ما يتحراه الانسان مراعاةً وإياه عني بقوله تعالى : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ (٢) ، وقوله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً الا وسعها ﴾ (٣) أى ما يعدهونه مشقة فهو سعة في المال نحو قوله تعالى ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ (٤) وقوله تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (٥) (٦) .

=====

- | | |
|---------------------------------------|-------------------------------|
| (١) لسان العرب : ٣٠٧ / ٩ . | (٢) سورة ص : الآية ٨٦ . |
| (٣) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ . | (٤) سورة الحجج : الآية ٧٨ . |
| (٥) سورة البقرة : الآية ٢١٦ . | |
| (٦) المفردات في غريب القرآن ص ٤٣٩ . | |

وقال ابن قدامة المقدسي :

التكليف في الشريعة الخطاب بأمر أو نهي (١) .

فمعنى المشقة في مفهوم التكليف موجود ، ولكن المؤمن بالله حقا اذا فعل ماكلفه الله عز وجل حبا في طاعة ربه الكريم ، وحصولا على رضاه فيكون عليه سهلا بل يكون ذلك الفعل الأمور به من ربه تعالى محبوبا اليه ، واذا فعل المؤمن هذا الأمور المحبوب اليه تحصل له لذة روحية ويطمئن به قلبه ، وبهذا يكون مولعا بذلك الفعل الأمور به المحبوب اليه ، ومشتاقا اليه ويتعلق قلبه به ، فلا يبقى ذلك الفعل المكلف به شاقا وكبيرا على المؤمنين بالله حقا ، كما قال تعالى في الصلاة ﴿ وانها لكبيرة الا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون ﴾ (٢) .

فتكليف الله العليم الحكيم الرحمن لعباده والزامه اياهم فعل ما فيه خير وسعادة لهم ، وترك ما فيه شقاوة وخسران لهم ، وان كان في فعل ذلك الأمور المكلف به بعض المشقة في ظاهر الأمر ، ولكنه في الحقيقة مصلحة العباد وخير لهم في الدنيا والآخرة .

وقد سمي القرآن الكريم تكليف الله عباده بطاعته باتباع كتابه وسنة نبيه أمانة وعهدا كما سيأتي في الركن الثالث للمسؤولية موضوع السؤال .

=====

(١) روضة الناظر وجنة المناظر ، في أصول الفقه ص ٤٨ .

وابن قدامة من كبار علماء الاسلام في القرن السادس والسابع الهجري ، وهو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ) ، انظر ترجمته

في البداية والنهاية ٩٩ / ١٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٤٥ - ٤٦ .

(٧) أقسام أحكام التكليف :

قال ابن قدامة : أقسام أحكام التكليف خمسة ، واجب ، ومندوب ، ومباح ، ومكروه ، ومحظور . ١ . هـ (١) .
وان هذا البحث في الغالب يدور حول الحكم التكليفي الواجب ، ان شاء الله تعالى .

(٨) أساس تقسيم المسؤولية الى فردية وجماعية :

وإذا كان موضوع هذا البحث هو (المسؤولية الفردية في القرآن الكريم) ، فينبغي لي أن أحدد مفهوم المسؤولية الفردية ، حتى تتميز عن المسؤولية الجماعية التي سوف أكتب عنها ان شاء الله في المرحلة القادمة تكميلاً للموضوع .
فان المسؤولية من حيث وجوبها في ذمة العبد الفرد المعين أو وجوبها في ذمة الجماعة والمجتمع تنقسم الى قسمين : فردية ، وجماعية :

١ = فالمسؤولية الفردية التي تجب في ذمة الفرد المعين بحيث لا تسقط عن ذمته الا أن يقوم ذلك الفرد المعين بأداءه .

٢ = والمسؤولية الجماعية التي تجب في ذمة الجماعة لا على أفراد معينين فيجب أن يقوم الجميع أو بعضهم بأداء تلك المسؤولية ، ولكن اذا لم يقم الجميع ولا بعضهم بأدائها فيكون الجميع آثمين ومؤاخذين .

وان الأساس المناسب لهذا التقسيم هو تقسيم الواجب الشرعي الى الواجب العيني والى الواجب الكفائي ، لأن المسؤولية الفردية تتعلق بذمة الفرد بالذات لا تسقط عنها الا بقيامه بها شخصياً ولا يتعدى جزأها الى غيره .

=====

(١) روضة الناظر وجنة المناظر ، في أصول الفقه ص ٣١ .

وهذا المعنى ينطبق تماما على الواجب العيني لأنه دين في ذمة العبد بالذات .

والمسؤولية الجماعية عبارة عن واجبات الجماعة ، وهذا هو المعنى للواجب الكفائي تقريبا ، فاذا قام به البعض سقط عن الآخرين ، والا يكون الجميع آثمين . فالواجبات الشرعية العينية هي المسؤوليات الشرعية الفردية ، والواجبات الكفائية هي المسؤوليات الجماعية ، فقال الامام أبو اسحاق الشاطبي :
الحقوق الواجبة على المكلف على ضربين : كانت من حقوق الله عز وجل ، كالصلاة والصيام والحج ، أو من حقوق الآدميين كالنفقات والنصيحة وما أشبه ذلك . أحدها حقوق محدودة شرعا ، والآخر حقوق غير محدودة ، فأما المحدودة المقدرة فلازمة لذمة المكلف مترتبة عليه دينا حتى يخرج عنها كفرائض الصلوات ، ومقادير الزكوات وأثمان المشتريات وما أشبه ذلك .
وأما غير المحدودة فلازمة له وهو مطلوب بها غير أنها لا تترتب في ذمته . ومثاله : الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإغاثة الملهوفين ، ودفع حاجات المحتاجين ، ويدخل تحته سائر فروض الكفايات .
وربما انضبط الضربان بطلب العين والكفاية فان حاصل الأول أنه طلب مقدر على كل عين من أعيان المكلفين ، وحاصل الثاني : إقامة الأود العارض في الدين وأهله ، وفروض الكفايات مندوبات على الأعيان (١) .

=====

=====

(١) الموافقات في أصول الشريعة : لأبي اسحاق ابراهيم بن موسى الغرناطي ، المتوفي سنة ٧٩٠ هـ ، ١٥٦/١ - ١٥٧ - ١٦٠ بتحقيق الشيخ عبد الله دراز ، انظر ترجمته في معجم المؤلفين ١١٨/١ .

الفصل الثاني
أركان المسؤولية

ان أركان المسؤولية - كما بينت فيما سبق - ثلاثة : السائل ، المسؤول ، موضوع السؤال ، فالركن الأول : السائل هو الله الحاكم رب العالمين :
 (١) عقيدة وجود خالق هذا الكون وألوهيته فطرية في النفوس البشرية :

 ان عقيدة وجود الاله الواحد ، خالق العالم ، رازق العباد ، عظيم القدرة ، المحيط العليم الحكيم في خلقه وأمره وجميع أفعاله ، فطرية في النفوس البشرية ، فان الانسان منذ عهده الأول قد عرف الاله الأعلى المنعم ، وتعلق به ، وعبده ولكن فيما بعد قد طرأ على العقيدة الصحيحة الفطرية عقيدة التوحيد انحراف وضلال .

وهذه الحقيقة مشاهدة من الواقع البشرى من اتجاه الناس الى الايمان بالخالق والخضوع لله الواحد القهار الا الذين يخنقون صوت الفطرة في صدورهم ويتحدون منطق العقل السليم في رؤوسهم ، لأنهم ماديون لا يؤمنون الا بما تقع عليه حواسهم ، وأما الذين يستجيبون لنداء الفطرة فيقرّون بأن لهم ولهذا الكون العظيم العجيب خالقا قادرا وربا عظيما ومدبرا عليما حكيما خبيرا تتجه اليه القلوب بالتعظيم والدعاء ، والرجاء والخوف والاستعانة والسؤال .
 هذه حقيقة فطرية يشعرون بها في أعماقهم ، وهذا هو الدين القيم ، وفطرة التوحيد التي فطر الله عليها عباده .

وقد يخفت هذا الصوت الفطري في النفس أو يكبته صاحبه عمدا في ساعات الرخاء ، ولكن اذا نزلت بالانسان أحداث مريرة وأحيط بالشدائد القاسية ، وانقطع أمله فيمن حوله من الخلق ، هنالك ينطلق هذا الصوت متجها الى رب العالمين ، داعيا ضارعا خاشعا راجيا ، منيبا الى الله عز وجل .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة الثابتة ، فقال تعالى ﴿ واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ، ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من

قبل ، وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا ، انك ممن أصحاب النار * (١) .

* واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين * (٢) .

* هو الذى يسيّرکم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ریح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين * (٣) وهذا الذى نطق به القرآن الكريم نادى به كثير من الفلاسفة الطبيعيين واعترفوا بصوت الفطرة في ضرورة الايمان بوجود خالق هذا الكون ، برغم أنهم لم يتبعوا دين الحق ، ومن هؤلاء ديكارت فقال :

(اني مع شعورى بنقص في ذاتي أحس في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة ، وأراني مضطرا الى اعتقادي بأن هذا الشعور قد غرسته في ذاتي ، تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع الصفات الكاملة وهي الله) (٤) .

فان الايمان بوجود خالق الكون وألوهيته والتدين له أمر فطرى ، غرسه الله عز وجل في نفوس البشر ، كما غرس في فطرتهم حب الحياة والأولاد والمال والشهوات .

وعلى هذا الأساس فان قول الماديين : ان الدين مخترع بشرى لا يستند الى دليل ، كما انهم لا يقدرّون على أن ينكروا أن الانسان مطور على التدين بإلاه الكون بغض النظر عن أسلوب التدين ، لأن الفطرة البشرية تتجه الى الله تعالى

=====

(١) سورة الزمر : الآية ٨ .

(٢) سورة لقمان : الآية ٣٢ .

(٣) سورة يونس : الآية ٢٢ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ١ / ٤٨٠ ، وديكارت الفلسفي الفرنسي :

(١٥٩٦ - ١٦٥٠ م)

من تلقاء ذاتها بغير كتاب ولا رسول ، ويتوجهون فطريا الى دعائه وعبادته ، ولولم يأمرهم بذلك أحد ، ولكنهم كثيرا ما يضلون في تصورهم ومعرفتهم لخالقهم ، فيتصورون وجود آلهة ثم يعبدونه على هوى أنفسهم ويشركون معه تلك الآلهة المتوهمة زعما أنها تقربهم الى الله زلفى ، وعندئذ يرسل الرسول وينزل الكتاب ليدعوهم الى عبادة الله وحده قائلا لهم ﴿ يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ (١)

(٢) الايمان والتوحيد أصل وفطرة ، والشرك والالحاد ضلال وانحراف :

ولما كان الدين فطرياً في النفوس ، فلا بد أن ظهر في واقع الانسان الأول .

فالحقيقة الأولى في الدين هو الايمان والتوحيد وعبادة الله وحده ، ثم دخل الانحراف في عقيدة التوحيد ، فان الشرك والوثنية والسحر والكهانة والمادية والالحاد وغيرها من الضلالات ، هي تحولات الانسان من التوحيد ، تحت تأثير عوامل الانحراف عن الدين الحق ، وكلما انحرف الناس عن التوحيد وعبادة الله وحده أرسل الله رسولا ونبيا للتليغ والتذكير والاصلاح ، كما قال تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ (٢) .

قال ابن جرير في تفسيرها : حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا همام بن منه عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ، فاختلوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وقال : حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا

=====

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٣ .

معمر عن قتادة * كان الناس أمة واحدة * قال : كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا ،
* فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين * فكان أول نبي بعث نوح .

قال ابن جرير : فكان تأويل الآية على هذا : كان الناس أمة مجتمعة على ملة
واحدة ودين واحد فاختلفوا * فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين * (١) ، فكان
الناس على ملة آدم ملة التوحيد حتى عبدوا الأصنام ، فبعث اليهم نوحا عليه السلام
فكان أول رسول منذر عن الشرك وداع الى التوحيد الى أهل الأرض ، وهذا الذى
يؤكدده قوله تعالى * فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * (٢) .

قال ابن كثير : يقول تعالى فسدد وجهك واستمر على الدين الذى شرعه
الله لك من الحنيفية ملة ابراهيم ، الذى هداك الله لها ، وكملها لك غايية
الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التى فطر الله الخلق عليها ، فأنسه
تعالى خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا اله غيره (٣) .

وقال الامام البخارى في تفسير هذه الآية : باب (لا تبديل لخلق الله) ،
لدين الله ، خلق الأولين ، دين الأولين ، والفطرة الاسلام ، ثم روى عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود الا
يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء (٤)

=====

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن المعروف بتفسير ابن جرير الطبرى ، المجلد
الأول ج ٢ / ٣٣٤ - ٣٣٥ وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ،
المفسر المورخ (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) قال الذهبى فيه : الامام العلم الفرد ،
الحافظ أحد الأعلام وصاحب التصانيف ، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ
للذهبي رقم الترجمة ٧٢٨ ، ٧١٠ / ٢ . (٢) سورة الروم : الآية ٣٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٣٢ وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين اسماعيل بن

كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦ / ٢٣١ .

(٤) أى تامة الأعضاء مستوية الخلق ، (جدعاء) مقطوعة الأذن والأنف أو غير =

هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ (١) .

وروى الامام مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته : ألا ان ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبداً حلالاً ، واني خلقت عبداً حنفاءً كلهم ، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً (٢) .

فان/بالوهية^{المعرفة} الله عز وجل وتوحيده حاصلة بأصل الفطرة ، وان الخروج عن ذلك يطرأ على الانسان لعوامل الافساد والاضلال كما قال صلى الله عليه وسلم : (فأبواه يهودانه وينصرانه . . .) ، وقوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل (فاجتالتم الشياطين) أى أزالوهم عما كانوا عليه من التوحيد وأضلوهم عن الصراط المستقيم .

=====

= ذلك ، فان الناس يفعلون بها ذلك فكلذك يفعلون بالمولود الذى يولد على الفطرة السليمة فطرة التوحيد .

- (١) صحيح البخارى ، التفسير ، رقم الحديث ٤٤٩٧ ، ج ٤ / ١٧٩٢ .
 (والبخارى هو شيخ الاسلام وامام الحفاظ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى ، ولد في شوال من سنة ١٩٤ هـ وتوفي سنة ٢٥٦ هـ ، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ، رقم الترجمة ٥٧٨ ، ٢ / ٥٥٥) .
 وأخرجه الامام مسلم في القدر رقم الحديث المسلسل ٢٦٥٨ ، وهو حجة الاسلام الامام الحافظ أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للامام الذهبي : رقم الترجمة ٦١٣ ، ٢ / ٥٨٨ .
 (٢) صحيح مسلم ، الجنة وصفة نعيمها ، رقم الباب ١٦ ، ورقم الحديث المسلسل ٢٨٦٥ .

وقال الامام ابن قيم الجوزية : انه تعالى أهل أن يعبد وأهل أن يكون
الحب كله له ، والعبادة كلها لله ، حتى لو لم يخلق جنة ولا ناراً ، ولا وضع ثواباً
ولا عقاباً ، لكان أهلاً أن يعبد أقصى ماتناله قدرة خلقه من العبادة .
حتى انه لو قدر انه لم يرسل رسله ولم ينزل كتبه لكان في الفطرة والعقل
ما يقتضي شكره وافراده بالعبادة ، فان الله تعالى فطر خليقته على محبته والاقبال
عليه وابتغاء الوسيلة اليه ، وانه لا شيء على الاطلاق أحب الى الفطرة والعقل منه
عز وجل ، كما قال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر
الناس عليها ﴾ (١) ، فبين سبحانه أن اقامة الوجه - وهو اخلاص القصد وبتذلل
الوسع لدينه المتضمن محبته وعبادته حنيفاً مقبلاً عليه ، معرضاً عما سواه - هو فطرته
التي فطر عليها عباده ، فلو خلوا ودواعي فطرهم لما رغبوا عن ذلك ، ولا اختاروا
سواه (٢) .

(٣) العقل يدعو الى الايمان بوجود خالق هذا الكون :

وإذا كان منطق الفطرة يهدى الى الله العلي الخالق وتوحيده عز وجل ،
فان العقل السليم أيضاً يرى أن الايمان بالله رب العالمين ضرورة لا محيص عنها ،
لأنه بدون هذا الايمان لا يمكن تفسير وجود هذا الكون العظيم وعجائبه ، والحياة
والانسان فان العقل بغير تعليم يؤمن بقاعدة السببية فلا يقبل فعلاً من غير فاعل
ولا صنعة من غير صانع ، وقانون السببية هو الذي عبر عنه الأعرابي بسداجة حين
سأله عن الدليل على وجود الله الخالق فقال : البعرة تدل على البعير ، وآثار
الأقدام على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج

=====

(١) سورة الروم : الآية ٣٠ .

(٢) مفتاح دار السعادة ٨٧/٢ ، والامام ابن قيم الجوزية هو محمد بن أبي بكر
ابن أيوب الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين ، من أركان الاصلاح والتجديد
وأحد كبار علماء الاسلام (٦٩١ - ٧٥١هـ) ، انظر ترجمته في الدرر =

أما تدل على الصانع الحكيم ، العليم القدير ؟ * أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت* (١).
وكان أبو حنيفة (٢) - رحمه الله - سيفاً على الدهرية ، وكانوا ينتهزون
الفرصة ليقتلوه ، فبينما هو يوماً في مسجده قاعد اذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة
وهموا بقتله فقال لهم : أجيئوني عن مسألة ، ثم افعلوا ما شئتم ، فقالوا : هات ،
فقال : ماتقولون في رجل يقول لكم : اني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال ، مملوءة
من الأثقال ، قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهي
من بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها ، هسل
يجوز ذلك في العقل ؟ قالوا : لا ، هذا شيء لا يقبله العقل ، فقال أبو حنيفة :
ياسبحان الله ، اذا لم يجوز في العقل سفينة تجرى في البحر مستوية من غير
متعهد ولا مجرى فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها ، وتغير
أعمالها ، وسعة أطرافها ، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟ ، فبكوا جميعاً
وقالوا : صدقت وأغمدوا سيوفهم وتابوا (٣) .

فان العقل السليم لا يسلم أن هذا الكون العظيم بكل عجائبه سفينة لاملاح
له ، وعالم لامدبر له ، بل يدعوننا الى الاقرار بوجود خالقه والاعتراف بمدبره ،

=====

= الكامنة للحافظ ابن حجر ٤٠٠ / ٣ ، والبداية والنهاية ٢٣٤ / ١٤ .

(١) سورة الغاشية : الآيات ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ .

(٢) قال الخطيب البغدادي : هو النعمان بن ثابت ، أبو حنيفة التيمي ، امام
أصحاب الرأي ، وفقه أهل العراق ، رأى أنس بن مالك (٨٠ - ١٥٠ هـ) ،

تاريخ بغداد ٣٢٣ / ١٣ ، وانظر تذكرة الحفاظ ١٦٨ / ١ رقم : ١٦٣ .

(٣) استدلال الأعرابي وأبي حنيفة بعجائب الكون على وجود الخالق ذكره ابن
كثير في تفسيره ٥٨ / ١ ، نقلاً عن التفسير الكبير للامام الرازي ، فرجعت

الى تفسير الرازي وأخذت عنه ١٠٨ / ١ - ١٠٩ .

والايمان بتوحيده وعظمته عز وجل ، والا لانجد أى تفسير للاسرار المذهلة ،
والعجائب المدهشة لهذا الكون الفسيح .

ويظل هذا الكون بكل ما فيه سؤالاً عجيباً محيراً للعقول ، فمن الشمس الى
ذرات الأرض ، كل شيء قائم يسأل ما هذا كله ؟ ولمن هذا ؟ ولماذا ؟ .
فلو مازلنا نتقدم الى الامام باحثين عن الجواب ، فلا ننجح أبداً ولا نجد
جواباً شافياً بل ينطفأ نور الطريق فجأة ، وتتحجر العيون ، وتفارقنا جميع
وسائل الفكر والادراك ونحن واقفون في الظلام متحيرين الا أننا نسمع هنا صوتاً
فاذا هو صوت العقل السليم ينادينا : أيها الضعفاء انكم لن تستطيعوا أن تدركوا
تلك القوة العظيمة الخالقة المدبرة لهذا الكون .

بل * ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء
وكيل ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * (١) .
وكيف تدركونه أنتم وانه * ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، له مقاليد
السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه بكل شيء عليم * (٢) .

فآمنوا بوجوده واعرفوه بصفاته ومظاهر قدرته ، واعبدوه وحده ولا تشركوا
به شيئاً ، فاذا آمننا بهذا النداء الهادى قد خرجنا فجأة من دائرة الظلام الى
النور ، وأجيب على كل سؤال وأصبحنا نشعر في جميع حقائق الكون وعجائبه بأثار
كمال خالقها وجمالها وعظمتها ، وتلك الآثار تخلق في نفوسنا الحب والوله لخالق
هذا الكون ، ذات كمال مطلق ، فنتوجه اليه وندعوه ونرجو رحمته ونخاف عذابه ،
ونسأله ونعبده وحده لا شريك له قائلين * لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من
الظالمين * (٣) ، ربنا ما خلقت هذا باطلا .

=====

(١) سورة الأنعام : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الشورى : الآية ١١ - ١٢ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٨٧ .

وقد بين القرآن هذا المنهج في الوصول الى الله عز وجل * ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار ، ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيتة ، وما للظالمين من أنصار ، ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفرنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * (١) .

ويقول العالم الطبيعي (اسحاق نيوتن) : لا شكوا في الخالق لأنه مما لا يعقل أن تكون الضرورة وحدها هي قاعدة الوجود ، لأن ضرورة عمياء متجانسة في كل مكان وزمان لا يتصور أن يصدر منها هذا التنوع في الكائنات ، ولا هذا الوجود كله بما فيه من ترتيب أجزائه وتناسبها مع تغيرات الأزمنة والأمكنة ، بل ان هذا كله لا يعقل أن يصدر الا من كائن أزلي له حكمة وإرادة (٢) .

وقال الامام ابن القيم : قد شهدت الفطر والعقول بأن للعالم ربا قادرا ، حكيمًا عليما رحيمًا كاملا في ذاته وصفاته . . ومريدا للخير لعباده (٣) .

فان الايمان بالله رب العالمين ليس غريزة فطرية فحسب ، بل هو ضرورة عقلية أيضا ، وقد أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة بأسلوب بليغ مؤثر ، أسلوب الاستفهام الانكارى ، انكارا على الدهريين والمشركين * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض ؟ * (٤) .

وليس لهذا السؤال الا جواب واحد لا يملك الانسان اذا ترك ونفسه الا أن يجيب به كما فعل المشركون * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن

=====

(١) سورة آل عمران : الآيات من ١٩٠ الى ١٩٣ .

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع : د . عبد الفتاح عاشور ، صفحة ١١٥ .

(٣) مفتاح دار السعادة ١ / ٣٠٤ .

(٤) سورة الطور : الآيتان ٣٥ و ٣٦ .

خلقهن العزيز العليم * (١) .

فينادى العقل بجانب الفطرة الى الايمان بالذى خلق الكون بفضله وقد رته
وحكمته قائلاً * أفي الله شك فاطر السموات والأرض . . . * (٢) .
فان وجوب الايمان بالله رب العالمين من البدايات التي يهتدى اليه
الانسان بفطرته ويدركها بعقله ، وليس من حقائق التفكير الدقيقة ، ولهذا لم
ينقاش القرآن الكريم هذا الموضوع بتفصيل ، بل أشار اليه اشارات بليغة مخاطباً
أصحاب العقول السليمة ، وانما ركز القرآن الكريم على اثبات وحدانية الله تعالى في ألوهيته
وربوبيته ووجوب عبادته وحده بلا شريك ، والرد على المشركين .

تنبية |

ان دعوة العقل الى الايمان بالله عز وجل بمعنى أنه مرشد اليه فقط ، وليس
مستقلاً بايجاب التكليف والايمان ، وبيان لوازم التوحيد وأصول الدين ، بل هذا
من اختصاص الله تعالى ورسله ، ومن هنا تشتد الحاجة الى الرسالات من الله
عز وجل لتبين أصول دين الله عز وجل وهو الاسلام ، وتشريعاته لعباده ، فبتبليغ
الرسول تتم حجة الله عز وجل على عباده وتثبت عليهم المسؤولية ، والله أعلم .

(٤) لله تعالى وحده حق التكليف والايجاب والتشريع والبيان :

اذا ثبت بأن الله تعالى هو خالق الكون ورب العالمين ، والاله الواحد
المألوه المعبود بحق ، فيجب أن يعبد وحده وهو الحاكم ، وله حق التكليف والزام
المسؤولية والتشريع والبيان ، ولا حكم الا له عز وجل ، لأنه خلق العباد ويعلم
فطرهم وحاجاتهم وطاقاتهم ، ولأنه حكيم فيما يفعل ويأمر وينهى ، ومستغن عن

=====

(١) سورة الزخرف : الآية ٩ .

(٢) سورة ابراهيم : الآية ١٠ .

خلقه في كل شيء ، ومن كل وجه ، وقادر على كل شيء ، وليس في السموات ولا في الأرض شيء يعجزه ، فكان تكليف الله لعباده وتشريعه مصلحة وحكمة ، عدلا ونورا وخيرا وسعادة للعباد وفلاحهم في الدنيا والآخرة .

قال تعالى * لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت (١) يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * (٢) .

* ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون * (٣) .

(٥) مصدر التشريع الاسلامي : الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم :

اذا كان الحكم والتكليف والتشريع لله تعالى وحده ، فهو المصدر الأساسي وقد بين الله تعالى حكمه وشريعته وما يريد من عباده من التكليف والأحكام في كتابه القرآن وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلهذا هما مصدر التشريع الاسلامي ، قال تعالى * لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون * (٤) ، * وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون * (٥) ، * ونزلنا

=====

(١) قال ابن منظور : قال أبو اسحاق : كل معبود من دون الله تعالى جيت وطاقوت - لسان العرب ٩ / ١٩ ، وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب : أنه الشيطان ، وقال ابن جرير : قال آخرون : هو الساحر ، وقال آخرون : هو الكاهن ، (تفسير ابن جرير ٣ / ١٨) . وانظر تفصيل الطاغوت في ص ٩٢

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٧ . (٣) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ١٠ .

(٥) سورة النحل : الآية ٤٤ .

عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين * (١) ، * وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب * (٢) — من شأن الكتاب والرسول وصفتهما في الهداية والبيان من الله عز وجل : قال تعالى في صفة القرآن الكريم * ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما * (٣) .

* يهدى للتي هي أقوم * أى لأقوم الطرق وأوضح السبل من التشريعات والبيانات والهدايات .

وفي صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء في التوراة والانجيل والقرآن : انه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويجيبه بالتيسير والسماحة رحمة للعالمين .

قال تعالى * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون * (٤)

* اصرهم * قال ابن منظور : والاصر العهد الثقيل ، وفي التنزيل : * ويضع عنهم اصرهم * ، * ربنا ولا تحمل علينا اصرنا * ، قال الزجاج : أى أمرايقل علينا * كما حلمته على الذين من قبلنا * (٥) نحو ما أمر به بنو اسرائيل من قتل أنفسهم ، وروى عن ابن عباس * ولا تحمل علينا اصرنا * قال : عهدا لانفي به وتعذبنا بتركه ونقضه (٦) .

=====

- (١) سورة النحل : الآية ٨٩ . (٢) سورة الحشر : الآية ٧ .
 (٣) سورة الاسراء : الآيات ٩ - ١٠ . (٤) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .
 (٥) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ . (٦) لسان العرب ٤ / ٢٢ .

* والأغلال * أى التكاليف الشاقة التي تشبه الأغلال في أعناقهم ، كقتل النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة من الثوب ، والقصاص من القاتل في العمد والخطأ وما أشبه ذلك .

وقد أرسل الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم باليسر واليسير والسماحة في الدين ، قال تعالى * وما جعل عليكم في الدين من حرج * (١) * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر * (٢) وعندما بعث النبي ﷺ أميره معاذاً وأبا موسى الى اليمن قال : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا (٣) .

وقال الامام ابن القيم : ان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها ، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم هي عماد العالم والسعادة في الدنيا والآخرة . ١ . هـ (٤) .

وقال عز الدين بن عبد السلام : التكاليف كلها راجعة الى مصالح العباد في دنياهم وأخرهم ، والله غني عن عبادة الكل ، ولا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين (٥) .

ومن أهم مصالح العباد في العمل بالشريعة الاسلامية وتطبيقها المحافظة على النفس والعقل والدين والنسل والمال .

=====

(١) سورة الحج : الآية ٧٨ . (٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٣) صحيح البخارى ، الجهاد رقم الباب : ١٦١ ، رقم الحديث ٢٨٧٣ ، وأخرجه مسلم في الجهاد ، باب في الأمر باليسير وترك التنفير ، رقم الحديث ١٧٣٣ .

(٤) أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ ، ١ / ٣ .

(٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٢ / ٦٢ وهو : أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي ثم المصرى (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ) ، انظر ترجمته في

شذرات الذهب لعبد الحي ابن العماد الحنبلي ١ / ٥ - ٣٠١ .

(٦) أهم خصائص الشريعة الاسلامية :

فمن أهم خصائص الشريعة الاسلامية انها فطرية وعادلة ، كاملة شاملة ،
صالحة لكل زمان ومكان ، لأنها ربانية نزلت من عند الله رب العالمين الخالق
العليم الحكيم * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * (١) لأنها لا تفصل بين
الدين والدنيا ، ولا بين الدنيا والآخرة ، ولا بين الروح والمادة ، بل تربط
وتوثق الصلة وتحكم بين كل منها ، ولهذا تعتبر متوازنة ومتكاملة وموضوعية ، كما
ان المراقبة فيها من ثلاثة جوانب :

- أولا : من الله علام الغيوب الذي لا يخفى عليه شيء بل هو يعلم خائنة
الأعين وما تخفي الصدور .

- ثانيا : من الضمير المؤمن بأن الله يرى .

- ثالثا : من سلطة الحكم والقانون ، بخلاف القوانين الوضعية ، فان
المراقبة فيها ناقصة وهي من جانب القانون والسلطة فقط .

هذا وان التشريع الاسلامي تشريع عالمي وظاهرة حضارية ، وثروة انسانية
ونعمة اجتماعية ، لأنه جعل الدولة وعاءا للحياة الانسانية وأعراضها وأموالها
دون تمييز في العنصر أو اللغة أو الدين ، ولذا كانت اقامة الخلافة الاسلامية
التي دستورها القرآن والسنة ، من أعظم القربات عندا لله عز وجل ، ليتحقق
العدل والأمن والسعادة لعباد الله جميعا .

فقد ثبت بهذا كله ان الله عز وجل هو المكلف والمشعر وحده ، وان تشريعه
هو الصالح والمناسب للبشرية ، وان القوانين الوضعية هي ظلم وافتراء على
مالك الملك ، ورب العباد ، واغتصاب لحقه وحرمان للبشرية من سعادتها الحقيقية
لأنه شتان ما بين شرع الله العليم الحكيم الرحمن ، وبين وضع الانسان المخلوق
العاجز عن تحقيق مصالح العباد وايجاد العدل والأمن والسعادة الحقيقية .

=====

(١) سورة الملك : الآية ١٤ .

(٧) من أهم مقاصد التشريع في الاسلام :

ان من أهم مقاصد التكليف والتشريع في الاسلام : اخراج العباد عن ضلالات هواهم وغواية الشيطان وحفظهم عن شرور الشهوات ، وتوجيههم الى عبادة خالقهم وتقوية صلتهم به عز وجل ، ليكونوا عباد الله اختيارا كما هم عباد الله اضطرارا ، وبهذا تقوم مصالحهم الدنيوية والأخرية .

قال أبو اسحاق الشاطبي : المقصد الشرعي من وضع الشريعة اخراج

المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبد الله اختيارا كما هو عبد الله اضطرارا .

والدليل على ذلك أمور ، أحدها : النص الصريح الدال على أن العباد

خلقوا للتعبد لله عز وجل ، والدخول تحت امره ونهيه كقوله تعالى * وما خلقت

الجن والانس الا ليعبدون * (١) ، والثاني : ما دل على ذم مخالفة هذا

القصده ، وأصل ذلك اتباع الهوى والانقياد الى طاعة الأغراض العاجلية ،

والشهوات الزائلة ، فقد جعل الله اتباع لهوى مضادا للحق وعدّه قسيما له

كما في قوله تعالى * فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هـي

المأوى * ، وقال في قسيمه * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى

فان الجنة هي المأوى * (٢) .

وقال تعالى في ذم الهوى أيضا : * أفأريت من اتخذ الهه هواه وأضلّه

الله على علم * (٣) * أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم * (٤)

* أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم * (٥) .

=====

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) سورة النازعات : الآيات من ٣٧ الى ٤١ .

(٣) سورة الجاثية : الآية ٢٣ .

(٤) سورة محمد : الآية ١٦ .

(٥) سورة محمد : الآية ١٤ .

فكل موضع ذكر الله فيه الهوى فأنما جاء به في معرض الذم له ولمتبعيه ، وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس أنه قال : ما ذكر الله الهوى في كتابه الا ذمه ، فهذا كله واضح في أن قصد الشارع الأخرى عن اتباع الهوى ، والدخول تحت التعبد للمولى (١) .

فان الذين اتخذوا الههم هواهم ويتبعون شهواتهم ويعبدون غير الله تعالى فأولئك هم الغافلون عن مقصد حياتهم وضالون عن الصراط المستقيم وهم الظالمون الأشقياء ، فانهم خلق من خلق الله رب العالمين ، ولكن لطغيانهم واتباع هواهم لا يستحقون أن يسموا عباد الله وعباد الرحمن ، بل هم عباد هواهم وشهواتهم وعباد الشيطان * استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون * (٢) .

بخلاف الذين يؤمنون بربهم عز وجل ويتبعون كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهم عباد الرحمن كما سماهم الله تعالى في كتابه الكريم * وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . . . * (٣) * أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون * (٤) .

(٨) " لله وحده حق السؤال والجزاء " ؛ وإذا كان الله تعالى هو الخالق المنعم وله وحده حق التكليف والتشريع فله وحده حق السؤال والمؤاخذة والجزاء ، * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * (٥) .

أى لا يسأل تعالى لانه مالك كل شيء وربّه والمالك يفعل في ملكه ما يشاء ولأنه عليم حكيم فأفعاله كلها مبنية على العلم والحكمة ، وان العباد يسألون عن

=====

(١) الموافقات في أصول الشريعة ٢ / ١٦٨ - ١٧٠ ، والشاطبي من كبار علماء

أصول الفقه (. . . - ٧٩٠) هـ وهو ابراهيم بن موسى الغرناطي ، انظر

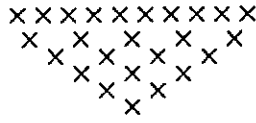
ترجمته في الأعلام للزركلي ١ / ٧٥ ، طبعة دار العلم للملايين - مايو ١٩٨٠ م

(٢) سورة المجادلة : الآية ١٩ . (٣) سورة الفرقان : الآيات ٦٣ - ٧٦ .

(٤) سورة المجادلة : الآية ٢٢ . (٥) سورة الأنبياء : الآية ٢٣ .

أعمالهم يسألهم ربهم الذى خلقهم وأنعم عليهم ، سؤال تذكير وتوبيخ عما كلفهم به ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

أى هو الحاكم الذى لا معقب لحكمه ، ولا يعترض عليه لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه * وهم يسألون * أى وهو سائل خلقه عما يعملون وهذا كقوله تعالى * فوريك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون * (١) (٢) ، * وقفوهم انهم مسؤولون * (٣) .



=====

- (١) سورة الحجر : الآيات ٩٢ و ٩٣ .
- (٢) تفسير ابن كثير ٣ / ١٧٥ .
- (٣) سورة الصافات : الآية ٢٤ .

ومن ضلالات الفكر البشرى باسم الفلسفة أو الدين الباطل أو المحرف ، ومن عبوديته التي فرضتها عليه الحضارات الرومانية والفارسية والهندية والفرعونية ، وحطم كل القيود والأغلال المتركمة الجاهلية ، كما أبطل سلطان الأحبار والرهبان ، وغفرانهم ، وأثبت أن حق التحليل والتحريم والغفران ليس الا لله رب العالمين ، لا شريك له ، في كل ذلك ، أحد ، ولا وسيط بينه تعالى وبين عباده ، * وإذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون * (١) .

فرفض الاسلام ضلالات الوثنية والدهرية والاباحية والجاهلية والوسائط ، ودعا الى عبادة رب العباد وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته . كما قضى الاسلام على كل الفوارق والعنصرية ، وقرر المساواة بين جميع بني آدم على أساس الأصل الواحد المشترك بين الجميع ، ولا فضل فيه لأحد على أحد الا بالايمان والصلاح والتقوى .

كما أعلن أن المسؤولية فردية وشخصية لا يؤخذ فيه أحد بذنب غيره ، وبين الهداية من الضلالة ، وذكر الانسان رسالته وأيقظ فيه الشعور بالمسؤولية ، ووجهه الى الصراط المستقيم ، فان الاسلام هداية ونور الحياة للبشرية كلها . فمن يريد أن يخرج من ظلمات الجاهلية القديمة والحديثة فعليه أن ينور قلبه بنور الاسلام ليخرج نفسه من ظلمات الشرك والكفر والمادية والعنصرية ، الى أنوار التوحيد والعدالة والأخوة الانسانية والسعادة الأبدية .

وقد لخص الصحابي المجاهد العظيم ممثل المسلمين في حرب القادسية ربعي بن عامر أهداف الاسلام وموقفه من البشرية ، عندما قال له رستم قائد قوات

=====

عليه واكرامه اياه ، وغاية حياته وما عليه من المسؤوليات ، ويبدو أن المرحلة الأولى في بداية خلق الله الانسان بيينها قوله تعالى ﴿ اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (١) .

ثم تليها مرحلة خلق الله تعالى آدم من تراب بعد مراحل المختلفة في اعداده ، الى الطين ، الى الحمأ المسنون ، الى صلصال كالفخار ، الى سلاله أو على غير هذا الترتيب ، والله أعلم .

ثم نفخ الله تعالى في جسد آدم روحا حتى جعله كائنا حيا سويا ناطقا سميعا بصيرا عاقلا مفكرا ، وهسنا أكرم الله تعالى الانسان اذ خلقه سويا ، وأعلن في ملائكته عن منصبه في الكون وعن رسالته ومسؤوليته في الحياة ، ﴿ واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني أعلم ما لا تعلمون ﴾ (٢) .

ثم خلق الله من نفس آدم زوجها حواء ليكون آدم أبا وحواء أما ، ثم من هذين الأبوين خلق الله ذرية الآدميين عن طريق التناسل من ماء نطفة الرجل الدافق من صلبه الى رحم المرأة ﴿ فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ (٣) ، أي : فلينظر الانسان في أصل نشأته نظرة تفكر واعتبار من أي شيء خلقتة ؟ ؟ ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ ، يتدفق من الرجل أو من المرأة فيتكون منه الولد باذن الله وأمره وقدرته عز وجل .

﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ أي : يخرج هذا الماء من بين الصلب وعظم الصدر من الرجل ، أو من صلب الرجل وشدى المرأة ، ثم يخلق الله من تلك النطفة الانسان في رحم الأم ، ويمر بمراحل ، قال تعالى ﴿ ولقد خلقنا

=====

(١) سورة ص : الآية ٧١ و ٧٢ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٣) سورة الطارق : الآيات ٥ - ٧ .

الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة : في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة
 علقه فخلقنا العلقه مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم
 أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * (١) ، * سبح اسم ربك الأعلى ،
 الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى * (٢) ، * ذلك عالم الغيب والشهادة
 العزيز الرحيم الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم
 جعل نسله من سلالة من ماء مهين * (٣) ، * نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، ،
 أفأريتم ماتمنون ، أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * (٤) ، * يا أيها الانسان
 ماغرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ماشاء ربك * (٥)
 وان الله تعالى هو الذى يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * لله ملك
 السموات والأرض يخلق مايشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو
 يزوجهم ذكرا نانا . واناثا ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير * (٦) .

ثم اذا شاء الله للطفل أن يعيش فان تربية الله عز وجل ورعايته لا تتوقف
 فيكون شابا وشيخا ويبلغ أجله المسمى وهو تحت رعاية الله تعالى ومشيئته ، وقد
 بين القرآن الكريم أن نهاية كل انسان فى الدنيا انما هو الموت * كل نفسس
 ذائقة الموت * (٧) ، ولا فرار لأحد منه * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى
 بروج مشيدة * (٨) .

ولكن موت الانسان من الدنيا ليس هو الفصل الأخير فى كتاب حياته ، وانما
 هو نهاية الباب الأول منه ، وهو باب التكليف والعمل ، وبداية الباب الثانى باب

=====

- (١) سورة المؤمنون : الآيه ١٢ - ١٤ (٢) سورة الأعلى : الآيه ١ - ٣ .
 (٣) سورة السجدة : الآيه ٦ - ٨ . (٤) سورة الواقعة : الآيه ٥٧ - ٥٩ .
 (٥) سورة الانفطار : الآيه ٦ - ٨ . (٦) سورة الشورى : الآيه : ٤٩ و ٥٠ .
 (٧) سورة الأنبياء : الآيه ٣٥ . (٨) سورة النساء : الآيه ٧٨ .

الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة - في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة
علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم
أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * (١) ، * سبح اسم ربك الأعلى ،
الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى * (٢) ، * ذلك عالم الغيب والشهادة
العزیز الرحيم الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم
جعل نسله من سلالة من ماء مهين * (٣) ، * نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، ،
أفأنتم ماتمنون ، أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * (٤) ، * يا أيها الانسان
ماغرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعد لك ، في أى صورة ماشاء ربك * (٥)
وان الله تعالى هو الذى يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * لله ملك
السموات والأرض يخلق مايشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو
يزوجهم ذكرا . وانا ما يجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير * (٦) .

ثم اذا شاء الله للطفل أن يعيش فان تربية الله عز وجل ورعايته لا تتوقف
فيكون شابا وشيخا وبلغ أجله المسمى وهو تحت رعاية الله تعالى ومشيئته ، وقد
بين القرآن الكريم أن نهاية كل انسان في الدنيا انما هو الموت * كل نفس
ذائقة الموت * (٧) ، ولا فرار لأحد منه * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في
بروج مشيدة * (٨) .

ولكن موت الانسان من الدنيا ليس هو الفصل الأخير في كتاب حياته ، وانما
هو نهاية الباب الأول منه ، وهو باب التكليف والعمل ، وبداية الباب الثاني باب

=====

(١) سورة المؤمنون : الآيات ١٢ - ١٤ (٢) سورة الأعلى : الآيات ١ - ٣ .

(٣) سورة السجدة : الآيات ٦ - ٨ . (٤) سورة الواقعة : الآيات ٥٧ - ٥٩ .

(٥) سورة الانفطار : الآيات ٦ - ٨ . (٦) سورة الشورى : الآيات ٤٩ و ٥٠ .

(٧) سورة الأنبياء : الآيات ٣٥ . (٨) سورة النساء : الآيات ٧٨ .

السؤال والجزاء على الأعمال في الدنيا * قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلًا * (١) ، * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * (٢) .

فان خلق الانسان وبدأ حياته وطفولته وشبابه وشيخوخته ثم نهايتها بالموت ثم البعث والحياة كل ذلك لا يخضع لشيء سوى ارادة الله رب العالمين ، وهذا الذى يشهده العقل والفطرة والواقع ، ولكن الذين يعارضون نداء فطرتهم وعقولهم ويعطلون سمعهم وبصرهم ويتبعون أهواءهم ويكفرون بخالقهم ويعبدون المادة وطبيعتها قالوا ولا يزال خلفهم يقولون : نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، * وقالوا : ماهي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون * (٣) .

فمن قديم لاتزال الحرب بين المؤمنين والدهريين ، ونظرية دارون في أصل الانسان وتطوره من القرد حلقة من حلقات تلك الحرب الدائرة بين الحق والباطل ، ولكن هذه النظرية الظنية غير الثابتة التى هي انتاج الجاهلية والدهرية الحديثة لاتستطيع أن تصمد أمام الحقائق الثابتة للقرآن القطعي الذى * لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * (٤) ، * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق * (٥) ، وقال تعالى * وما لهم به من علم ان يتبعون

=====

- (١) سورة النساء : الآية ٧٧ . (٢) سورة الزلزلة : الآية ٧ و ٨ .
 (٣) سورة الجاثية : الآية ٢٤ . (٤) سورة فصلت : الآية ٤٢ .
 (٥) سورة الجاثية : الآية ٢٩ .

* نظرية دارون بطلانها وايحاءاتها المسمومة : سنة ١٨٥٩ م ظهر في أوروبا كتاب باسم (أصل الأنواع) ارجع ذلك الكتاب عملية الخلق والنشوء للطبيعة بدلا من الله الخالق ، ثم أصدر مؤلفه وهو داروين الفيلسوف الانكليزي كتابا آخر سنة ١٨٧٤ م باسم (تسلسل الانسان) وقرر فيه بأنه لا داعي لاستثناء الانسان من سلسلة التطور من الحيوان كما تتطور الأنواع الأخرى وأقرب الحيوان الى الانسان القردة العليا ، ولكن هذه النظرية =

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم ألينا لا ترجعون ﴾ (١) ، ثم نزه عز وجل نفسه عن هذا الظن الكاذب أنه لا يليق به سبحانه لمنافاته لحكمته وربوبيته وألوهيته فقال تعالى ﴿ فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ﴾ (٢) ، فأكدت هذه الآيات بأن الله الخالق العليم الحكيم لم يخلق الانسان عبثا ، بل خلقه لغاية عظمى ، فما هي تلك الغاية ؟؟ فان الله تعالى قد حددها وبينها بنفسه وقال ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (٣) .

فغاية وجود الانسان هي عبادة ربه عز وجل دون أى شريك في جميع مظاهر الحياة ، وهذا هو النداء الأول والأخير لجميع الأنبياء والرسل ﴿ يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون ﴾ (٤) .

هذا وان الله تعالى لم يأمر عباده بعبادته لحاجته الى عبادتهم لأنه غني بذاته من كل وجه عن خلقه ، وخلقهم كله فقير اليه بذاته من كل وجه ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ﴾* .

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ أى انما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي اليهم .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ الا ليعبدون ﴾ أى ليتقوا بعبادتي طوعا أو كرها ، وهذا اختيار ابن جرير .

وقال الربيع بن أنس : أى الا للعبادة ، ومعنى الآية : انه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له ، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب ، وأخبر تعالى أنه غير محتاج اليهم ، بل هم الفقراء اليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم (٥) .

=====

- (١) سورة المؤمنون : الآية ١١٥ .
- (٢) سورة المؤمنون : الآية ١١٦ .
- (٣) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .
- (٤) سورة الأعراف : الآية ٦٥ .
- (٥) تفسير ابن كثير : ٢٣٨ / ٤ .
- * سورة فاطر : رقم الآية ١٥ .

وقد خاب من دساها * (١) .

وقد بين طريق الخير وطريق الشر ، والهداية من الضلالة عن طريق
الرسالات * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل * (٢)
فانه تعالى قد مكن الانسان من الطاعة والمعصية ليبتليهم ويبلوهم أيهم أحسن
عملا كما قال تعالى * انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا
بصيرا ، انا هديناه المسبيل اما شاكرا واما كفورا * (٣) .

قال ابن كثير : * نبتليه * أي نختبره كقوله عز وجل * ليلوكم أيكم أحسن
عملا * (٤) .

* فجعلناه سميعا بصيرا * أي جعلنا له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة
والمعصية .

* انا هديناه السبيل * أي : بيناه ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا :
* وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى * (٥) ، وكقوله عز وجل :
* وهدينا النجدين * (٦) ، أي بينا له طريق الخير وطريق الشر ، وهذا قول
الجمهور (٧) .

فقد عرف الله الانسان طريق الهدى والفلاح ، وطريق الضلال والشقاء
والخير والشر بالعقل ، وبعثة الرسل وانزال الكتب ، وأعطاه حرية الاختيار ، ثم
هو بعد ذلك اما أن يشكر ربه سبحانه بالايمان والطاعة ، أو يكفر بالتكذيب
والعصيان ، ولهذا قال تعالى بعد هذا * اما شاكرا واما كفورا * ، أي : اما

=====

- (١) سورة الشمس : الآيات ٨ - ١٠ . (٢) سورة النساء : الآية ١٦٥ .
(٣) سورة الانسان : الآية ٢ و ٣ . (٤) سورة الملك : الآية ٢ .
(٥) سورة فصلت : الآية ١٧ . (٦) سورة البلد : الآية ١٠ .
(٧) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٥٣ .

أن يكون مؤمنا شاكرا لنعمة الله فيسلك سبيل الخير والطاعة ، واما أن يكون كفورا شقيا فاجرا فيكفر بنعمة الله ويعصيه ويسلك سبيل الشر والفجور ، فدل الله عز وجل على سبيل الشكر والايمن وسبيل الكفر والطغيان ، وله أن يختار هذا أو ذاك .

فلانسان ارادة واختيار ، ههنا مناط التكليف والمسؤولية ، ثم بعد هذا البيان الواضح لكون الانسان مختارا من الله عز وجل بين الايمان والكفر ، بين تعالى ماأعدده للمؤمنين الأبرار والكفرة الفجار في الآخرة فقال * انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ، ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * (١) .

وقال تعالى * ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها * (٢) ، * قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها * (٣) ، * من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها * (٤) .

وقد أكد رسول الله أن الانسان بنفسه وبارادته وعمله يختار طريقه الى الجنة أو الى النار ، فقال : كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها (٥) . فان القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته وشرحه للقرآن في مقام تحديد مسؤولية الانسان قد انتهجا منهاجا واضحا في تجلية حرية الانسان واثبات اختياره فيما يعمل واستعداداه للخير والشر .

وركز هذان المصدران الوحيدان لهداية الانسان على تزكية روح المسؤولية عند الانسان عن طريق اقناعه بدوره الفعال في اختياره مايريد ، وما يعمل ،

=====

- (١) سورة الانسان : الآية ٤ و ٥ . (٢) سورة الاسراء : الآية ٧ .
- (٣) سورة الأنعام : الآية ١٠٤ . (٤) سورة الاسراء : الآية ١٥ .
- (٥) أخرجه الامام مسلم في الطهارة ، رقم الباب ١ ، رقم الحديث ٢٢٣ .

فان نعمة هذا الاختيار عند الانسان وكونه حرا فيما يريد ويعمل موضوع البلاء ،
والاختبار من الله عز وجل ، وأساس التكليف والمسؤولية والجزاء منه سبحانه ، ولا
يكفر هذه النعمة الجليلة الا من يحاول التخلي عن المسؤوليات ويفر من أداء
الأمانات ويتبع هواه والشهوات .

فان الانسان فاعل لاعماله حقيقة ولا اختياره وارادته فيما يعمل ، وهو قادر
على فعل ما يريد فعله باقدار الله عز وجل وخلقه ومشيئته وتيسيره سبحانه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ، رحمه الله :

جمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون : ان العبد
فاعل حقيقة وان له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية وهم لا ينكرون تأثير الأسباب
الطبيعية بل يقولون بما دل عليه العقل من أن الله سبحانه وتعالى يخلق السحاب
بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ، ولا يقولون ان قوى الطوائع
الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها ، بل يقولون/تأثيرا لفظيا ومعنى ، حتى جاء
لفظ الأثر في مثل قوله تعالى * ونكتب ما قدموا وآثارهم * (١) ، وان كان التأثير
هناك أعم منه في الآيات ، لكن يقولون : هذا التأثير هو تأثير الأسباب فـي
مسيباتها ، والله تعالى خالق السبب والمسبب (٢) .

=====

(١) سورة يس : الآية ١٢ .

(٢) منهاج السنة النبوية ١ / ٢٦٥ - ٢٦٦ .

قال الامام الذهبي في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية : الشيخ العلامة
الحافظ الناقد الفقيه المجتهد ، المفسر البار ، شيخ الاسلام ، علم
الزهاد ، نادرة العصر تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب
الدين عبد الحلیم ابن الامام المجتهد شيخ الاسلام مجد الدين عبيد
السلام الحراني أحد الأعلام (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) ، وكان من بحور العلم ،
ومن الأذكياء المعدودين والزهاد الأفراد والشجعان الكبار والكرماء
الأجواد اثنى عليه الموافق والمخالف وصارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاث
مائة مجلد . (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي رقم الترجمة ١١٧٥ ، ٤ / ١٤٩٦)

* كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق ،
 وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين * (١) ، * في قلوبهم مرض فزادهم
 الله مرضا * (٢) ، * ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار * (٣) ، * ويضل الله
 الظالمين ويفعل الله ما يشاء * (٤) ، * يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ، وما يضل
 به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به
 أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون * (٥) .

فهذا اخبار من الله عز وجل أنه يضل هؤلاء المجرمين عقوبة لجرائمهم من
 الكفر والشرك والظلم والفسوق والجحود .

وقال الامام ابن قيم الجوزية :

اذا أعرض العبد عن ربه جازاه بأن يعرض عنه ، فلا يمكّنه من الاقبال عليه ،
 ولتكن قصة ابليس ننتفع بها أتم انتفاع ، فانه لما عصى ربه عاقبه بأن جعله داعيا
 الى كل معصية .

فان الله عز وجل مكن الكفار والمشركين والظالمين الضالين من الطاعة
 والمعصية وفتح لهم الباب ، وهياً لهم الأسباب فأرسل اليهم رسله وأنزل عليهم
 كتبه ودعاهم الى الصراط المستقيم علي السنة رسله وجعل لهم عقولا تميز بين الخير
 والشر ، وجعل لهم أسماعا وأبصارا ، فأثر الهوى على التقوى ، واستحبوا العمى
 على الهدى . . . فأعرضت قلوبهم عن ربهم وخالقهم . . . وانصرفت عن طاعته
 ومحبته ، فبعد هذا كله اضلالهم عدل ، فيهم ، وتلك حجته عليهم ، فهم سدوا
 على أنفسهم باب الهدى ارادة منهم واختيارا ، فسده الله عليهم / فخلّاهم ^{اضطرابا} وما
 اختاروا لأنفسهم ، وأدخلهم من الباب الذي استبقوا اليه وأغلق عنهم الباب الذي

=====

- (١) سورة آل عمران : الآية ٨٦ . (٢) سورة البقرة : الآية ١٠ .
 (٣) سورة الزمر : الآية ٣ . (٤) سورة ابراهيم : الآية ٢٧ .
 (٥) سورة البقرة : الآية ٢٦ و ٢٧ .

قال الراغب : فقد رآه إشارة الى ما سبق به القضاء والكتابة في اللوح المحفوظ ،
والمقدور : إشارة الى ما يحدث عنه حالا فحالا مما قدر وهو المشار اليه بقوله :
* كل يوم هو في شأن * (١) (٢) .

وقال الامام البخارى : باب * وكان أمر الله قدرا مقدورا * ثم روى عن علي
رضي الله عنه قال : كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عود بينكت فسي
الأرض وقال : ما منكم ^{من أحد} الا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة ، فقال رجل من
القوم : ألا نتكل يا رسول الله ، قال : لا اعملوا فكل ميسر ، ثم قرأ * فأما من
أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * (٣) (٤) ، وفي رواية عن علي
رضي الله عنه : كنا مع النبي في بقيع الغرقد في جنازة . . الحديث (٥) .

وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (واللفظ للبخارى) ،
قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ، قال : ان
أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ،
ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربعة برزقه وأجله وشقي أو سعيد ، فوالله ان أحدكم
يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى
ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار
فيدخلها (٦) .

=====

- (١) سورة الرحمن : الآية ٢٩ . (٢) المفردات في غريب القرآن ص ٣٩٥ .
(٣) سورة الليل : الآية ٥ - ٧ .
(٤) صحيح البخارى : القدر ، رقم الحديث ٦٢٣١ ، وصحيح مسلم : القدر ،
رقم الحديث ٢٦٤٧ .
(٥) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٦٦١ .
(٦) صحيح البخارى : القدر ، رقم الحديث ٦٢٢١ ، وصحيح مسلم : القدر ،
رقم الحديث ٢٦٤٣ .

ويفسر هذا الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم (فيما بيد و للناس) ،
 في حديث سهل بن سعد الساعدي المتفق عليه ، واللفظ للبخارى : قال قال
 رسول الله في حديث رجل قتل نفسه : ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما
 بيد و للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما بيد و
 للناس وهو من أهل الجنة (١) .

وقال الامام ابن القيم الجوزية مبينا مذهب أهل السنة والجماعة وطريقة
 السلف في القضاء والقدر :

فانهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ومشيقته
 العامة ، وان العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه ، وانهم لا يشاؤون
 الا أن يشاء الله ، ولا يفعلون الا بعد مشيئته وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ،
 ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه ، والقدر عندهم قدرة
 الله تعالى وعلمه ومشيقته وخلقه (٢) .

فأثبت اختيار الانسان من الله القادر العليم الحكيم المهيمن على كل
 شيء لا يعني أبدا انكار قضاء الله وقدره سبحانه ، فانهما حق لا ريب فيه ، فلا
 يكون أحد مؤمنا الا اذا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وقدره خيره
 وشره من الله تعالى والبعث بعد الموت كما جاء في حديث جبريل (٣) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

قال تعالى * ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من
 قبل أن نبرأها * (٤) ، * ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ، ومن يؤمن بالله

=====

(١) صحيح البخارى ، الجهاد ، رقم الحديث ٢٧٤٢ ، صحيح مسلم مع شرح
 النووى ، الايمان : باب غلظ تحريم قتل الانسان نفسه ١٢٣ / ٢ - ١٢٤

(٢) شفاء الغليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ٥٢ .

(٣) متفق عليه صحيح مسلم : الايمان رقم ٨ - ٩ ، والبخارى رقم ٥٠ .

(٤) سورة الحديد : الآية ٢٢ .

ولأن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ولأنه لو كان القدر حجة لكان حجة لابليس وفرعون وسائر الكفار ، ولكن كان ملام موسى لآدم لأجل المصيبة التي لحقتهم بسبب أكله ، ولهذا قال : لماذا أخرجتنا من الجنة (١) .

والمؤمن مأمور أن يرجع الى القدر عند المصائب لاعند الذنوب والمعاصي ، فيصبر على المصائب ويستغفر من الذنوب كما قال تعالى ﴿ فاصبر ان وعد الله حق ، واستغفر لذنبك ﴾ (٢) (٣) .

النهي عن الجدل والمخاصمة في القدر ، وأن المجادل والمنكر للقدر ضال زنديق ، روى الامام ^{مسلم} عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء مشركوا قريش يتخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ، اناكل شيء خلقناه بقدر ﴾ (٤) . (٥)

وافتح الامام مسلم كتاب الايمان في صحيحه برواية عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر (أى بنفي القدر) بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحמיד بن عبد الرحمن الحميري حاجنين أو معتمرين فقلنا : لولقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفّق لنا عبدا لله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام الي فقلت : أبا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ، قال : فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم براء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر : لو أن لأحدهم مثل أحد

=====

(١) هذا جزء من حديث حجاج آدم وموسى ، صحيح البخارى ، القدر : رقم

الحديث ٦٢٤٠ ، وصحيح مسلم : القدر ، رقم الحديث ٢٦٥٢ .

(٢) سورة غافر : الآية ٥٥ . (٣) منهاج السنة ١ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٤) سورة القمر : الآية ٤٨ - ٤٩ (٥) صحيح مسلم - القدر - الحديث ٣٥٦

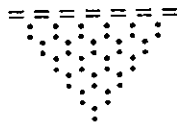
ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر .

ثم روى عن عمر بن الخطاب حديث جبريل الذي قال فيه جبريل : فأخبرني عن الايمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت (١) .

وقد وردت نصوص كثيرة في النهي عن الجدال والمخاصمة في الاسلام ، لأن الاسلام قد حرص على تربية الأفراد والمجتمع والأمة على المحافظة على سلامة عقولهم وفكرهم وعقائدهم وأوقاتهم ، فمنعهم عن الجدال العقيم والكلام البيزنطي السقيم ، وفي مقدمة ما نهى المسلمون عن الجدال فيه (القضاء والقدر) .

فلا يجوز للمؤمن أن يشغل ذهنه بالبحث في القدر وغيره من الأمور الغيبية بل عليه أن يؤمن بها كما أخبر الله عز وجل عالم الغيب ، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل .

كما يجب عليه أن يطيع الله ويتبع رسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من الأوامر والنواهي والخبر ، ويجتهد في الطاعة مستعيناً بالله الكريم ، ثم يرضى بالنتيجة ويرجو رحمته ويخاف عذابه ، ويستغفر من ذنوبه ، ويختار الأسباب ثم يتوكل على الله تعالى ويصبر على البلاء ، ويشكر ربه في كل حال ، وليس له أن يتكل على القدر أو يحتج به في مجال العمل والمسؤولية .



=====

(١) صحيح مسلم : الايمان ، رقم الحديث ٨ .

البركن الثالث : موضوع السؤال :

ان الركن الثالث من أركان المسؤولية هو الحكم وموضوع السؤال ، الذى يسأل الله الحاكم السائل عبده الانسان المكلف المسؤول عنه ، وذلك أمانة تكليف الله عز وجل بطاعته باتباع كتابه ورسوله التى أشفقت عن حملها السموات والأرض ، والجبال ، ولكن حملها الانسان رغم ضعفه وجهله وظلمه بتوفيق الله تعالى وارادته ولحكمته سبحانه .

نظرا الى أن المكلف ومودع الأمانة عليم حكيم ورووف رحيم ، وعلى كل شيء قدير ، فانه اذا أودع الأمانة خلقه وكلفه بحملها فلا يتركه من غير اعانة ، يبل يعين من يستعين به ويتوب على من يتوب اليه ويجيب من يستجيبه .

فلهذا يجب على هذا الانسان الأمين المكلف المسؤول أن يتوجه الى ربه ويستعين به في أداء مهمته والقيام بمسؤوليته قائلا * اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم * (١) .

ويقول : اللهم أنت ربي لا اله الا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، فأعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ووفقني لما تحب وترضى .

(١) وقد بين الله تعالى أمانة التكليف وعظمتها وحمل الانسان اياها ومسؤوليته عنها قائلا * انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ، ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيمًا * (٢) .

=====

(١) سورة الفاتحة : الآية ٥ و ٦ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٧٢ و ٧٣ .

المراد بالأمانة في الآية عند الجمهور هي أمانة التكليف * أن المراد بالأمانة في هذه الآية عند جمهور المفسرين هو أمانة تكليف الله عز وجل بطاعته وعبادته باتباع ما أنزله على رسوله ، بوعده الرضا والثواب والانعام على أداء الأمانة والطاعة ، وبوعده الغضب والعقاب على تضييع الأمانة والمعصية .

وهذا القول لجمهور المفسرين شامل للأقوال الأخرى في معاني الأمانة التي هي بمثابة الفروع التفصيلية لأمانة التكليف الشرعية الربانية .

فقال أبو جعفر ابن جرير الطبرى : اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم : معناه : ان اللعز وجل عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها ان أحسنت أثيبت ، وان ضيعت عوقبت فأبیت حملها شفقا منها ألا تقسوم بالواجب عليها ، وحملها آدم .

* انه كان ظلوما * لنفسه * جهولا * بالذى فيه الحظله .

(ثم أسند هذا الى ابن عباس) أنه قال : ان أذوها أثابهم ، وان

ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله * وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا * أى غرا بأمر الله .

وعن ابن عباس وسعيد بن جبیر قالوا : الأمانة : الفرائض التي افترضها الله على العباد (ثم ذكر ابن جرير أقوالا ومعان أخرى في تفسير الأمانة التي هي بمثابة الفروع لأمانة التكليف ثم قال) :

وأولى الأقوال عندى في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا : انه عنى بالأمانة هنا جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس . ١ . هـ (١) .

=====

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ، ١٠م / ج ٢٢ / ٥٣ - ٥٤ .

وان أمانة التكليف تشمل جميع الأمانات ، ولهذا قال ابن كثير بعد أن ذكر عدة معان :

وكل هذه الأقوال لاتنافي بينها بل هي متفقة وراجعة الى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها وهو ان قام بذلك أثيب ، وان تركها عوقب فقبلها الانسان على ضعفه وجهله وظلمه الا من وفقه الله واستعان به (١) .
وقد فسر الرازي (٢) وأبو حيان أيضا الأمانة في هذه الآية بأمانة التكليف وأضاف أبو حيان قائلا : ان هذا قول الجمهور (٣) .

(٢) الرد على القائلين بالمجاز في الآية :

ان بعض العلماء القائلين بالمجاز في القرآن زعموا : أن العرض والاباء والاشفاق في الآية عبارة عن استعداد دهن ، وحمل الانسان عبارة عن استعداد الفطرى لحمل أمانة التكليف الشرعي ، ومنهم القاضي أبو السعود الذي قال بالمجاز في الآية (٤) تبعا للقاضي البيضاوى ، والبيضاوى قال به (٥) تبعا للزمخشري المعتزلي الذي قال : وعرض الأمانة على الجمادات وابعاءها واشفاقها مجاز . ١ هـ (٦) .

ولكن لاداعي الى هذا العدول عن الحقيقة ، ولا يجوز ، لأن الله تعالى على كل شيء قدير * ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * (٧) .

=====

(١) تفسير ابن كثير ٥٢٢ / ٣ . (٧) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٢) التفسير الكبير لمحمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر (٥٤٤ -

٦٠٤ هـ) ، ٢٣٥ / ١٣ .

(٣) البحر المحيط لمحمد بن يوسف الأندلسي (٦٥٤ - ٧٥٤ هـ) ج ٢٥٣ / ٧ .

(٤) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ج ١١٨ / ٧ ، وأبو السعود

هو محمد بن محمد المتوفي سنة ٩٨٣ هـ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تفسير البيضاوى (٥٧٢ - ٦٨٥ هـ) ١٦٩ / ٤ .

وهو أبو سعد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوى .

(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم

محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) ج ٢٧٧ / ٣ .

وقد رد كثير من المحققين على المجازيين في هذا المقام ومنهم أبو حيان الأندلسي والآلوسي (١) والعلامة محمد الأمين الشنقيطي (٢) .

فقال أبو حيان : والظاهر عرض الأمانة على هذه المخلوقات العظام وهي الأوامر والنواهي فتثاب ان أحسنت وتعاقب ان أساءت فأبت وأشفقت ، ويكـون ذلك بادراك خلقه الله فيها وهذا غير مستحيل ، ان قد سبح الحصى في كـف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحن الجزع اليه وكلمته الزراع ، فيكون هـذا العرض والاباء حقيقة . ١ . هـ (٣) .

وقال ابن كثير : وقوله تعالى ﴿ ليعذب^{الله} المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات ﴾ أي : انما بنى آدم الأمانة وهي التكليف ليعذب^{حمله} المنافقين منهم والمنافقات وهم الذين يظهرن الايمان خوفا من أهله ، ويبطنون الكفر متابعة لأهله .

﴿ والمشركين والمشركات ﴾ وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله .

﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ أي ويرحم المؤمنين من الخلق ، الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ (٤) .

(٣) تكليف الله لعباده عهد وأمانة ، وأمر الله تعالى بوفاء العهد وأداء الأمانة : قد علم بهذا أن تكليف الله لعباده عهد وأمانة ، وقد أمر الله تعالى بوفاء العهد وأداء الأمانة ، ونهى عن نقض العهد والخيانة ، قال تعالى ﴿ وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ﴾ (٥) .

=====

- (١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي المتوفي سنة ١٢٧٠ هـ ، ج ٢٢ / ٩٩ - ١٠٠ .
- (٢) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطي المتوفي ١٣٩٣ هـ ، ج ٦ / ٦٠٥ - ٦٠٦ .
- (٣) البحر المحيط ٢ / ٢٥٣ .
- (٤) تفسير ابن كثير ٣ / ٥٢٤ .
- (٥) سورة النحل : الآية ٩١ .

* وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا * (١) أى : وأوفوا بالعهد سواء كان مع الله أو مع الناس لأنكم تسألون عنه يوم القيامة .

* ان الله يأمركم أن تأدوا الأمانات الى أهلها * (٢) ، * يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * (٣) .
قال ابن جرير في خلاصة تفسير هذه الآية :

يا أيها الذين آمنوا لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ولا رسوله ممن واجب طاعته عليكم ولكن أطيعوهما فيما أمركم به ونهياكم عنه لا تنقصوهما وتخونوا أماناتكم وتنقصوا أديانكم ، وواجب أعمالكم ولا زمها لكم وأنتم تعلمون ، أنها لازمة عليكم ١ هـ (٤) .

وقال الرازى في تفسيرها :

فكان معنى الآية : ايجاب أداء التكاليف بأسرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص ولا اخلال (٥) .

وقال القرطبي في تفسيرها : الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد (٦) .

(٤) جميع العباد رسلا وأما يسألون عن أمانة التكليف أمام الله الحاكم السائل رب العالمين :

فاذا كان تكليف الله لعباده عهدا وأمانة فان الله تعالى يسأل جميع العباد عن هذه الأمانة العظيمة الربانية أمانة التكليف ، قال تعالى * فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم/كنا غائبين^{وما} ، والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون * (٧) .

=====

(١) سورة الاسراء : الآية ٣٤ . (٢) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٢٧ (٤) تفسير السطرى م ٦ ، ج ٩ / ٢٢٣

(٥) التفسير الكبير لفخر الدين الرازى ١٥ / ١٥٧ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ ، ٧ / ٣٩٥ .

(٧) سورة الأعراف : الآية ٦ الى ٩ .

قال ابن كثير : هذا كقوله تعالى * ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين * (١) ، وقوله * يوم يجمع الله الرسل فيقول : ماذا أجبتم : قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب * (٢) ، فيسأل الله الأمم يوم القيامة عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به ، ويسأل الرسل أيضا عن ابلاغ رسالاته .

وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم ، حدثنا ابراهيم محمد بن الحسن ، حدثنا أبو سعيد الكندي ، حدثنا المحاربي عن ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام يسأل عن رعيته والرجل يسأل عن أهله ، والمرأة تسأل عن بيت زوجها ، والعبد يسأل عن مال سيده ، قال الليث ، وحدثني ابن طاووس مثله ثم قرأ * فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين * (٣) ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين (٤) (٥) . بدون هذه الزيادة .

وقال تعالى * فاستمسك بالذي أوحى اليك انك على صراط مستقيم ، وانه * أى القرآن * لذكر لك ولقومك وسوف تسألون * (٦)



=====

(١) سورة القصص : الآية ٦٥ . (٢) سورة المائدة : الآية ١٠٩ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٦ .

(٤) أخرجه الامام البخارى في ثمانية مواضع تقريبا من صحيحه ، والموضع الأول

الجمعة ، رقم الباب ١٠ ، رقم الحديث ٨٥٣ ، وأخرجه مسلم في الامارة .

رقم الحديث المسلسل ١٨٢٩ :

(٥) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٠١ . (٦) سورة الزخرف : الآية ٤٣ و٤٤ .

الفصل الثالث

شروط أهلية التكليف وتحقق المسؤولية

في الشريعة الإسلامية

١ = معنى الأهلية في اللغة والشرع :
 ::::::::::::::::::::::::::::::

قال ابن منظور : أنت أهل لكذا أى مستوجب لهذا الأمر ، ويقال :
 مستوجب ذلك واستحقه (١) .

وفي اصطلاح الشرع فقال صاحب كشف الأسرار :

وهي أى الأهلية في لسان الشرع عبارة عن صلاحية الانسان لوجوب الحقوق
 المشروعة له وعليه وهي الأمانة التي أخبر الله عز وجل عن حمل الانسان اياها
 بقوله عز وجل * وحملها الانسان * (٢) (٣) .

وقال الشيخ أبو زهرة : والأهلية هي صلاحية الشخص للالتزام والالتزام
 بمعنى أن يكون الشخص صالحا تلزمه حقوق لغيره وتثبت له حقوق قبل غيره ، وصالحا
 لأن يلتزم بهذه الحقوق ، (ثم تنقسم الأهلية الى قسمين) :

١ - أهلية الوجوب : فأهلية الوجوب تتحقق بمجرد وجود الانسان ، سواء
 أكان بالغا أم صبيا ، وسواء أكان رشيدا أم غير رشيد .

٢ - أهلية الأداء : هي أهلية المعاملة بمعنى أن يكون الشخص صالحا
 لاكتساب حقوق من تصرفاته وانشاء حقوق لغيره بهذه التصرفات ، وهي تقترن في
 كمالها بالتكليف الشرعي .

ولقد عرفها علماء الأصول تعريفا يعم العبادات والمعاملات فقالوا : انها
 صلاحية الانسان أن تصدر عنه أفعال معتبرة شرعا بحيث يكون مؤاخذا بها ،
 فيصدر عنه تصرفات شرعية ملزمة ، ومناط هذه الأهلية هو العقل ، فاذا كمل العقل
 ثبتت أهلية أداء كاملة (٤) .

=====

(١) لسان العرب : ٣٠ / ١١ . (٢) سورة الأحزاب : الآية ٧٢ .

(٣) كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام البزدوى لعلاء الدين عبد العزيز أحمد

البخارى المتوفى سنة ٧٣٠ هـ ، ٢٣٧ / ٤ .

(٤) أصول الفقه ص ٣٢٩ الى ٣٣٣ ، للشيخ محمد أبو زهرة المصرى .

ان هذه الأهلية التي يسميها علماء الأصول أهلية أداء كاملة ، والتي هي موضع التكليف الشرعي هي موضوع بحثنا في هذا الفصل ، وأبحث فيه عن شروط هذه الأهلية لوجوب التكليف وثبوت المسؤولية .

وقد ثبت بهذا بأن الصلة بين الأهلية وبين التكليف والمسؤولية وثيقة ،

٢ = أسس المسؤولية والجزاء وبعض مظاهرهما عند أقوام غير اسلامية

.....

..... قبل أن تتأثر بأصول الشريعة الاسلامية العادلة :

بين الدكتور عبد الواحد وافي بالتفصيل في كتابه (المسؤولية والجزاء) ، مظاهر مسؤولية الجمادات والحيوانات والأطفال والأموات والمجانين عند قدماء اليونان والأوروبيين والجرمان والفرس والصينيين والمصريين ، ومحاكمتها على الجرائم وادانتها ، اذا ثبتت ثم تنفيذ العقوبات فيها كما تقضي المحكمة ، فان دل هذا على شيء ، انما يدل على أن ثبوت المسؤولية عند هؤلاء ما كانت مبنية على الانسانية والعقل والبلوغ والاستطاعة والاختيار والعلم بالواجب .

بخلاف الشريعة الاسلامية فانها اشترطت هذه الشروط لاثبات المسؤولية وطبقها منذ أربعة عشر قرناً ، وان كانت منذ عهد قريب قد تغيرت الأسس فـ في أغلب القوانين الوضعية متأثرة بالتشريع الاسلامي وأصبحت تقارب الشريعة الاسلامية في اشتراط مثل هذه الشروط .

فقال الدكتور عبد القادر عودة : وأسس المسؤولية في القوانين الوضعية هي نفس الأسس التي تقوم عليها المسؤولية في الشريعة الاسلامية ، ولا تخالف الشريعة الا القوانين التي تقيم نظرية المسؤولية على فلسفة الجبر ، وعدد هذه القوانين محدود والقوانين الوضعية عامة لم تكن كذلك قبل الثورة (١) الفرنسية

=====

(١) حدثت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م وخلصت الفرد من الظلم السياسي ،

والاجتماعي ، انظر للتفصيل " موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير =

فقد كان للمسؤولية الجنائية في ذلك الوقت معنى آخر وهو : أن يتحمل الفاعل أيا كان نتيجة فعله سواء كان انسانا أو غير انسان ، مختارا أو غير مختار ، مميزا أو غير مميز ، فكان أغلب القوانين الوضعية تسير الآن في نفس الطريق الذي سلكته الشريعة الاسلامية من ثلاثة عشر قرنا (١) .

وشروط أهلية التكليف وتحقق المسؤولية في الاسلام خمسة :

(العقل ، البلوغ ، الاستطاعة ، حرية الاختيار ، بلوغ الدعوة ،) ،

وفيما يلي أدلة كل شرط من الكتاب والسنة :

١ : العقل :

.....

ان الله تعالى خلق الانسان وأكرمه بنعمة العقل وجعله شرطا أساسيا في تكليف الانسان ، واثبات المسؤولية عليه بأن وجه تعالى خطاب التكليف والمسؤولية الى أولي الألباب العقلاء لأنهم يفهمون خطابات الأوامر والنواهي ، وغسيهم لا يفهمون فهما كافيا ، وبالتالي لا يستطيعون الامتثال المطلوب ، فان الله عز وجل بعد أن بين في القرآن الكريم أهم التكاليف وهو وجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده ونهى عن أكبر المحرمات وأعظم الظلم وهو الشرك بالله الواحد ، وأمر بالاحسان الى الوالدين ونهى عن قتل الأولاد وعن الفواحش عامة ما ظهر منها وما بطن ، وعن قتل النفس الا بالحق ، قال تعالى ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ (٢) .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم كتاب الاسلام ودستوره ، وفيه بيان أصوله وتشريعاته وبيان أسباب سعادة البشرية كلها في الدارين ، فان القرآن الكريم هداية ورحمة ونور ، ولكن لا يستطيع أن يستفيد بأنواره الا من عنده عين العقل

=====

= المادى للتاريخ ، للأستاذ أحمد العوايشة ، الكتاب الرابع والعشرون

لجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ط ١ ١٤٠٢ هـ ، ص ٩٣ و ٩٤ .

(١) التشريع الجنائي الاسلامي ١ / ٣٩٢ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥١ .

السليم ، فان العقل من القرآن والشريعة بمنزلة بصر العين في جسم الانسان ، فاذا كان عند الانسان عين سليمة فانه يستفيد بنور الشمس والنار ، فكذلك من عنده نور العقل فيستطيع أن يستفيد بنور الكتاب والسنة ، فلهذا خاطب الله تعالى العقلاء * لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون * (١) ، * فاتقوا الله ييا أولي الألباب * (٢) .

فعلم بهذا أن العقل شرط أساسي من شروط التكليف وتحقق المسؤولية وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى ، فروى أبو داود والترمذى وابن ماجه ، واللفظ لأبي داود عن ابن عباس رضي الله عنه قال :

أتى عمر رضي الله عنه بجنونة قد زنت ، فاستشار فيها أناسا ، فأمر بها عمر أن ترجم فمر بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : ما شأن هذه ، قالوا : جنونة بني فلان زنت ، فأمر بها عمر أن ترجم ، قال : فقال : ارجعوا بها ، ثم أتاه فقال : يا أمير المؤمنين : أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة ، عن المجنون حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يعقل ؟ قال : بلى ، قال : فما بال هذه ترجم ، قال : لاشيء ، قال : فأرسلها ، قال : فأرسلها ، قال : فجعل يكبر .

وفي رواية عند أبي داود قال علي رضي الله عنه : أما تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ثم ذكر الحديث) (٣) .

=====

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٠ . (٢) سورة المائدة : الآية ١٠٠ .

(٣) سنن أبي داود ، الحدود رقم الحديث ٤٣٩٩ - ٤٤٠١ ، ج ٤ / ١٤٠ ، وأخرجه الترمذى في الحدود وقال : والعمل على هذا الحديث عند أهل

العلم رقم الحديث ١٤٢٣ ، ٣٢ / ٤ ، وسنن ابن ماجه ، الطلاق ،

رقم الباب ١٥ ، رقم الحديث ٢٠٤١ ، ورواه البخارى في الطلاق معلقا

رقم الباب ١٠ ، ٢٠١٨ / ٥ وقال الحافظ ابن حجر في شرحه : وأخذ

بمقتضى هذا الحديث الجمهور . (فتح البارى ٩ / ٣٩٣) .

وقال الشوكاني في هذا الحديث : وان كان في طرقة مقال ، لكنه باعتبار كثرة طرقة من قسم الحسن وباعتبار تلقي الأمة له بالقبور صار دليلاً قطعياً (١) .
وقال السيوطي : صحيح (٢) .

وقال المناوي في شرحه : رفع القلم : كناية عن عدم التكليف ، وقال ابن حبان : المراد برفع القلم ترك كتابة الشرع عليهم دون الخير ، فالمرفوع عن الصبي قلم المواخذة لا قلم الثواب ، وقال الحاكم : هذا الحديث على شرط الشيخين (٣) .
فان العقل شرط أساسي من شروط أهلية التكليف وتحقق المسؤولية عند جميع أهل السنة والجماعة وهو الحق .

وقد ضلت المعتزلة الصراط المستقيم اذ قالوا : ان العقل علة موجبة بالذات فاذا وجدت العلة وجد الحكم وهو التكليف ، فيتوجه التكليف في زعمهم من نظر العقل بدلا من الله الحاكم عز وجل ، وازدادوا ضلالة اذ قالوا : لا يجوز بدليل شرعي أن يثبت الشيء الذي لا يدركه العقل أو يقبحه .

فقال فخر الاسلام البزدوى : قالت المعتزلة ان العقل علة موجبة لما استحسنه محرمة. لما استقبحه على القطع والبتات فوق العلة الشرعية فلم يجوزوا أن يثبت بدليل شرعي ما لا تدركه العقول أو تقبحه ، وجعلوا الخطاب متوجها بنفس العقل (٤) .

=====

(١) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني توفي ١٢٥٠ هـ ،
صفحة ١١ .

(٢) الجامع الصغير المطبوع مع فيض القدير ، رقم الحديث ٤٤٦٣ .

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير : عبد الرووف المناوي ٣٥ / ٤ .

(٤) أصول فخر الاسلام البزدوى وهو علي بن محمد بن الحسين (٤٠٠ - ٤٨٢)

هـ ، المطبوع في حاشية شرحه كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام البزدوى ،

لعلاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري المتوفي ٧٣٠ هـ ، ٢٢٩ / ٤ - ٢٣٠ .

وهكذا جعل هؤلاء أساس دينهم عقولهم الفاسدة ، وجعلوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المعصوم تابعين لها .

وقد أسست المعتزلة هذا الباطل على أصل فاسد وهو أن تحسين الأشياء وتقبيحها من وظيفة العقل فقط وفي كل شيء حسي وغيبى .

نعم ، قد يعرف حسن بعض الأشياء وقبحها بالعقل كما بين هذا شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه النبوات (١) والامام ابن القيم بالتفصيل (٢) .
لأن بعض الأفعال مشتملة على أوصاف تقتضي حسنها وقبحها كالأحسان الى الوالدين واليتامى ، وكالزنا وقتل النفس ظلما ، والشرك بالله سبحانه .

ولكن العقل لا يعمل هذا العمل في كل الأشياء والقضايا وخاصة في الغيبات وأصول الدين فلا يستطيع أن يوجب شيئا ، فلا يوجب به الايمان بمعنى اثبات التكليف والزام المسؤولية ، لأن المكلف والموجب والملزم هو الله الخالق الحاكم وحده فقط ، الا أن العقل دال ومرشد على وجود الخالق وتوحيده ، وبه يعلم ويفهم ماكلف الله به عباده ، فهو من أهم الشروط لوجوب التكليف من الله تعالى بجانب شروط أخرى كالبلوغ والاستطاعة وحرية الاختيار وبلوغ الدعوة .

فأساس كل ضلالات المعتزلة ومن يسلك مسلكهم هو تقديم عقولهم الفاسدة التي أفسدتها فلسفة اليونان ومنطقها على شرع الله الحكيم وتحكيمها في أصول دينه فهؤلاء هم أسرى عقولهم ، وفي الواقع لا يتبعون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما جاء بها ، بل يتبعون أهواءهم باسم حجة العقل ونظره ، ويحرفون شرع الله العليم القطعي بتأويلات فاسدة (٣) .

=====

- (١) انظر كتاب : النبوات فصل (القرآن مصدر الدين) ص ٢٤٠ .
(٢) مدارج السالكين عنوان : بطلان نفي التحسين والتقبيح ١ / ٢٥٣ - ٢٦٣ .
(٣) على سبيل المثال تأويلات القاضي عبد الجبار المعتزلي الفاسدة لكثير من الآيات والنصوص القطعية في كتابه المغني ١٢ / ١٧٧ .

فيجب الحذر من هؤلاء العقليين ومن يسلك مسلكهم ، ونسأل الله أن يحفظنا من شرور أنفسنا وعقولنا وأعمالنا ، ويهدي الجميع الى الصراط المستقيم وهو اتباع كتاب الله ، القرآن الكريم وسنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم اتباعا كاملا .

٢ : البلوغ :

.....

ان الشرط الثاني من شروط التكليف وتحقيق المسؤولية بلوغ السن ، وهذا الشرط في الحقيقة بمثابة دليل وعلامة على تكامل العقل عادة .

قال الامام البخارى : باب بلوغ الصبيان وشهادتهم ، وقول الله تعالى * واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا * (١) .

وقال مغيرة : احتلمت وأنا ابن اثني عشرة سنة ، وبلوغ النساء في الحيض .

(ثم روى البخارى) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : ان

رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ، ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني قال نافع فقد مت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته هذا الحديث فقال : ان هذا كحد بين الصغير والكبير ، وكتب الى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة (٢) .

وقال النووى في شرح حديث ابن عمر هذا :

هذا دليل لتحديد البلوغ بخمس عشرة سنة وهو مذهب الشافعي والأوزاعي

وأحمد وغيرهم ، قالوا : باستكمال خمس عشرة سنة يصير مكلفا وان لم يحتلم فتجرى عليه الأحكام من وجوب العبادة وغيره . . وفيه دليل على أن الخندق كانت سنة أربع من الهجرة وهو الصحيح (٣) .

=====

(١) سورة النور : الآية ٥٩ .

(٢) صحيح البخارى : الشهادات رقم الباب ١٨ ، رقم الحديث ٢٥٢١ ، ،

وأخرجه مسلم في الامارة باب بيان سن البلوغ ، رقم الحديث ١٨٦٨ ، ٣ / ١٤٩٠ .

(٣) شرح صحيح مسلم للامام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى =

وقال تعالى * وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح * (١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : قال مجاهد : يعنى الحلم ، قال الجمهور : البلوغ في الغلام تارة يكون بالحلم وهو أن يرى في منامه ما ينزل به الماء الدافق الذي يكون منه الولد ، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رفع القلم عن ثلاثة ، الصبي حتى يحتلم ، أو يستكمل خمس عشرة سنة ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق (٢) .
وأخذوا ذلك من الحديث الثابت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه المتقدم قريبا .

واختلفوا في نبات الشعر الخشن حول الفرج وهي الشعرة ، هل يدل على البلوغ أم لا ؟

والصحيح انها بلوغ في الجميع (أهل الذمة والمسلمين) لأن هذا أمر جبلي يستوى فيه الناس ، ثم قد دلت السنة على ذلك في الحديث الذي رواه الامام أحمد عن عطية القرظي قال : عرضنا على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فأمر من ينظر : من أنبت قتل ومن لم ينبت خلى سبيله ، فكنت فيمن لم ينبت فخلى سبيلي (٣) ، وقد أخرجه أهل السنن بنحوه (٤) وقال الترمذى : حسن صحيح (٥)(٦)

=====

(٦٣١ - ٦٧٧) هـ ج ١٣ / ١٢ ، وانظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للامام

الذهبي ٤ / ١٤٧٠ ، رقم الترجمة ١١٦٢ .

(١) سورة النساء : الآية ٦ . (٦) تفسير ابن كثير ١ / ٤٥٢ و ٤٥٣ .

(٢) مسند الامام أحمد ٦ / ١٠٠ و سنن أبي داود رقم ٤٣٩٨ .

(٣) مسند الامام أحمد ٤ / ٣١٠ .

(٤) سنن أبي داود : الحدود رقم الحديث ٤٤٠٤ ، ٤ / ١٤١ ، .

(٥) أخرجه الترمذى في السير وقال بعد أن حسنه و صححه : والعمل على هذا

عند بعض أهل العلم أنهم يرون الانبات بلوغا ان لم يعرف احتلامه ولا سنه

وهو قول أحمد واسحاق رقم الباب ٢٩ ورقم الحديث ١٥٨٤ ، ٤ / ١٤٥ .

وسنن ابن ماجه : الحدود ، باب من لا يجب عليه الحد ، رقم الحديث ٢٥٤١

فقد دلت هاتان الآيتان وهذه الأحاديث الصحيحة أن من احتلم أو بلغ خمس عشرة سنة أو نبتت عانته - وهذا في الرجال والنساء - ، وإذا كانت امرأة فحاضت أو حملت فيتحقق التكليف وتثبت المسؤولية عليه وعليها إذا وجدت شروط أخرى أيضا ، وقد فصل هذا ابن قدامة وأجاد (١) .

٣ : القدرة والاستطاعة :

.....

قال الله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ (٢) .

قال الامام مسلم : باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف الا ما يطاق ، ثم روى بسنده عن أبي هريرة قال : لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ (٣) قال : فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا : أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليس لك المصير ، قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ، فأنزل الله عز وجل : لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا (قال : نعم) ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين

=====

(١) المغني : لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المتوفى ٦٢٠ هـ ،

٥٠٨ / ٤ الى ٥١٢ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ . (٣) سورة البقرة : الآية ٢٨٤ .

من قبلنا (قال : نعم) ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به (قال : نعم) واعف
عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (قال : نعم) (١) .
ثم روى الامام مسلم عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية * وان تبسدا
ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله * قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل
قلوبهم من شيء فقال النبي^ص : قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا ، قال : فألقى الله
الايمن في قلوبهم فأنزل الله تعالى * لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، (قال : قد فعلت)
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا (قال : قد فعلت)
واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا (قال : قد فعلت) (٢) .

وقال ابن جرير الطبري : ان الوسع اسم من قول القائل : وسعني هذا
الأمر مثل الجهد والوجد من (جهدني هذا الأمر ووجدت منه) .
ويعني بقوله جل ثناؤه * لا يكلف الله نفسا الا وسعها * فلا يتعبدها الا
بما يسعها فلا يضيق عليها ولا يجهدها كما حدثني المشي قال : حدثنا عبد الله
قال : حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله تعالى * لا يكلف الله نفسا الا
وسعها * قال : هم المؤمنون وسع الله عليهم أمر دينهم فقال جل ثناؤه :
* وما جعل عليكم في الدين من حرج * (٣) ، وقال * يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر *^(٤) وقال * فاتقوا الله ما استطعتم * (٥) (٦) .

=====

- (١) صحيح مسلم : الايمان ، رقم الحديث المسلسل ١٢٥ .
- (٢) صحيح مسلم : الايمان ، رقم الحديث المسلسل ١٢٦ .
- (٣) سورة الحج : الآية ٧٨ . (٤) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .
- (٥) سورة التغابن : الآية ١٠٦ .
- (٦) تفسير ابن جرير الطبري ٣ / ١٥٤ .

وروى الامام البخارى عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : كانت لسي
بواسير فسألت النبي عن الصلاة فقال : صل قائما ، فان لم تستطع فقعاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب (١) .

وقال ابن العربي في تفسير هذه الآية * لا يكلف الله نفسا الا وسعها *
هذا أصل عظيم في الدين ، وركن من أركان شريعة المسلمين ، شرفنا الله
سيحانه على الأم بها فلم يحملنا اصرا ولا كلفنا في مشقة أمرا . . . وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم : دعوني ما تركتكم انما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم
على أنبيائهم ، فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بأمر فاتوا منه
ما استطعتم (٢) (٣) .

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية * لا يكلف الله نفسا الا وسعها * ، أي
لا يكلف فوق طاقته وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم واحسانه اليهم (٤) .
ثبت بهذه النصوص من الكتاب والسنة وواقع التشريع الاسلامي بأن الله
الكريم لم يكلف عباده بما لا يطاق .

فلهذا اتفق علماء الاسلام أن قدرة المكلف على ما يكلف به شرط لازم من
شروط التكليف وتحقق المسؤولية ، فقال صاحب مسلم الثبوت في أصول الفقه محب
الله بن عيدا لشكور : القدرة شرط التكليف اتفاقا (٥) ، وقال أبو اسحاق الشاطبي :
ثبت في الأصول أن شرط التكليف . . . القدرة على المكلف به (٦) .

=====

- (١) صحيح البخارى : تقصير الصلاة باب ١٩ ، رقم الحديث ١٠٦٦ .
- (٢) متفق عليه : صحيح البخارى : كتاب الاعتصام ، باب ٢ رقم الحديث ٦٨٥٨
وفي صحيح مسلم : كتاب الفضائل : رقم الحديث المسلسل ٢٣٥٨ .
- (٣) أحكام القرآن ص ٢٦٤ . (٤) تفسير ابن كثير ١ / ٣٤٢ .
- (٥) مسلم الثبوت في أصول الفقه ، المطبوع في حاشية المستصفي للغزالي ١ / ١٣٥ .
- (٦) الموافقات في أصول الشريعة : ١٠٧ / ٢ .

٤ : اختيار الانسان وحرية :
.....

لقد كان من فضل الله وحكمته في تكليف الانسان وتحميل مسؤوليته أن جعله صاحب اختيار وإرادة في اتجاهه الى الخير أو الى الشر ، وعزمه على الطاعة أو على المعصية .

وقد جعل الله تعالى الانسان مختاراً فيما يريد ويعمل ليلوهم أيهم أحسن عملاً ، وليميز الخبيث من الطيب وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ، وقد بينت ثبوت اختيار الانسان وتفسير قوله تعالى ﴿ انا خلقنا^{الانسان} من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ، انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً ﴾ (١) وذلك في فصل : أركان المسؤولية ، الركن الثاني : المسؤول ، وهو الانسان المخلوق المكرم المختار المكلف المسؤول .

وإذا لم يوجد اختيار الانسان أو وجد ولكن سلب منه فلا يكون مكلفاً ، أو لا يبقى مسؤولاً ، وعلى هذا يكون الأكره والخطأ والنسيان من موانع المسؤولية كما قال تعالى ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ (٢) .

قال ابن جرير في سبب نزول هذه الآية : أنها نزلت في عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ففتنهم المشركون عن دينهم فثبت على الاسلام بعضهم وافتتن بعض (ثم روى بسنده) عن ابن عباس أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه ثم تركوه فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى لقي من قريش وقال : فأنزل الله تعالى عذره في هذه الآية . . .

=====

(١) سورة الانسان : الآية ٢ - ٣ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٠٦ .

وقال ابن عباس : فأخبر سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم ، فأما من أكره على الكفر فتكلم به لسانه وخالف قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه لأن الله سبحانه إنما يؤاخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم (١) .

ولعل ابن عباس أشار إلى قوله تعالى * وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله عفورا رحيمًا * (٢) ، وقوله تعالى * لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حلِيم * (٣) .

وقال ابن العربي في تفسير قوله تعالى * إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان * لما سمح الله تعالى في الكفر به وهو - أي وجوب الإيمان وحرمة الكفر - أصل الشريعة عند الإكراه ولم يؤاخذ به حمل العلماء عليه فروع الشريعة ، فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤاخذ به ولا يترتب حكم عليه ، وعليه جاء الأثر المشهور : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، والخبر وإن لم يصح سنده فإن معناه صحيح باتفاق من العلماء (٤) .

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى * ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا * (٥) أي إن تركنا فرضا على جهة النسيان أو فعلنا حراما كذلك ، أو أخطأنا أي الصواب في العمل جهلا منا بوجهه الشرعي ، وقد تقدم من حديث صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الله : نعم (٦) .

=====

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير ابن جرير الطبري ج ١٤ /

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥ . ١٨٢ - ١٨١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٥ .

(٤) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ٣ / ١١٨٠ -

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ . ١١٨١ .

(٦) صحيح مسلم : الإيمان ، رقم الحديث ١٢٥ .

وعن ابن عباس قال الله تعالى : قد فعلت (١) .

وروى ابن ماجه عن محمد بن المصفي الحمصي حدثنا الوليد بن مسلم ،
حدثنا الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس عن النبي قال : ان الله وضع عن أمي الخطأ
والنسيان وما استكرهوا عليه (٢) ، وقد روى عن طريق آخر وأعله أحمد ، والله أعلم .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن ابراهيم ، حدثنا أبو
بكر الهذلي عن شهر عن أم الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله
تجاوز لي لأمتي عن الخطأ والنسيان والاستكراه .

قال أبو بكر : فذكرت ذلك للحسن فقال : أجل ، أما تقرأ بذلك قرآنا
* ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا * (٣) .

وقد أشار الامام البخارى الى صحة معنى هذا الحديث فقال : باب الطلاق
في الاغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما والغلط والنسيان في الطلاق والشرك
 وغيره لقول النبي صلى الله عليه وسلم : الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى ، وتلا
الشعبي * ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا * ، وقال النبي للذي أقر
على نفسه : أبك جنون ؟ ، وقال عثمان ليس لمجنون ولا لسكران طلاق ،
وقال ابن عباس : طلاق السكران والمستكره ليس بجائز (٤) .

وقال ابن حجر : اشتملت هذه الترجمة على أحكام يجمعها أن الحكم انما
يتوجه على العاقل المختار العامد الذاهر ، وشمل ذلك الاستدلال بالحديث
(الأعمال بالنية) لأن غير العاقل المختار لانية له فيما يقول أو يفعل ، وكذلك
الغالط والناسي والذي يكره على الشيء

=====

- (١) صحيح مسلم : الايمان ، رقم الحديث ١٢٦ .
- (٢) سنن ابن ماجه : الطلاق ، رقم الباب ١٦ ، رقم الحديث ٢٠٤٥ .
- (٣) تفسير ابن كثير : ٣٤٢/١ - ٣٤٣ .
- (٤) صحيح البخارى : الطلاق ، رقم الباب ١٠ ، ٢٠١٨/٥ .

وقوله (الاغلاق) الاكراه على المشهور ، لأن المكروه يتغلق عليه أمره ، ويتضيق عليه تصرفه وذهب الجمهور الى عدم اعتبار مايقع فيه أى في الاكراه واحتج عطاءً بآية النحل ﴿ الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ (١) ، قال عطاء : الشرك أعظم من الطلاق ، أخرجه سعيد بن منصور بسند صحيح .
 وقرره الشافعي بأن الله كما وضع الكفر عن تلفظ به حال الاكراه وأسقط عنه أحكام الكفر فكذلك يسقط عن المكروه ما دون الكفر لأن الأعظم اذا سقط سقط ما هو دونه بطريق الأولى ، والى هذه النكتة أشار البخارى بعطف الشرك على الطلاق في الترجمة

وأشار البخارى بقوله : الغلط والنسيان الى الحديث الوارد عن ابن عباس مرفوعاً : ان الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، فانه سوى بين الثلاثة في التجاوز والحديث قد أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان (٢) .
 وأخرج النووي هذا الحديث في الأربعين النووية وقال : حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما

فان هذا الحديث حسن ولم يصل باعتبار سنده الى درجة الصحة ، ولكن معناه صحيح ، فالمسؤولية بمعنى التأثيم والمؤاخذة مرفوعة بالاتفاق ، وسقوط الآثار والنتائج والأحكام تختلف بحيث الحوادث لأن المؤاخذه عند الله على العقل والعمد والاختيار ، ويؤكد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم : (اذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه) رواه الشيخان عن أبي هريرة (٣) .

=====

(١) سورة النحل : الآية ١٠٦ .

(٢) فتح البارى ٩ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٣) متفق عليه واللفظ للبخارى : الصوم رقم الباب ٢٦ ورقم الحديث ١٨٣١ ، ،
 وصحيح مسلم : الصوم ، رقم الباب ٣٣ (أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر)
 رقم الحديث غير المكرر ١١٥٥ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به) (١) ، رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة
 ه : بلوغ الدعوة :

ان الشرط الخامس لتحقيق مسؤولية التكليف بلوغ الدعوة من الله عز وجل عن طريق رسله ، قال تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾ (٢) .

قال ابن جرير : يقول تعالى : أرسلتهم رسلا الى خلقي وعبادى مبشرين بثوابي من أطاعني واتبع أمرى وصدق رسلي ﴿ ومنذرين ﴾ عقابي من عصاني وخالف أمرى وكذب رسلي ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ يقول تعالى : أرسلت رسلي الى عبادى مبشرين ومنذرين لئلا يحتج من كفر بي وعبد الأنداد من دوني أو ضل عن سبيلي بأن يقول ان أردت عقابه ﴿ لولا ^{بنا} أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ﴾ (٣) .

فقطع حجة كل مبطل أحد في توحيدهِ وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة عذره اعدارا منه بذلك اليهم لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه (٤) .

وإذا كان بلوغ الدعوة من الله عز وجل عن طريق رسول منه تعالى شرطا من شروط تحقيق مسؤولية التكليف عند أهل الحق ، فان الله تعالى لا يعذب أحدا من خلقه لافي الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد اتمام الحجة عليه بارسال رسول مبشر

=====

- (١) صحيح مسلم : الايمان ، رقم الباب ٥٨ ، رقم الحديث ١٢٧ .
 (٢) سورة النساء : الآية ١٦٥ . (٣) سورة طه : الآية ١٣٤ .
 (٣) تفسير ابن جرير الطبرى المجلد الرابع ج ٦ / ٣٠ .

ومندر منه عز وجل كما قال تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * (١) .

قال ابن جرير الطبري : يقول تعالى ذكره وما كنا مهلكي قوم الا بعسد

الاعذار اليهم بالرسول واقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم .

ثم روى بسنده عن قتادة : ان الله تعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق اليه

من الله خبر أو يأتيه من الله بينة ، وليس معذبا أحدا الا بذنبه .

ثم قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن

ثور عن معمر عن قتادة عن أبي هريرة قال : اذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى

نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيخ الذين جاء الاسلام

وقد خرفوا ثم أرسل رسولا أن ادخلوا النار ، فيقولون كيف ولم يأتنا رسول وايم

الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ، ثم يرسل اليهم فيطيعه من كان يريد

أن يطيعه قبل ، قال أبو هريرة اقرأوا ان شئتم * وما كنا معذبين حتى نبعث

رسولا * (٢) .

وقال ابن كثير : وقوله تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * اخبار

عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه بارسال الرسول

اليه كقوله تعالى * كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا :

بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير * (٣)

الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار الا بعد

ارسال الرسول اليه .

ثم ذكر ابن كثير عدة أحاديث في اثبات ذلك منها حديث امتحان الأربعة

الذي رواه الامام أحمد وابن جرير وغيرهما ثم أثبت صحة سنده ومعناه ، ورد على

=====

(١) سورة الاسراء : الآية ١٥ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ، المجلد ٨ ، ج ١٥ / ٥٤ .

(٣) سورة الملك : الآية ٨ و ٩ .

من طعن فيه ، فبعد أن ذكره عن الامام أحمد قال :

ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد من حديث أحمد بن اسحاق عن علي بن عبد

الله المدني وقال : هذا اسناد صحيح (١) .

(وردا على من ضعف أحاديث الامتحان في الآخرة قال ابن كثير) : ان

أحاديث هذا الباب أى باب الامتحان في الآخرة لاتمام الحجة ، منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن . ١ . هـ (٢) .

وقد أخذ جمهور العلماء هذا الحديث ومقتضاه منهم الامام ابن القيم (٣)

والعلامة الشنقيطي (٤) .

ومما يؤكد كون بلوغ الدعوة شرطا لتحقيق المسؤولية أمره للمجاهدين قبل القتال

أن يبلغوا العدو ودعوة الاسلام وخاصة اذا لم تبلغه من قبل ، فجاء في حديث

سليمان بن بريدة عن أبيه في صحيح مسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين

خيرا ، ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا

تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ، واذا لقيت عدوك من المشركين

فادعهم الى ثلاث خصال : فأيتهم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم الى

الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فسلمهم الجزية ، فان

هم أجابوك فاقبل منهم وكف فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . . الحديث (٥) .

=====

(١) انظر : كتاب الاعتقاد للامام البيهقي ص ٧٧ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٨ - ٣٢ .

(٣) قال ابن القيم : مذهب امتحان من لم تبلغه الدعوة قول جميع أهل السنة

والحديث حكاه الأشعري عنهم في كتاب الابانة (انظر : الابانة بتحقيق

دكتورة فوقية ص ١٩٤) ، أحكام أهل الذمة ٢ / ٦٤٩ .

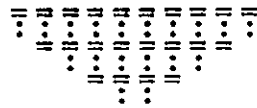
(٤) انظر تفسيره : أضواء البيان ٣ / ١٤٠ .

(٥) صحيح مسلم : الجهاد رقم الباب ٢ ، رقم الحديث ١٧٣١ .

فالمكلف المسؤول في الاسلام هو العاقل البالغ القادر المختار ، العالم بما
يجب عليه من المسؤوليات نحو ربه الخالق ، ونحو اخوانه ودينه وأمه ،

معنى بلوغ الدعوة :

قال ابن حزم : قال الله تعالى ﴿ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا ﴾ (١) هذا عموم لا يجوز أن يخص منه أحد ، وقال تعالى ﴿ أحيسب
الانسان أن يترك سدى ﴾ (٢) فأبطل سبحانه أن يكون أحد سدى .
والسدى : هو المهمل الذي لا يؤمر ولا ينهى ، فأبطل عز وجل هذا الأمر
ولكنه معذور بجهله و مغيبه عن المعرفة فقط ، وان من بلغه ذكر النبي حيث
ماكان من أقاصي الأرض ففرض عليه البحث عنه ، فاذا بلغته نذارته ففرض عليه
التصديق به واتباعه وطلب الدين اللازم له ، والخروج عن وطنه ، لذلك والا فقد
استحق الكفر والخلود في النار والعذاب بنص القرآن (٣) . وقال تعالى :
﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ﴾ (٤) .



=====

- (١) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .
- (٢) سورة القيامة : الآية ٣٦ .
- (٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل : للامام أبي محمد علي بن أحمد بن
حزم الظاهري المتوفي سنة ٤٥٦ هـ ، ج ٤ / ٦٠ - ٦١ .
- (٤) سورة الأنبياء : الآية ٧ .

الباب الثاني

المسؤولية الفردية نحو الله رب العالمين

- الفصل الأول : مسؤولية العقيدة والعبادة والتوحيد والاتباع
- الفصل الثاني : مسؤولية الصلاة .
- الفصل الثالث : مسؤولية الزكاة .
- الفصل الرابع : مسؤولية الصوم .
- الفصل الخامس : مسؤولية الحج .

(- مدخل الباب -)

ان أولي المسؤوليات وأكبرها وأعظم الواجبات وأهمها على الانسان عبادة الخالق بالايمن بواحدانيته في ألوهيته واتباع رسوله ، والقيام بأوامره سبحانه .
ولبيان هذه المسؤولية - مسؤولية توحيد الألوهية واخلاص العبادة لله تعالى وحده - والدعوة اليها بصفة خاصة قد أرسل جميع الأنبياء والرسل ، وأنزلت الكتب وأخيرا بعث خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوة ، وأنزل عليه القرآن الكريم لبيانها والدعوة اليها .

فان القرآن الكريم قد بين هذه المسؤولية أحسن بيان وأتمها اجمالا وتفصيلا وبلغها خاتم النبيين عليه السلام قولاً وعملاً أحسن تبليغ وأكمله .
وهكذا أتم الله تعالى حجته على عباده بالكتاب المبين الهادي ، وبالرسول المبلغ الأمين البشير النذير * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً * (١) ، * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين * (٢) .
هذا . . وان الأساس في مسؤولية العبادة لله وحده والخضوع التام لحياة الانسان لأمر ربه الاعتقاد بتوحيد الله تعالى في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته لأن محل الايمان والاعتقاد هو القلب ، والقلب ملك الجسم اذا صلح الملك صلح الملك ومن فيه كما قال صلى الله عليه وسلم : ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسدت الجسد كله ألا وهي القلب (٣) .

=====

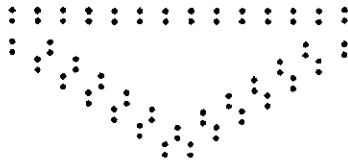
(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٩٢ .

(٣) متفق عليه : صحيح البخارى الايمان ، رقم الباب ٣٧ ورقم الحديث ٥٢ ،

وصحيح مسلم : المساقات ، رقم الحديث ١٥٩٩ .

ولهذا ركز القرآن أولاً على تصفية القلب وتحليلته بالإيمان ، وعلى اصلاح العقيدة وترسيخ التوحيد ، ثم بين لوازمه وحقوقه وما ينافيه ، ولوازم الإيمان وحقوق التوحيد فرائض الله وأوامره تعالى كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وحقوق العباد ، فأهم المسؤوليات للمسلم هي مسؤولية العقيدة وتوحيد العبادة ، ووجوب اتباع الكتاب والسنة ، ثم لوازم التوحيد وحقوقه .



الفصل الأول

مسؤولية العقيدة والعبادة والتوحيد والاتباع

ان عقيدة الايمان بالله الخالق وتوحيده تعالى في ربوبيته وألوهيته ودعائه والاستعانة به والتذلل له عز وجل فطرية في النفوس البشرية ، كما أن العقل السليم يدعو أيضا الى الايمان به ويرشد الى ألوهيته تعالى وعبادته وحده سبحانه - كما بينت ذلك في الباب الأول : فصل أركان المسؤولية - .

وكذلك دعا الى عبادة الله وحده جميع الأنبياء والرسل والكتب وبصورة مفصلة ومكاملة القرآن الكريم وخاتم النبيين شارح القرآن ومبلغه الأمين صلى الله عليه وسلم .

١ = بيان القرآن الكريم وجوب عبادة الله تعالى وحده :

قال تعالى * يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون * (١) .

قال الجوهرى في صحاحه : العبادة الطاعة والتعبد والتسك ، وأصل العبودية الخضوع والتذلل (٢) .

وقال ابن منظور : عبد الله يعبده عبادة تأله له ، وقال الفراء : في قوله تعالى * اياك نعبد * أى نطيع ، الطاعة التي يخضع معها ، وقيل : اياك نوحده ، ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع ، وقال ابن الأنبارى : فلان عابد : وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره ، وقوله * اعبدوا ربكم * أى : أطيعوا ربكم (٣) .

=====

(١) سورة البقرة : الآية ٢١ - ٢٢ .

(٢) الصحاح : لاسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ، ٢ / ٥٠٣ .

(٣) لسان العرب : ٢٧٢ / ٣ - ٢٧٤ .

معنى الآية بايجاز :

ان هذه الآية تبين أول واجب وأهم مسؤولية للانسان نحو ربه عز وجل ، وهو وجوب عبادته تعالى وحده مع الخضوع والتذلل التام له سبحانه ، با مثقال أوامرته واجتناب نواهيه وتصديق خبره ، ولهذه العبادة الجامعة التي أصلها الايمان بالله وتوحيده تعالى بكل معانيه وتصديق رسوله واتباع جميع ما أنزل الله في كتابه وسنة نبيه الصحيحة خلقهم عز وجل * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * (١) ، وهذا الأمر للعبادة أمر عام لجميع الناس .

ثم استدل عز وجل على وجوب عبادته تعالى وحده ببيان نعمائه على عباده ، ثم نهى عن الشرك به فهذه الآية جمعت بين الأمر بالايمان بالله تعالى وتوحيده في العبادة ويطلان عبادة ماسواه .

تفسير الآية :

قال ابن جرير الطبرى : فأمر جل ثناؤه الفريقين (الذين سبق ذكرهما من الكفار والمنافقين) وغيرهم من سائر خلقه المكلفين بالاستكانة والخضوع له بالطاعة ، وافراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة ، لأنه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم من آباءهم وأجدادهم وخالق أصنامهم وآلهتهم ، فقال لهم تعالى : فالذى خلقكم وخلق آباءكم وسائر الخلق غيركم وهو يقدر على ضرركم ونفعكم أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضرر .

وكان ابن عباس فيما روى لنا عنه يقول : في ذلك نظير ما قلنا فيه غير أنه ذكر عنه أنه كان يقول في معنى * اعبدوا ربكم * : وحدوا ربكم .

و فيما مضى من كتابنا هذا أن معنى العبادة الخضوع

لله تعالى بالطاعة والتذلل له بالاستكانة .

=====

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

والذى أراد ابن عباس - ان شاء الله - بقوله : (وحدوه) : أى أفردوا
الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه * لعلمكم تتقون * .

وكان مجاهد يقول * لعلمكم تتقون * : تطيعون ، وقوله * الذى جعل لكم
الأرض فراشا * مردود على * الذى * الأولى فى قوله * واعبدوا ربكم الذى
خلقكم * ، وهما جميعا نعت * ربكم * فكأنه قال : اعبدوا ربكم الخالق والخالق
الذى من قبلكم الجاعل لكم الأرض فراشا ، يعنى بذلك : أنه تعالى جعل لكم
الأرض مهادا وموطئا وقرارا يستقر عليها .

ويذكر ربنا جل ذكره بذلك من قبله زيادة نعمة عندهم ، ليذكروا أياديه
عندهم فينبوا الى طاعته تعطفوا منه تعالى بذلك عليهم ورأفة منه بهم ورحمة لهم ،
من غير حاجة ما منه الى عبادتهم ، ولكن ليتم نعمته عليهم ولعلمهم يهتدون .

وانما سميت السماء سماء لعلوها على الأرض وعلى سكانها من خلقه ، وكل
شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء ، ولذلك قيل (لسقف البيت سماء) .
* وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم * يعنى بذلك أنه
أنزل من السماء مطرا فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه فى الأرض من زرعهم وغرسهم
ثمرات رزقا لهم غذاء وأقواتا ، فنبههم تعالى بذلك على قدرته وسلطانه وذكرهم به
آلاءه لديهم وأنه هو الذى خلقهم وهو الذى يرزقهم ويكفلهم دون من جعلوه له
ندا وعدلا من الأوثان والآلهة .

ثم زجرهم عن أن يجعلوا له ندا مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم وأنه لا نـد
له ولا عدل ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه تعالى فقال * فلا تجعلوا
لله أندادا وأنتم تعلمون * ، فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئا وأن يعبدوا
غيره أو يتخذوا له ندا وعدلا فى الطاعة فقال : كما لاشريك لي فى خلقكم ورزقكم ،
ونعمتي عليكم فكذلك أفردوا لي الطاعة وأخلصوا لي العبادة . . وأنتم تعلمون أنه

لارب لكم غيره تعالى ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم اليه الرسول من توحيده هو الحق لاشك فيه (١) .

وقال ابن كثير * يا أيها الناس اعبدا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * : شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبده باخراجهم من العدم الى الوجود ، واسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة . . ومن أشبه آيات بهذه الآية قوله تعالى :

* الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ، ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى توفكون ، كذلك يوفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ، الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناءا وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ، هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين * (٢) .

ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم ، فهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ، ولهذا قال تعالى * فلا تجعلوا لله أندادا ، وأنتم تعلمون * .

وروى الشيخان واللفظ لمسلم عن معاذ بن جبل قال : كنت رُدُّف النبي

صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الا مؤخرة الرجل فقال : يامعاذ بن جبل ؟ قلت : لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال : يامعاذ بن جبل : قلت لبيك رسول الله وسعديك . . قال : هل تدري ما حق الله على العباد ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم ، قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، ثم سار ساعة ثم قال : يامعاذ بن جبل ؟ قلت : لبيك رسول الله وسعديك

=====

(١) تفسير ابن جرير الطبرى : ١ / ١٦٠ - ١٦٤ .

(٢) سورة غافر : الآية ٦١ - ٦٥ .

قال : هل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ، قلت : الله ورسوله أعلم ،
قال : أن لا يعذبهم (١) .

فهذه الآية دالة على توحيدته تعالى بالعبادة وحده لا شريك له ، فان من
تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطبائعها ،
ومنافعها . . علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه واتقانه وعظيم سلطانه (٢) .

٢ = وجوب توحيد الله الأحد وحرمة الشرك به تعالى والتحذير عنه وعقوبة المشركين :

ان أشد المحرمات وأعظم الظلم وأكبر الكبائر ، وأقبح الذنوب والضلال البعيد
الشرك بالله تعالى والكفر به عزوجل ، قال الامام البخارى في تفسير سورة لقمان :
باب : قوله تعالى على لسان لقمان * لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم * (٣) ، ثم روى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما
نزلت هذه * الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون * (٤)
شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أينا لم يلبس ايمانه
بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليس بذاك ، ألا تسمع السبي
قول لقمان لابنه * ان الشرك لظلم عظيم * (٥) .

وقال الامام البخارى : باب قوله تعالى * فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم
تعلمون * ، ثم روى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت
النبي صلى الله عليه وسلم : أى الذنوب أعظم ؟ عند الله ؟ قال : أن تجعل لله
ندا وهو خلقك ، قلت : ان ذلك لعظيم ، قلت : ثم أى ؟ قال : وأن تقتل ولدك

=====

(١) صحيح مسلم : الايمان رقم الحديث ٣٠ ، وصحيح البخارى : التوحيد ،

رقم الحديث ٦٩٣٨ . (٢) تفسير ابن كثير ١ / ٥٧ - ٥٨ .

(٣) سورة لقمان : الآية ١٣ . (٤) سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

(٥) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٤٩٨ ، وأخرجه مسلم في الايمان

باب : صدق الايمان واخلاصه ، رقم الحديث ١٢٤ .

تخاف أن يطعم معك ، قلت : ثم أى ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك (١) .
وأخرجه مسلم في الايمان : باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها
بعده (٢) .

وقال تعالى * ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ،
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما * (٣) .

قال ابن جرير : ذكر أن هذه نزلت في أقوام ارتابوا في أمر المشركين حتى
نزلت * يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * (٤) .

وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله ، ان شاء عفا عنه
وان شاء عاقبه عليها ما لم تكن الكبيرة شركا بالله عز وجل .

وقوله * ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما * يعني : ومن يشرك بالله
في عبادته غيره من خلقه فقد افترى اثما عظيما أى فقد اختلق اثما عظيما ، وانما
جعله الله مفتريا لأنه قال : زورا وافكا بجحوده بوحداية الله تعالى واققراره بأن
لله شريكا من خلقه وصاحبة أو ولدا ، فقاتل ذلك مفتر (٥) .

ومثله قوله تعالى * ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا * (٦) .

وقال تعالى * وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من
يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * (٧) .

=====

- (١) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٢٠٧ .
- (٢) صحيح مسلم : الايمان : رقم الحديث ٨٦ .
- (٣) سورة النساء : الآية ٤٨ . (٤) سورة الزمر : الآية ٥٣ .
- (٥) تفسير ابن جرير الطبرى ج ٥ / ١٢٥ - ١٢٦ .
- (٦) سورة النساء : الآية ١١٦ .
- (٧) سورة المائدة : الآية ٧٢ .

أى مالهم من أحد ينصر المشركين اذا عذبهم الله تعالى في النار بشركهم بانقاذهم من عذاب الله ، لا بطريق المغالبة ولا بطريق الفدية أو الشفاعة .
وقال تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما * (١) .

قال الامام ابن كثير في تفسير الآيه : أى إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة ، ولهذا قال سبحانه * وندخلكم مدخلا كريما * (٢) ، وقال تعالى * واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا * (٣) ، لأنه تعالى هو الخالق رب العالمين ، والرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآتات والحالات ، فهو المستحق منهم أن يوحدوه في ألوهيته وعبادته وحده ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته ، وهذا كقوله تعالى * وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * (٤) .

فأول الواجبات للانسان في القرآن هو عبادة الله وحده ، وأكبر المحرمات فيه الاشراف بالله ، وأعظم الوصايا لله وللرسول صلى الله عليه وسلم الاجتناب عن الشرك بالله في عبادته تعالى شيئا ، قال تعالى * قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون * (٥) .

قال ابن كثير : قال داود الأودى عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال : من أراد أن ينظر الى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات : * قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا . . . الى قوله - . . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون * (٦) .

=====

- (١) سورة النساء : الآيه ٣١ .
- (٢) تفسير ابن كثير ١ / ٤٨٠ .
- (٣) سورة النساء : الآيه ٣٦ .
- (٤) سورة الاسراء : الآيه ٢٣ .
- (٥) سورة الأنعام : الآيه ١٥١ - ١٥٣ .
- (٦) تفسير ابن كثير : ١٨٧ / ٢ .

وقال سيد قطب في تفسير قوله تعالى ﴿ ألا تشركوا به شيئا ﴾ من هذه الآية (هذه هي) القاعدة التي يقوم عليها بناء العقيدة ، وترجع اليها التكالييف والفرائض وتستمد منها الحقوق والواجبات . . القاعدة التي يجب أن تقوم أولا بأن يعترف الناس بربوبية الله وحده لهم في حياتهم . . ولا يشركوا معه أحدا في ألوهيته . . انها تنقية الضمير من أوشاب الشرك ، وتنقية العقل من أوشاب الخرافة وتنقية المجتمع من تقاليد الجاهلية ، وتنقية الحياة من عبودية العباد للعباد ، فان الشرك - في كل صورته - هو المحرم الأول لأنه يجر الى كل محرم ، فـان التوحيد - على اطلاقه - لهو القاعدة الأولى من أجل ذلك تبدأ الوصايا كلها بهذه القاعدة (١) .

وقال الامام ابن القيم : ولما كان الشرك أظلم الظلم وأقبح القبائح ، وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء الى الله تعالى وأكرهها له ، وأشدّها مقتا لديه ، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه ، وأخبر أنه لا يغفره وان أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه ﴿ انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ (٢) .

وحرم ذبائحهم ومناكحتهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين ، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين ، لأن الشرك هضم لحق الربوبية وتنقيص لعظمة الالهية وسوء ظن برب العالمين كما قال تعالى ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركيات الظانين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ (٣) ، فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الشرك ، فانهم ظنوا بالله ظن السوء

=====

(١) في ظلال القرآن : ٣ / ١٢٢٩ - ١٢٣٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٢٨ .

(٣) سورة الفتح : الآية ٦ .

حتى أشركوا به سبحانه ، ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيدده ، ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين بأنهم ما قدروه حق قدره في ثلاث مواضع من كتابه ، ومنها قوله تعالى :

- * وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون * (١) .

وكيف يقدره حق قدره من جعل له عز وجل عدلا وندا يخافه ويحبه ويرجوه ، ويذل له ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته ؟ ، قال تعالى * ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله * (٢) ، * الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون * (٣) ، أى يجعلون له عدلا في العبادة والمحبة والتعظيم .

وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله الخالق وبين آلهتهم ، وعرفوا - وهم في النار - أنها كانت ضلالا وباطلا فيقولون لآلهتهم وهم في النار معهم * تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ، وما أضلنا الا المجرمون فمالنا من شافعين ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين * (٤) . (٥)

٣ = شهادة الله تعالى بتوحيدده وهو أكبر الشهداء وأعظمهم :

* شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وألوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام * (٦)

=====

(١) سورة الزمر : الآية ٦٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٥ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١ . (٤) سورة الشعراء : الآية ٩٧ - ١٠٢ .

(٥) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١ / ٦٠ - ٦١ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٨ و ١٩ .

قال ابن منظور : شهد الرجل شهادة على كذا والشهادة خبر قاطع ،
 وقولهم : أشهد بكذا أى احلف .
 وقال أبو بكر بن الأنبارى في قول المؤذن : أشهد أن لا اله الا الله ،
 أعلم أن لا اله الا الله وأبين أن لا اله الا الله .
 وأشهد أن محمدا رسول الله ، أى : أعلم أن محمدا رسول الله وأبين أن
 محمدا رسول الله .

وقوله عز وجل * شهد الله أنه لا اله الا هو * ، قال أبو عبيدة : معنى شهد
 الله قضى الله أنه لا اله الا هو وحقيقته علم الله وبين الله لأن الشاهد هو العالم
 الذى يبين ما علمه ، فالله قد دل على توحيدہ بجميع ما خلق فبين أنه لا يقدر
 أحد أن ينشئ شيئا واحدا مما أنشأ ، وشهدت الملائكة لما عاينت من عظيم قدرته
 وشهد أولوا العلم بما ثبت عندهم وتبين من خلقه الذى لا يقدر عليه غيره (١) .
 وقال الراغب : فشهادة الله تعالى بوحدانيته هي ايجاد ما يدل على وحدانيته
 في العالم وفي نفوسنا كما قال الشاعر :

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد (٢) .

القراءات :

قال مكي بن أبي طالب : قوله * ان الدين عند الله الاسلام * قرأه الكسائي
 بفتح الهمزة وكسرهما الباقيون ، ووجه قراءة الكسائي أنه جعل الكلام متصلا بما قبله
 لأن التوحيد والعدل هو الاسلام ، والكسر على الابتداء والاستئناف (٣) .

=====

- (١) لسان العرب : ٢٣٩ / ٣ .
- (٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٨ .
- (٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٣٣٨ .

فهذه أجل الشهادات الصادقة من الملك العظيم ، ومن الملائكة ، ومن أهل العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيد الله تعالى في ألوهيته ، وربوبيته وقيامه بالقسط في حكمه وشرعه وقدره .

وشهادة الله تعالى أكبر الشهادات وأعظمها * وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم * (١) ، * وكفى بالله شهيدا * (٢) .

فتوحيد الله تعالى ووجوب عبادته وحده ودينه الاسلام وجزاؤه قد ثبت ثبوتاً لا ريب فيه وهو أعظم الحقائق وأوضحها وأثبتها ، وقد أقام الله على ذلك من البراهين والأدلة في الكون والآفاق والأنفس ما لا يمكن احصاؤه وبينه في كتبه ، وألزم عباده على لسان رسله ، فيجب على الانسان المكلف المسؤول العمل بمقتضى هذه الشهادة وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وقد فسر الامام ابن القيم هذه الآية تفسيراً قيماً وقال :

تضمنت هذه الآية اثبات حقيقة التوحيد ، وأجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود ، وعبارات السلف في (شهد) تدور على الحكم والقضاء ، والاعلام ، والبيان ، والاخبار (٣) .

ثم بين الامام بالتفصيل حكم الله تعالى وقضائه واعلامه وبيانه واخباره والزامه بتوحيده عز وجل في ألوهيته وعبادته .

وقال ابن كثير في تفسير الآية : شهد تعالى وكفى به شهيدا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين أنه لا اله الا هو أي المنفرد بالألوهية لجميع

=====

- (١) سورة الأنعام : الآية ١٨ و ١٩ .
- (٢) سورة الفتح : الآية ٢٨ .
- (٣) التفسير القيم : ص ١٧٤ - ١٧٩ .

الخلائق وأن الجميع عبده وخلقه وفقراء اليه وهو الغني عما سواه ، كما قال تعالى :
 * لكن الله يشهد بما أنزل اليك ، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى باللـه
 شهيدا * (١) ، ثم قرن تعالى شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته .
 * قائما بالقسط * منصوب على الحال وهو في جميع الأحوال كذلك ،
 * لا اله الا هو العزيز * الذي لا يرام جنباه عظمة وكبرياء .
 الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

* ان الدين عند الله الاسلام * اخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله
 من أحد سوى الاسلام ، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى
 ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه
 وسلم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى * ومن يبتغ غير الاسلام دينا
 فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين * (٢) (٣)
 ٤ = * ان الدين عند الله الاسلام * (٤) :

 * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين * (٥)
 روى الشيخان عن أبي هريرة حديث جبريل الذي بين صلى الله عليه وسلم فيه معنى
 الاسلام ، والامام مسلم رواه عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب أيضا ، فقال
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل
 شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ،
 حتى جلس الى النبي فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد
 أخبرني عن الاسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تشهد أن لا اله
 الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت

=====

- (١) سورة النساء : الآية ١٦٦ . (٢) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .
 (٣) تفسير ابن كثير ١ / ٣٥٣ - ٣٥٤ . (٤) سورة آل عمران : الآية ١٩ .
 (٥) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

ان استطعت اليه سبيلا ، قال : صدقت ، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الايمان ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الاحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، قال : ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال صلى الله عليه وسلم لي : يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم (١) .

ه = الى عبادة الله وحده وتوحيده تعالى دعا جميع الأنبياء والرسل أقوامهم :

فردا على المشركين جاء في القرآن الكريم * أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا فسيحان الله رب العرش عما يصفون ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ، وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون * (٢) .

القراءات :

نوحى : قرأه حفص وحمزة والكسائي من السبعة وخلف من العشرة بالنون وكسر الحاء على جمع المتكلم ، والباقون بالياء وضمها وفتح الحاء (٣) .

=====

(١) صحيح مسلم : الايمان رقم الحديث ٨ ، وعن أبي هريرة رقم ٩ ، وصحيح

البخارى : الايمان ، رقم الحديث ٥٠ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢١ - ٢٥ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب (٣٥٥ -

٤٣٧) ه تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ١٤ / ٢ - ١٥ ، والنشر في

القراءات العشر لابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ ، ٢ / ٢٢٣ .

قال القاضي البيضاوى * أم اتخذوا آلهة * بل اتخذوا آلهة والهمزة لانكار اتخاذهم ، * من الأرض * صفة لآلهة وفائدتها التحقير دون التخصيص ، * هم ينشرون * الموتى ؟ والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم ، * لو كان فيهما آلهة الا الله * غير الله * لفسدتا * لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف ، * لا يسأل عما يفعل * لعظمته وقوة سلطانه وتفرد به بالألوهية والسلطنة الذاتية ، * وهم يسألون * لأنهم مملوكون . . والضمير للآلهة والعباد .

* أم اتخذوا من دونه آلهة * كرهه استعظاما لكفرهم واستعظاما لأمرهم وتبكيها واطهارا لجهليلهم * قل هاتوا برهانكم * على ذلك اما من العقل أو من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا * هذا ذكر من معي وذكر من قبلي * . . فانظروا هل تجدون فيهما - أي في القرآن والكتب السماوية الأخرى السابقة - الا الأمر بالتوحيد والنهي عن الاشرار بالله .

* وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون * تعميم بعد تخصيص (١) .

وروى ابن جرير في تفسير قوله * ينشرون * عن مجاهد يقول : يحيون ، وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى * لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * : يقول تعالى : لو كان في السموات والأرض آلهة تصالح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء وله العبادة وحده والألوهية التي لا تصالح إلا له ، * لفسدتا * يقول : لفسد أهل السموات والأرض * فسبحان الله رب العرش عما يصفون * .

وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى * هذا ذكر من معي وذكر من قبلي * :

=====

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوى

أى : هذا الذى جئتكم به من عند الله من القرآن وخبر من معي مما لهم من ثواب الله على ايمانهم به وطاعتهم اياه ، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم اياه وكفرهم به ، وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي ، وما فعل الله بهم في الدنيا وفاعل بهم في الآخرة .

* بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون * عن كتاب الله .

* وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون * ،

يقول تعالى : وما أرسلنا يامحمد من قبلك من رسول الى أمة من الأمم الا نوحى اليه أنه لا معبود في السموات والأرض تصلح العبادة له سوى * فاعبدون * قال : أرسلت الرسل بالاخلاص والتوحيد لا يقبل منهم عمل حتى يقولوه ويقروا به والشرائع مختلفة في التوراة شريعة ، وفي الانجيل شريعة ، وفي القرآن شريعة حلال وحرام وهذا كله في الاخلاص لله والتوحيد له (١) .

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآيات :

ينكر الله تعالى على من اتخذ من دونه آلهة فقال * أم اتخذوا آلهة من

الأرض هم ينشرون * ، أى : أهم يحيون الموتى وينشرونهم من الأرض ، أى لا يقدرون على شيء من ذلك فكيف جعلوها لله ندا وعبدوها معه .

ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات والأرض

كقوله تعالى * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما

خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون * (٢) .

وقال تعالى ههنا * فسبحان الله رب العرش عما يصفون * أى : عما

يقولون أن له ولدا أو شريكا سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذى يفترون ويأفكون

=====

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن المعروف بتفسير محمد بن جرير الطبرى ،

المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، ج ١٧ / ١٣ - ١٥ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٩١ .

علوا كبيرا * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * أي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، وهو سائل خلقه عما يعملون ، كقوله * فوريك لنسألنهم : أجمعين عما كانوا يعملون * (١) .

* أم اتخذوا من دونه آلهة قل * يا محمد صلى الله عليه وسلم * هاتوا برهانكم * دليلكم على ماتقولون * هذا ذكر من معي * يعني القرآن * وذكر من قبلي * يعني الكتب المتقدمة على خلاف ماتقولونه وتزعمون فكل كتاب على كل نبي أرسل ناطق بأنه لا اله الا الله ، ولكن أنتم أيها المشركون لاتعلمون الحق فأنتم معرضون عنه ، ولهذا قال تعالى * وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون * ، كما قال تعالى * واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون * (٢) ، وقال * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (٣) * (٤) .

فكل نبي بعثه الله تعالى يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، والفترة شاهدة بذلك ، والمشركون لا يبرهان لهم ، وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد (٥) .

وقال تعالى * لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * سورة الأعراف : الآية ٥٩ .

=====

(١) سورة الحجر : الآية ٩٢ و ٩٣ . (٢) سورة الزخرف : الآية ٤٥ .

(٣) روى ابن جرير في تفسير الطاغوت عن عمر بن الخطاب أنه الشيطان ، وعن أبي العالية أنه الساحر ، وعن سعيد بن جبير أنه الكاهن ، ثم قال ابن جرير : والصواب من القول عندي أنه كل ذى طغيان على الله فعبد من دونه اما بقهر منه لمن عبده واما بطاعة ممن عبده له ، انسانا كان ذلك المعبود (الباطل) أو شيطانا أو وثنا أو صنما أو كائنا ما كان من شيء . (تفسير

ابن جرير ج ٣ / ١٩) . (٤) سورة النحل : الآية ٣٦ .

(٥) تفسير ابن كثير : ١٧٥ / ٣ - ١٧٦ .

* والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم الا
مفترون * . سورة هود : الآية . ٥ .

* والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، هو
أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب * (١)
* والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره * (٢) .
* واذا قال ابراهيم لأبيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه
سيهدين * (٣) .

* اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين * (٤)
* قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم اننا
برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده * (٥) .

ولقد لقن يعقوب بن ابراهيم عليه السلام توحيد الله وعبادته وحده فسي
أسلوب الاستفهام والاقرار على الجواب * اذ قال لبيه ماتعبدون من بعدى ، قالوا
نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهها واحدا ونحن له مسلمون * (٦)
وقال يوسف عليه السلام * واتبعته ملة آباي ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ماكان
لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس
لا يشكرون ، يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ماتعبدون
من دونه الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان الحكم
الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون * (٧) .
وقال تعالى لموسى عليه السلام * اني أنا ربك فاخضع نفسك ، انك بالواد
المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اني أنا الله لا اله الا أنا

=====

- (١) سورة هود : الآية ٦١ . (٢) سورة هود : الآية ٨٤ .
(٣) سورة الزخرف : الآية ٢٦ - ٢٧ . (٤) سورة الأنعام : الآية ٧٩ .
(٥) سورة الممتحنة : الآية ٤ . (٦) سورة البقرة : الآية ١٣٣ .
(٧) سورة يوسف : الآية ٣٨ - ٤٠ .

فاعبدني وأقم الصلاة لذكري * (١) .

* قالوا ياموسى اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ، ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ماكانوا يعملون ، قال أغير الله أبغيكم إليها وهو فضلكم على العالمين * (٢) .

* ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ، ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * (٣) .

٦ = دعوة خاتم النبيين وامام المرسلين الى عبادة الله وحده :

ان الله تعالى قد أرسل محمد بن عبد الله خاتم النبيين ليدعو الناس جميعا الى عبادة الله وحده بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، قال تعالى * قل ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا * (٤) ، وقال تعالى : * ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * (٥) .

وروى الامام البخارى بسنده عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة / ببعض صفته في القرآن * ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * قال : أجل ، والله إنه ليوصوف في التوراة وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله ، ويفتح بها أعينا عميا وآذاننا صما وقلوبا غلغا (٦) .

=====

(١) سورة طه : الآية ١٢ - ١٤ . (٢) سورة الأعراف : الآية ١٣٨ - ١٤٠ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٦٣ و ٦٤ . (٤) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٥) سورة الأحزاب : الآية ٤٥ و ٤٦ .

(٦) صحيح البخارى : البيوع رقم الحديث ٢٠١٨ ، ورواه البخارى في التفسير =

ولقد صدق الله في خبره فبعثه كما وصف وأخرج به عباده من ظلمات الكفر والشرك والجاهلية الى أنوار التوحيد والاسلام .

فانه صلى الله عليه وسلم منذ أن بعثه الله تعالى رسولا الى عباده جميعا بدأ يدعو الناس الى عبادة الله وحده ، والى الاسلام ، ولكن كانت دعوته التي ثلاث سنين منذ بعثته سرا .

وقد ذكر الامام البخارى قصة بعثته صلى الله عليه وسلم وبداية نزول الوحي عليه من الله عز وجل بالقرآن الكريم في تفسير قوله تعالى * اقرأ باسم ربك الذى خلق * (١) .

وكانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم على رأس الأربعين من عمره ، فقال البخارى : باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بين نسبه ثم روى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال :

أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم (٢) .

وبعد دعوته صلى الله عليه وسلم سرا ثلاث سنين من بعثته أمره الله باعلان الدعوة .

قال ابن سيد الناس : اعلان الدعوة ، قال ابن اسحاق : ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به ، ثم

=====

أيضا في تفسير قوله تعالى * انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * من سورة الفتح رقم الآية ٨ ، ولكن في البيوع مفصلا ورقم هذا الحديث في التفسير ٤٥٥٨ (١) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٦٧٠ وفي بدء الوحي رقم الحديث ٣ .

(٢) صحيح البخارى : مع فتح البارى ، كتاب مناقب الأنصار ، رقم الباب ٢٨ ، ورقم الحديث ٣٨٥١ ، ج ٧ / ١٦٢ .

ان الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه به وأن ينادى في الناس بأمره ويدعو اليه ، وكان مدة ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستسر به الى أن أمره الله باظهاره ثلاث سنين فيما بلغني من بعثه ، ثم قال الله تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (١) .

ثم قال ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ﴾ (٢) ، ﴿ وقل اني انذير المبين ﴾ (٤٣) وقال الامام البخارى : باب ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك ﴾ أن جانبك ثم روى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ينادى يا بني فهر ، يا بني عدى ، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش : فقال : رأيتم لو أخبرتمكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا : نعم ، ماجربنا عليك الا صدقا ، قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تب لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تب يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ (٥) .

وبعد هذا الاعلان بالدعوة الى عبادة الله وحده قد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الايذاء الشديد من الكفار والمشركين وواجه المصائب والشدائد ، ولكنه صبر عليها لله عز وجل ، وتوكل عليه واستعان به ، وما زال يدعو الناس الى الاسلام والتوحيد فكان أول ما يدعو اليه ويتعاهد عليه هو عبادة الله وحده والاجتناب عن الشرك به سبحانه .

=====

(١) سورة الحجر : الآسة ٩٤ . (٢) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ - ٢١٦

(٣) سورة الحجر : الآية ٨٩ .

(٤) عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير لأبي الفتح محمد بن محمد بن

سيد الناس المتوفي سنة ٧٣٤ هـ ، ج ١ / ١٢٢ .

(٥) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٤٩٢ .

روى الامام البخارى في تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصينك في معروف فبایعنهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ﴾ (١) .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتبايعونني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ، وقرأ آية النساء (٢) أي آية بيعة النساء (وهي هذه كما قال ابن حجر هنا) (٣) .

وروى البخارى أيضا عن ابن عباس رضي الله عنه قال : شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصلونها قبل الخطبة ثم يخطب بعد ، فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فكأنني أنظر اليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال ﴿ يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبایعنك ﴾ حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ ، انتن على ذلك ؟ وقال امرأة واحدة لم يجبه غيرها : نعم يا رسول الله (٤) .

وقال الامام البخارى في بداية كتاب التوحيد من صحيحه : بابما جاء في دعاء النبي أمته الى توحيد الله تبارك وتعالى ، ثم روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الى نحو أهل اليمن قال له : انك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم الى أن يوحدوا (٥) الله تعالى فاذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات

=====

(١) سورة الممتحنة : الآية ١٢ .

(٢) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٦١٢ .

(٣) انظر : فتح البارى ٦٤١ / ٨ في تفسير هذه الآية .

(٤) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٦١٣ .

(٥) قال ابن حجر : مضى وسط الزكاة . . بلفظ فليكن أول ماتدعوهم الى عبادة الله فاذا عرفوا الله ، وكذا أخرجه مسلم عن الشيخ الذى أخرجه عنه البخارى (الفتح ٣٤٩ / ١٣) أخرجه مسلم في الايمان ، رقم الحديث المتسلسل ١٩

في يومهم وليلتهم . . . الحديث (١) .

= رد القرآن الكريم على المشركين من أهل الكتاب ودعوته اياهم الى عبادة . . .

. . . الله وحده لا شريك له .

قال تعالى * ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كس فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين ، فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين * (٢) .

كان سبب نزول آية المباهلة وفد نجران النصراني وما جرى من قصتهم ، فروى الامام مسلم في فضائل علي بن أبي طالب بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : لما نزلت هذه الآية * فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ، * ، الآية ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال : اللهم هؤلاء أهلي (٣) ، ولكن رؤساء وفد نجران الذين جاؤوا للمناظرة في أمر عيسى عليه السلام امتنعوا عن المباهلة ، وقد ذكر ابن كثير تفاصيل وفد نجران عن محمد بن اسحاق والبيهقي وغيرهم وقال :

قال البخارى : ثم ذكر حديث حذيفة بن اليمان المتفق عليه ، روى البخارى في المغازى عن حذيفة قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لانفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا : انا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا الا أمينا ، فقال صلى الله عليه وسلم : لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله

=====

(١) صحيح البخارى رقم ٦٩٣٧ (٢) سورة آل عمران : الآية ٥٩ - ٦١

(٣) صحيح مسلم : فضائل الصحابة : رقم الحديث ٢٤٠٤ .

عليه وسلم فقال : قم ياأبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أمين هذه الأمة (١) ، وقال ابن كثير : ان وفودهم كان في سنة تسع (٢) .

* قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون * (٣) .

قال ابن كثير : هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم . . * قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا * ، لا وثنا ولا صليبا ولا صنما ولا طاغوتا ولا نارا ، ولا شيئا بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، هذه هي دعوة جميع الرسل .

وقد ذكرنا في شرح البخارى عند روايته من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس ، عن أبي سفيان في قصته حين دخل على قيصر فسأله عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صفته ونعته ، وما يدعو اليه فأخبره بجميع ذلك على الجلية مع أن أبا سفيان اذ ذاك كان مشركا لم يسلم ، الا بعد وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح ، كما هو مصرح به في الحديث والغرض أنه قال : ثم جيئء بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الأريسيين و * ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله

=====

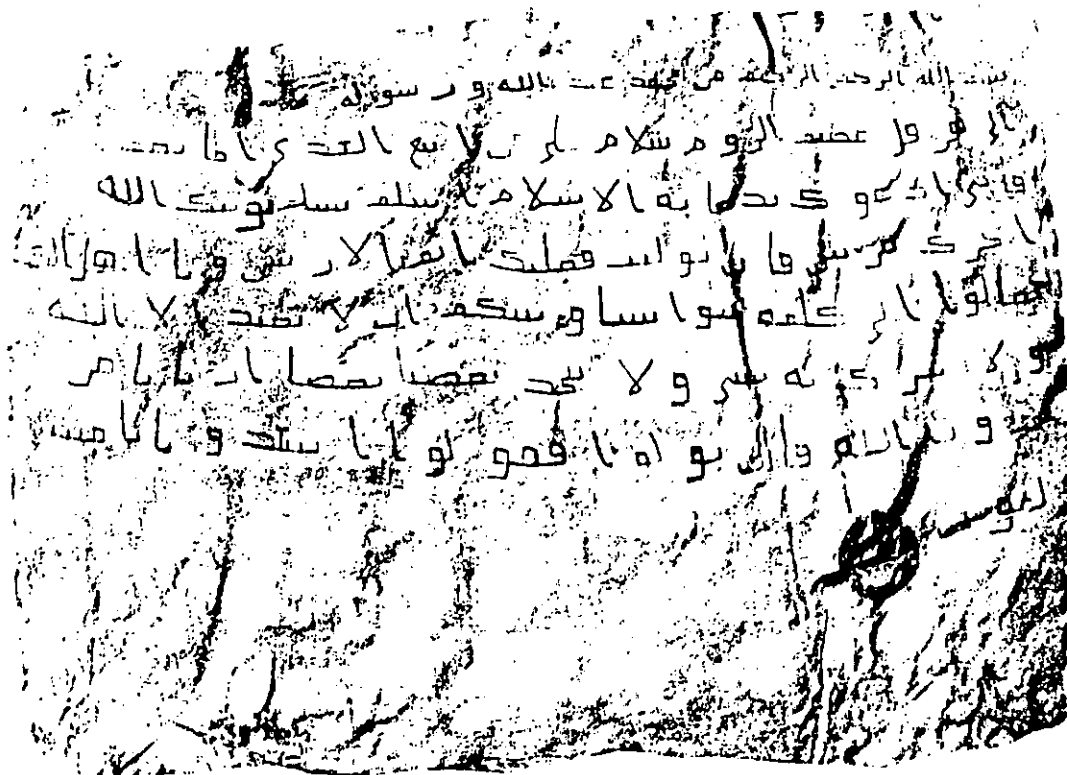
(١) صحيح البخارى : المغازى ، رقم الحديث هنا ٤١١٩ وأخرجه مسلم في

فضائل أبي عبيدة بن الجراح ، رقم الحديث ٢٤١٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٦٧ - ٣٧٠ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم



بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الروم .
سلام على من أتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوك بدعاية
الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسليم يوتك الله أجر مَرَّتَيْنِ ، فإن
توليت فعليك إثم الأريسيين . و« يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ، ولا
يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا
بأننا مسلمون » . (#)

(#) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة ،

للأستاذ محمد حميد الله ص / ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - دار النفايس ، بيروت .

- الى قوله - اشهدوا بأنا مسلمون * الحديث (١) (٢) .

وقد أخذ الله الميثاق من بني اسرائيل على عبادة الله وحده ، قال تعالى

* واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون * (٣) .

فذكر الله تعالى بني اسرائيل ما أمرهم به وأخذ الميثاق عليه من عبادته وحده وغيرها من فرائضه وأنهم تولوا عن ذلك الا قليلا ، فأهل الكتاب السابقون كانوا مأمورين جميعا بتوحيد الله تعالى وعبادته وحده ، والتدين بالملة الحنيفة وهي ملة التوحيد ، كما قال تعالى * وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة * (٤) ، أى الملة القائمة العادلة المستقيمة على التوحيد المعتدلة في التشريعات ، وهي ملة ابراهيم * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين * (٥) . وملة ابراهيم ملة الاسلام العام ، وهي ملة جميع الأنبياء والمرسلين لأنه : * ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * (٦) .

فدين جميع الأنبياء والرسل دين الاسلام والتوحيد ، قال تعالى * شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه * (٧) .

=====

(١) هذا الحديث الجليل من أهم الأحاديث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى في تفسير هذه الآية رقم ٤٢٧٨ وفي الوحي رقم ٧ ، وأخرجه مسلم في المغازى باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل رقم ١٧٧٣

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٧١ . (٣) سورة البقرة : الآية ٨٣ .

(٤) سورة البينة : الآية ٥ . (٥) سورة النحل : الآية ١٢٣ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ٦٧ و٦٨ . (٧) سورة الشورى : الآية ١٣ .

وقال الامام البخارى : وقال مجاهد * شرع لكم * أوصيناك يا محمد واياہ
دينا واحدا (١) .

ومعنى قوله تعالى * كبر على المشركين ماتدعوهم اليه * أى : شق عليهم
غاية المشقة حيث تدعوهم الى توحيد الله تعالى وعبادته وحده .

٧ = أنواع التوحيد :

ان أنواع توحيد الله عز وجل ثلاثة : توحيد الربوبية ، توحيد الأسماء
والصفات ، توحيد الألوهية .

والثلاثة متلازمة بعضها ببعض ، والنوع الرابع من التوحيد الذى لا بد منه
بجانب هذه الأنواع الثلاثة هو توحيد متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد بين القرآن هذه الأنواع الأربعة اجمالا وتفصيلا ، وقد جاء بيانها
بالاجمال في سورة الفاتحة فقوله تعالى * الحمد لله رب العالمين * يتضمن توحيد
الربوبية ، وقوله * الرحمن الرحيم * يتضمن توحيد الأسماء والصفات ، وقوله
تعالى * اياك نعبد واياك نستعين * يتضمن توحيد الألوهية والعبادة ، وقوله
تعالى * اهدنا الصراط المستقيم * (٢) يتضمن توحيد متابعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأنه هو الصراط المستقيم .

(١) توحيد الربوبية :

وهو الاقرار بأن الله رب كل شيء ، والهه وخالقه ومالكة ورازقه ، وأنه هو
النافع والضار والمحيي والمميت والقادر على كل شيء ، ليس له في كل ذلك وفي
جميع أفعاله الأخرى شريك .

=====

(١) صحيح البخارى : الايمان : الباب الأول ١١ / ١ .

(٢) سورة الفاتحة : الآية ١ - ٦ .

ويدخل في ذلك الايمان بالقضاء والقدر ، فان الله تعالى هو رب العالمين وحده ، والرب والمربي لجميع العالمين بخلقه اياهم وانعامه عليهم بالنعمة الظاهرة والباطنة لو فقدوا تلك النعمة من الله الكريم لم يمكن لهم البقاء ، فكل نعمة بهم فمن الله الرحمن المنعم الحقيقي ، فقد دل قول الله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ على توحيد ربوبية الله تعالى وانفراده بالخلق والرزق والتدبير والانعام مع كمال غناه عز وجل وتمام فقر العالمين اليه سبحانه من كل وجه .

﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ﴾ (١) .

ومن السور التي تبين توحيد ربوبية الله عز وجل بالتفصيل سورة الأنعام ومنها قوله تعالى ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى ، عنده ثم أنتم تموتون وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ، ويعلم ما تكسبون ﴾ (٢) .

هذه كلها من جملة افعاله وصفاته الكمالية ونعمائه الجليلة التي لأجلها أن يحمد وحده بكل الحمد والثناء والشكر ، ويفرد له العبادة بكل معانيها ، ولكن الظالمين الأشقياء مع هذه الأدلة القاطعة على ربوبيته وألوهيته سبحانه يشركون بالله تعالى غيره من خلقه ويسوون به عز وجل ، ذلك الغير المخلوق العاجز في العبادة والحب والتعظيم والدعاء ، مع أن غير الله هذا ليس له أى شيء من هذه الأفعال والصفات بل هو مخلوق ضعيف وفقير في كل شيء ومن كل وجه الى الله عز وجل كغيره من المخلوقات .

وأخبر تعالى عن كونه خالق كل شيء وربّه وعن كمال قدرته وعظمة سلطانه وسعة رحمته وعموم انعامه وكرمه وشدة عنايته بخلقه بتوفير جميع ما يحتاجون اليه

=====

(١) سورة فاطر : الآية ١٥ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١ - ٣ .

في حياتهم من النور وظلام الليل وعلامات الاهتداء ، والارزاق المتنوعة ، وغيرها من
 النعم قائلا * ان الله فائق الحب والنوى ، يخرج الحي من الميت ومخرج الميت
 من الحي ذلنكم الله فأنى تُوفكون ، فائق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس
 والقمر حسابا ذلك تقدير العزيز العليم ، وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا
 بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ، وهو الذى أنشأكم من
 نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ، وهو الذى أنزل من
 السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن
 النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهها وغير
 متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ، وجعلوا لله
 شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ،
 بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل
 شيء عليم ، ذلنكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء
 وكيل * (١) .

اللغات :

* فائق * : الفلق الشق ، وانفلق الضيح انشق ، (سkena) السكن
 مايسكن اليه الانسان ويأنس به ، والسكن : الرحمة ، (حسابا) أى بحساب
 والحسبان مصدر حسب مثل كفران ، (متراكبا) بعضه فوق بعض ، (قنوان) جمع
 قنو وهو العذق ، أى عنقود النخلة ، (وينعه) أى نضجه يقال : ينعت الشجرة
 اذا نضجت ، (خرقتوا) اختلقوا كذبا وافكا ، (بديع) المبدع والخالق على غير
 مثال سابق .

=====

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٥ - ١٠٢ .

القراءات :

﴿ فالحق الاصباح وجعل الليل سكناً ﴾ ، (جعل) قرأ الكوفيون وهم عاصم وحمزة والكسائي بغير ألف على صيغة الفعل الماضي ، ونصبوا الليل وهذه القراءة تناسب لما بعده ، وقرأ الباقر (جاعل) بالألف على صيغة اسم الفاعل وخفض الليل ، وهذه القراءة تناسب لما قبله .

(فمستقر) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف بمعنى قار في الأرحام ، أي بعضكم قار في الأرحام وبعضكم مستودع في الأصلاب ، وقيل : في الأرض والقبور ، وقرأ الباقر بفتح القاف على اسم المكان ، والمعنى : فلکم مستقر في الأرحام ومستودع في الأصلاب (١) .

وفي تفسير قوله تعالى ﴿ بديع السموات والأرض . . . ﴾ قال ابن كثير : أي مبدعهما وخالقهما ومنشئهما على غير مثال سبق كما قال مجاهد والسدي ، ومنه سميت البدعة بدعة لأنه لا نظير لها فيما سلف .

﴿ أنى يكون له ولد ﴾ كيف يكون له ولد ، ﴿ ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ﴾ ، أي والولد انما يكون متولداً بين شيئين متناسبين والله تعالى لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه لأنه خالق كل شيء ، فلا صاحبة له ولا ولد .

﴿ ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾ أي فاعبدوه وحده لا شريك له وأقروا له بالوحدانية وأنه لا اله الا هو وأنه لا ولد له ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عدل .

﴿ وهو على كل شيء وكيل ﴾ أي حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه ويرزقهم ، ويكلوهم بالليل والنهار (٢) .

=====

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٤٤١ - ٤٤٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ١٦٠ - ١٦١ .

هذا هو توحيد الربوبية التي تستلزم توحيد الالهية وتوحيد الأسماء والصفات ولا يكفي وحده العبد في حصول الايمان والاسلام ، لأن المشركين كانوا مقسرين بربوبية الله تعالى كما قال تعالى * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم * ، فلا بد معه من توحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد الالهية .

(٢) توحيد الأسماء والصفات :

وهو الاقرار بأن الله تعالى رحمن ورحيم وبكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير والحي القيوم * لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * (١) ، * ليس كمثله شيء * وهو السميع البصير * (٢) ، وأن له الأسماء الحسنى التي تدل على صفات ربوبيته وألوهيته الكمالية وأنه على العرش استوى وعلى الملك احتوى ، وله المشيئة النافذة والحكمة البالغة ، وهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر . . الى غير ذلك من أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، فهو أحد لا شريك له في صفات كماله كما هو أحد في ذاته ليس له مثل ولا كفو ، قال تعالى * قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * (٣) .

قال الامام البخارى : باب تفسير قوله تعالى (قل هو الله أحد) ، ثم روى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته ، وأما شتمه اياى فقوله : اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد (٤) .

=====

(١) سورة الأنعام : الآية ١٠٣ . (٢) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٣) سورة الاخلاص .

(٤) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٦٩٠ .

ومن الآيات التي تدل على وحدانية الله تعالى في أسمائه وصفاته الكمالية آية الكرسي * الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم * (١) .

انها أعظم آيات القرآن الكريم لما احتوت عليه من المعاني العظيمة من اثبات ألوهية الله تعالى وأسمائه الحسنی التي تدل على جميع صفات الكمال له عز وجل .

قال ابن كثير : لها شأن عظيم قد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل آية في كتاب الله (٢) ، وأن من قرأها قبل النوم فانه لا يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح . . . (٣) .

وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة ، فقوله (الله لا اله الا هو) اخبار بأنه المنفرد بالالهية لجميع الخلائق .

(الحي القيوم) الحي في نفسه الذي لا يموت أبدا القيم لغيره ، فجميع الموجودات مفتقرة اليه عزوجل وهو غني عنها ولا تقوم لها بدون أمره كقوله تعالى * ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره * (٤) ، وقوله * لا تأخذه سنة ولا نوم * أى لا يعتره نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى عليه خافية ، ومن تمام القيومية أنه لا يعتره سنة ولا نوم .

=====

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .

(٢) رواه الامام مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه - صلاة المسافرين رقم ٨١٠ .

(٣) رواه البخارى عن أبي هريرة في صحيحه مختصرا في فضائل القرآن رقم ٤٧٢٣

ومفصلا في كتاب الوكالة رقم ٢١٨٧ .

(٤) سورة الروم : الآية ٢٥ .

فقلوه (لا تأخذه) أى لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ، ولهذا قال :
 (ولا نوم) لأنه أقوى من السنة .
 (له ما في السموات والأرض من ذا الذى يشفع عنده) كقلوه * وكم من ملك
 في السموات والأرض لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء
 ويرضى * (١) .

وكقلوه * ولا يشفعون الا لمن ارتضى * (٢) وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه
 عز وجل انه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده الا باذنه له في الشفاعة .
 (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) دليل على احاطة علمه بجميع الكائنات
 ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

(ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) أى لا يطلع أحد من علم الله
 على شيء الا بما أعلمه الله وأطلعته عليه .

(وسع كرسیه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما) أى لا يثقله ولا يكثره حفظ
 السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما ، بل ذلك سهل عليه يسير لديه (وهو
 العلي العظيم) فلا اله غيره ولا رب سواه .

وهو * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * (٣) (٤) .

ومن الآيات الأخرى الكثيرة التي فيها بيان أسماء الله الحسنی وصفاته
 العلیا قوله تعالى * هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن
 الرحيم ، هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز
 الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء
 الحسنی يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * (٥) .

=====

(١) سورة النجم : الآية ٢٦ . (٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٨ .

(٣) سورة الرعد : الآية ٩ . (٤) تفسير ابن كثير ١ / ٣٠٤ - ٣١٠

(٥) سورة الحشر : الآية ٢٢ - ٢٤ .

هذه الآيات الكريمة قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وأوصافه العليا ، فانها عظيمة الشأن وبديعة البرهان ، فأخبر تعالى أنه الله المألوه المعبود وحده الذى لامعبود بحق ولا رب سواه ، وذلك لكمال قدرته وشمول علمه وعموم كرمه واحسانه وتدبيره ، فهو الملك الحقيقي للكون ومن فيه ، وما لكهم كما أنه المقدس المنزه من كل نقص (السلام المؤمن) أى المصدق لرسله باظهار المعجزات على أيديهم وللمؤمنين في ايمانهم (العزيز) الذى له الكبرياء والعظمة المنزهة من الظلم والجور (سبحان الله عما يشركون) هذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به المشركون الظالمون المعاندون واثبات ألوهيته عز وجل .

(هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) هذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير ، وانه تعالى قد انفرد بكل هذه الأسماء والصفات لم يشارك فيها أحد ، وله الأسماء الحسنى الكثيرة لا يحصيها أحد الا هو عز وجل ، وكلها تدل على الصفات العظيمة ومن حسنها أن الله يحبها ويحب من يحبها ويحب من عباده أن يدعوه بها .
ومن كمال ألوهية الله تعالى وكمال ربوبيته أن جميع من فى السموات والأرض مفتقرون اليه فى كل شيء ومن كل وجه على الدوام ويسبحون بحمده ويسألونه حوائجهم فيعطيه من فضله ما تقتضيه حكمته ورحمته ، (وهو العزيز الحكيم) الذى غالب على كل شيء ولا يريد شيئاً الا يكون .

✽ انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ✽ (١) ولا يكون شيئاً الا

لحكمة ومصلحة ، فهو المعبود بحق يستحق وحده العبادة بكل معانيها .

وقد وجب الايمان بجميع أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا ، ويجب اثباتها كما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة الثابتة كما يجب الاجتناب والابتعاد عن الذين يلحدون فى أسماء الله وصفاته بالانكار أو بالتعطيل أو

=====

بالتشبيه أو بالتمثيل أو بالتكليف أو غير ذلك من التأويلات الفاسدة .

وقد حذر الله تعالى من الالحاد في أسمائه وصفاته ، قال تعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ (١) .

قال ابن كثير : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لله تسعا وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر ، أخرجاه في الصحيحين (٢) .

(ثم ذكر ابن كثير زيادة الترمذى*في هذا الحديث بتسمية تلك الأسماء الحسنى التسعة والتسعين ثم قال) : ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل مارواه الامام أحمد (٣) بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال : اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن أمك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيي حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرجا ، فقيل : يا رسول الله أفلا نتعلمها ، فقال بلى : لكل من سمعها أن يتعلمها (٤) .

=====

(١) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .

(٢) صحيح البخارى : الشروط ، رقم الحديث ٢٥٨٥ ، وأخرجه مسلم فسي

كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، رقم ٢٦٧٧ .

(٣) مسند الامام أحمد ١ / ٣٩١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .

* انظر سنن الترمذى : الدعوات ، رقم ٣٥٠٧ .

وحقيقة الالحاد فيها الميل بها عما جعلت له ، اما بتسميتها من
لا يستحقها كتسمية المشركين بها آلهم الباطلة ، واما بانكارها أو تحريفها ، اما
بنفي معانيها أو بالتشبيه أو التمثيل أو التكيف فيها .
فالواجب منها اثباتها كما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة ، وهو مذهب
السلف الصالحين وهو الصراط المستقيم ، .

مذهب السلف في توحيد الأسماء والصفات :

قال ابن كثير في آخر تفسير آية الكرسي : وهذه الآيات وما في معناها من
الأحاديث الصحاح : الأجود فيها طريقة السلف الصالح ، أمرها كما جاءت من
غير تكيف ولا تشبيه (١) .

هذا هو الصراط المستقيم ومذهب الأنبياء والرسل وسلف الأمة وأئمتها
وهو الصواب .

وطريق السلف هو الأعلم والأحكم والأسلم ، قال المحدث اسماعيل بن عبد
الرحمن الصابوني شيخ الاسلام في عصره مبينا عقيدة الاسلام السلفية ، عقيدة
أصحاب الحديث والسنة والجماعة المتبعين كتاب الله وسنة نبيه اتباعا كاملا ،
السائرين على طريقة السلف الصالحين :

أصحاب الحديث . . يشهدون بالوحدانية وللرسول بالرسالة والنبوة ،
ويعرفون ربهم بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله وشهد بها رسوله على ماوردت
الأخبار الصحاح ونقلته العدل عنه ، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في
كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات
خلقه فيقولون : انه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه * قال يا ابليس ما منعك أن
تسجد لما خلقت بيدي * (٢) .

=====

(١) تفسير ابن كثير : ٣١٠ / ١ .

(٢) سورة ص : الآية ٧٥ .

ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة الجهمية أهلهم الله ، ولا يكيّفونهما بكيف أو تشبيهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله .

وقد أعاد الله أهل السنة من التحريف والتكليف ومنّ عليهم بالتعريف والتفهم حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه ، واتبعوا قول الله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وهو السميع البصير ﴿ (١) (٢) ﴾ .

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقدرة والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة ، والفرح والضحك ، وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ولا تكيف له ، ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير (٣) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : والأصل في توحيد الأسماء والصفات أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته رسله نفيًا وإثباتًا ، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته من غير تكيف ولا تمثيل ، وغير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير الحاد لافي أسمائه وصفاته ولا في آياته .

=====

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٢) وقد أخذ عبارة الصابوني هذه شيخ الاسلام ابن تيمية وذكرها في كتابه : " نقض المنطق بتحقيق محمد حامد الفقي " صفحة ٤ - ٥ .

(٣) رسالة (عقيدة أصحاب الحديث) لاسماعيل الصابوني المتوفي سنة ٤٤٩ هـ ضمن الرسائل المنيرية المجلد الأول ص ١٠٦ - ١٠٧ ، قال الزركلي فسي ترجمته (٣٧٣ - ٤٤٩ هـ) مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان ، لقبه أهل السنة فيها بشيخ الاسلام ، فلا يعنون - عند اطلاقه هذه اللفظة - غيره ، ولد ومات في نيسابور وكان فصيح اللهجة واسع العلم ، عارفاً =

فطريقتهم تتضمن اثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات اثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وهو السميع البصير ﴿ (١) ففي قوله (ليس كمثله شيء) رد للتشبيه والتمثيل ، وقوله (وهو السميع البصير) رد للالحاد والتعطيل (٢) .

(٣) توحيد الألوهية :

وذلك اخلاص العبد تأله لله تعالى بالمحبة والدعاء والاستغاثة والطاعة والطلب والقصد ، والخوف والرجاء والالابنة والتعظيم ، والتوكل وغيرها من معاني العبادة والتأله ، لأنه تعالى هو رب العالمين ويدع السموات والأرض ، وخالق من فيهما وخالق الكون كله ورازق العباد ومدبر أمورهم ويحييهم ويميتهم ، ثم يحييهم ويحاسبهم ويسألهم عن أعمالهم ومسؤولياتهم ، ثم يجازيهم بالشواب أو العقاب ، فإذا يجب على عباده أن يعبدوه وحده لا يشركوا به شيئا .

قال ابن منظور في شرح لفظ الجلالة : قال أبو الهيثم : فالله : أصله الاله قال تعالى ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ﴾ (٣) .

قال : ولا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون لعبده خالقا ورازقا ومدبرا ، وعليه مقتدرا ، فمن لم يكن كذلك فليس باله وان عبد ظلما بل هو مخلوق ومتعبد ، والآلهة : الأصنام سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها ، وأسماءهم تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه .

=====

= بالحديث والتفسير ، له كتاب (عقيدة السلف) ، (الأعلام ١ / ٣١٧ ،

وطبقات الشافعية ٣ / ١١٧) .

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٢) فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٣ / ٣ - ٤ .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ٩١ .

وقال أبو الهيثم : وأصل اله ولاه فقلبت الواو همزة كما قالوا للوشاح اشاح ومعنى ولاه أن الخلق يولهنون اليه في حوائجهم ويضرعون اليه فيما يصيبهم ويفزعون اليه في كل ما ينوبهم كما يوله كل طفل الى أمه ، وقد تفرد الله تعالى باسم (الله) لا يشركه فيه غيره ، فاذا قيل : الاله انطلق على الله سبحانه وعلى ما يعبد من الأصنام .

وإذا قلت (الله) لم ينطلق الا عليه سبحانه ، .

وقال ابن سيده : والإلهة والألوهة والألوهية : العبادة ، والتألّه : التنسك والتعبد ، والتأليه : التعبيد (١) .

وقال ابن جرير : أما تأويل قول الله (الله) فانه على ما روى لنا ابن عباس ^{عن} هو الذى يألهه كل شيء ويعبده كل خلق (ثم روى عن ابن عباس) قال : الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين .

ثم ذكر ابن جرير أن أصل (الله) الاله ، وأسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي عين الاسم واللام الزائدة فادغمت في الأخرى التي هي عين الاسم فصارتا في اللفظ لاما مشددة .

وهذا التعليل مثل ما حدث في قوله تعالى ﴿ لكننا هو الله ربي ﴾ (٢) ، أصله لكن أنا هو الله ربي (٣) .

وقال ابن كثير : (الله) علم على الرب تعالى يقال انه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات ، وهو اسم لم يسم به غيره تعالى ، ثم اختار ابن كثير ما ذكره ابن جرير من التعليل بحيث ذكره في الأخير بغير نقد (٤) .

=====

(١) لسان العرب : ١٣ / ٦٧ - ٦٨ - ٤٦٩ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٣٨ .

(٣) تفسير ابن جرير ١ / ٥٤ - ٥٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ١٩ - ٢٠ .

وقد شهدت بهذا التوحيد الفطر والعقول ، وجاء لبيان هذا التوحيد خاصة الأنبياء والرسل ، وأنزلت الكتب والقرآن كله في بيان هذا التوحيد وحقوقه ، وجزأه وبيان ما ينافيه وجزأه ، قال تعالى ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ (١) .

قوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أى هذا القرآن تنزيل من الله القادر الغالب الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

كما قال تعالى ﴿ وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ﴾ (٢) .

وقوله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى : نحن نزلنا عليك يا محمد القرآن العظيم متضمنا الحق الذى لا ريب فيه والصدق الذى لا يشوبه باطل أو هزل ، والحق الأكبر عبادة الله وحده وتوحيده تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته .

(فاعبد الله مخلصا له الدين) أى فاعبد الله وحده مخلصا له في عبادتك ، ولا تقصد بعملك ونيتك غير الله ربك ورب العالمين ، وادع الخلق الى ذلك وأعلمهم أن العبادة لا تصلح الا له وحده .

(ألالله الدين الخالص) أى ألا فانتبهوا أيها الناس : ان الله تعالى لا يقبل الا ما كان خالصا لوجهه الكريم لأنه المتفرد بصفات الألوهية والربوبية ،

=====

(١) سورة الزمر : الآية ١ - ٣ .

(٢) سورة الشعراء : الآيات ١٩٢ - ١٩٥ .

المطلع على السرائر والضامير ، ومعنى الخالص : الصافي من شوائب الشرك والرياء .

وقال ابن كثير : ثم أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون * مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * " قربي " .

أى : انما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا الى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا ، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به .

وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها والدعوة الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له (١) .

وبعد بضعة آيات قال تعالى * قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين * (٢) .

أى : قل يا محمد - صلى الله عليه وسلم - اني أمرت باخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وهذا أمر لجميع أمته أمة الدعوة ، وأمة دعوته جميع الناس * قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا * (٣) .

* قل اني أخافان عصيت ربي عذاب يوم عظيم * (٤) ، والمقصود زجر الغير عن معصية الله وعذابه لأنه صلى الله عليه وسلم اذا كان خائفا وهو نبي الله ورسوله وعبداه المقرب ، وأكمل المؤمنين ايمانا ، وأكثرهم عبادة وشكرا وخوفا ورجاء من ربه الكريم ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فغيره أولى بالخوف من

=====

(١) تفسير ابن كثير : ٤٥ / ٤ .

(٢) سورة الزمر : الآية ١١ و ١٢ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ . (٤) سورة الزمر : الآية ١٣ .

الله عز وجل وسؤاله ومواخذته وعذابه .

وقال تعالى * واليهكم الة واحد لا الة الا هو الرحمن الرحيم * (١) أى :

اليهم الحق المستحق للعبادة وحده واحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ،
فليس له شريك في الملك والخلق والأمر ، ولا سمي له ولا كفؤ له ، فاذا كان كذلك
فهو الاله الحق المألوه المعبود بحق ، المستحق بجميع أنواع العبادة وحده .

(الرحمن الرحيم) كثير الرحمة ومصدر الانعام والاحسان ، وسعت رحمته

كل شيء ، فبرحمته ويفضله وجدت المخلوقات وحصلت لها أنواع الكمالات والنعم .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :

الاله هو المعبود المطاع فان الاله هو المألوه الذى يستحق أن يعبد وحده

بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب ، المخضوع

له غاية الخضوع ، فان الاله هو المحبوب المعبود الذى تألسه القلوب بحبها ،

وتخضع له وتذل له وتخافه ، وترجوه وتنيب اليه في شدايدها وتدعوه في مهامتها

وتتوكل عليه في مصالحها وتلجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن الى حبه ، وليس ذلك

الا لله وحده ، ولهذا كانت لا الة الا الله أصدق الكلام وكان أهلها أهل الله وحزبه

والمنكرون لها أعداءه ، وأهل غضبه ونقمته ، فاذا صحت صح بها كل مسألة وحال ،

واذا لم يصحها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله (٢) .

وقال أيضا : فهذه قاعدة جلييلة في توحيد الله تعالى (في ألوهيته) ،

واخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ، قال الله تعالى * قل اللهم مالك

الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء

بيدك الخير انك على كل شيء قدير * (٣) * فاعبده وتوكل عليه * (٤) .

=====

(١) سورة البقرة : الآية ١٦٣ .

(٢) مجموعة الرسائل في أصول العقيدة والتوحيد المعروفة بالجامع الفريد ص ٢٥٢

(٣) سورة آل عمران : الآية ٢٦ . (٤) سورة هود : الآية ١٢٣ .

* وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له ^{الا هو} وان يمسسك بخير فهو على كل شيء

قدير ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير * (١) .

* وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب

به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم * (٢) .

* ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه ، له الحكم

واليه ترجعون * (٣) .

* وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده

خبيرا * (٤) .

ونظائر ذلك في القرآن كثيرة وكذلك في الأحاديث ، وكذلك في اجماع الأمة

لاسيما أهل العلم والايان منهم ، فان هذا عندهم قطب رحى الدين كما هو

الواقع .

ان الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والانابة اليه ومحبته والاخلاص

له ، فبذكرة تطمئن قلوبهم ، وحاجتهم اليه تعالى في عبادتهم اياه وتألهمهم

كحاجتهم - وأعظم - في خلقه لهم وربوبيته اياهم ، فان ذلك هو الغاية المقصودة

لهم ، وبذلك يصيرون عاملين متحركين ولاصلاح لهم ولا فلاح ولا نعيم ولا لذة

بدون ذلك بحال ، بل من أعرض عن ذكر ربه فان له معيشة ضنكا ويحشره الله يوم

القيامة أعمى (٥) .

وقد يعبر علماء التوحيد عن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات بتوحيد

الاثبات والمعرفة ، وهو توحيد العلمي الخبرى .

=====

(١) سورة الأنعام : الآية ١٧ و ١٨ (٢) سورة يونس : الآية ١٠٧ .

(٣) سورة القصص : الآية ٨٨ . (٤) سورة الفرقان : الآية ٥٨ .

(٥) فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١ / ٢٠ - ٢٣ .

وعن توحيد الألوهية والعبادة بالتوحيد في الطلب والقصد وهو التوحيد الارادى العملي كما قال الامام ابن القيم : وملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى وتحققهما بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم واليهما دعت الرسل من أولهم الى آخرهم ، أحدهما التوحيد العلمي الخبرى الاعتقادى المتضمن اثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن صفات النقص .

والتوحيد الثانى : عبادته تعالى وحده لاشريك له وتجريد محبته والاخلاص له ، ولا يتم أحد التوحيدين الا بالآخر (١) .

وقال شارح العقيدة الطحاوية : التوحيد الذى دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب نوعان : توحيد في الاثبات والمعرفة ، وتوحيد في الطلب والقصد ، فالأول هو اثبات حقيقة الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه . وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الافصاح كما في أول الحديد ، وطه وآخر الحشر وأول (ألم) السجدة ، وأول آل عمران ، وسورة الاخلاص ، وغير ذلك .

والنوع الثانى : في مثل ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم . . . ﴾ (٢) ، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها (٣) وأول سورة يونس وأوسطها وآخرها .

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد بل كل سورة في القرآن ، فان القرآن اما خبر عن الله وأسمائه وصفاته ، واما دعوة الى عبادته وحده وخلع ما يعبد من دونه ، واما أمر ونهي والزام بطاعته ، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته

=====

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية ص ٢٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٦٤ ، وقد مضى تفسيرها .

(٣) وهي سورة الزمر .

وأما اخبار عن اكرام لأهل توحيدِهِ ، وهو جزاء توحيدِهِ ، وأما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما فعل بهم في العقبي من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزاءه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزاءهم (١) .

(٤) وجوب توحيد متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هناك توحيد رابع وهو توحيد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن توحيد الله تعالى بأنواعها الثلاثة لا يتم ولا يثمر الا بتوحيد متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم بتصديق كل ما جاء به من عند الله ، كما جاء ، والعمل بما أمر به ، والاجتناب عما نهى عنه وطاعة الرسول هي طاعة الله عز وجل ، لأن رسوله ما ينطق الا بالوحي من ربه عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * (٢) . وهذا هو معنى كلمة التوحيد والرسالة والاخلاص (لا اله الا الله محمد رسول الله) .

قال شارح العقيدة الطحاوية : فالواجب كمال التسليم للرسول والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولا ، أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد ، كما نوحده المرسل (وهو الله رب العالمين الذي أرسل رسوله الى عباده داعين الى عبادته وحده قائلين : يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل .

فهما توحيدان : لانجاة للعبد من عذاب الله الا بهما ، توحيد الله المرسل وتوحيد متابعة الرسول المرسل ، فلا يحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره .

=====

(١) شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق أحمد محمد شاكر ص ٢٩ و ٣٠ و شارح العقيدة الطحاوية هو كما حدده أحمد محمد شاكر في مقدمة تحقيقه : قاضي القضاة علي

ابن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٣١ - ٧٩٢ هـ) .

(٢) سورة النجم : الآية ٣ و ٤ .

ولا يوقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وامامه ، وذوى مذهبه وطائفته ومن يعظمه ، فان أذنوا له نفذه وقبل خبره ، والا فان من طلب السلامة فوضه اليهم وأعرض عن أمره وخبره والا حرقه عن مواضعه وسمي تحريفه تأويلا وحملا .

فلأن يلقي العبد ربه بكل ذنب - ما خلا الاشرار بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال ، بل اذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل يسوغ أن يؤخر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأى فلان وكلامه ومذهبه ؟؟ (١)

٨ = وجوب اتباع الكتاب والسنة :

ان الله تعالى قد أوجب طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم باتباع كتابه القرآن وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام قال سبحانه * يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * (٢) .

قال ابن جرير : يقول تعالى : يا أيها الذين : صدقوا الله ورسوله ، أطيعوا الله ورسوله فيما يأمركم به وفيما ينهاكم عنه ، ولا تدبروا عن رسول الله مخالفين أمره ونهيه * وأنتم تسمعون * ، أى : لا تخالفوا أمره ونهيه وأنتم تسمعون أمره اياكم ونهيه وأنتم به مؤمنون ، ولا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمشركين الذين اذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا سمعنا بأذاننا وهم لا يسمعون أى لا يعتبرون ما يسمعون بأذانهم ولا ينتفعون لاعراضهم عنه .

=====

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٤١ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٢٠ و ٢١ .

فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن بمنزلة من لم يسمعها (١) .

وقال تعالى ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ، قل أطيعوا الله والرسول ، فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ﴾ (٢) .

روى ابن جرير بسنده عن الحسن البصرى قال : قال قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد انا نحب ربنا ، فأنزل الله هذه الآية : فجعل اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه وعذاب من خالفه (٣) .
ولعل هذا القوم كان وفد نجران النصراني ، لأن السورة من بدايتها ما زالت في الرد عليهم ، فالذى يؤمن بالله ويدعي أنه يحب ربه فعليه أن يحسب رسوله ويطيعه لأن علامة المحبة الصادقة لله تعالى ورسوله هي اتباعه صلى الله عليه وسلم .

فالذى يخالف رسول الله ويدعي أنه يحب الله فهو كذاب أشر .

وقال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب ﴾ (٤) .

وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (٥) .

=====

- (١) تفسير ابن جرير الطبرى ٢١٠ / ٩
- (٢) سورة آل عمران : الآية ٣١ و ٣٢
- (٣) تفسير ابن جرير ٢٣٢ / ٣
- (٤) سورة الحشر : الآية ٧
- (٥) سورة النساء : الآية ٥٩

روى البخارى في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنه قال : نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى اذ بعثه النبي في سرية (١) .

وقال ابن كثير (وأولي الأمر منكم) يعني أهل الفقه والدين ، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصرى وأبو العالية والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء .

وفي الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني ، ومن عصى أميرى فقد عصاني (٢) .

فهذا أمر بطاعة العلماء والأمراء ولهذا قال تعالى (أطيعوا الله) ، أى اتبعوا كتابه (وأطيعوا الرسول) أى : خذوا سنته .

(وأولي الأمر منكم) أى فيما أمروكم به من طاعة الله لاني معصية الله تعالى ، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما قال صلى الله عليه وسلم : انما الطاعة في المعروف .

قال البخارى : باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية ، ثم روى بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : بعث النبي سرية وأمر عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : قد عزمتم عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم نارا ثم دخلتم فيها فجمعوا حطبا فأوقدوا فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم

=====

(١) متفق عليه : صحيح البخارى ، التفسير ، رقم الحديث ٤٣٠٨ ، وأخرجه مسلم في كتاب الامارة ، باب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية رقم ١٨٣٤
(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم : صحيح مسلم : الامارة ، رقم الحديث ١٨٣٥ وعند البخارى زيادة : وانما الامام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فان أمر بتقسوى الله وعدل فان له بذلك أجرا ، وان قال بغيره فان عليه منه ، صحيح البخارى الجهاد : رقم الحديث ٢٧٩٧ .

الى بعض ، قال بعضهم : انما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فرارا من النار أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك اذ خمدت النار وسكن غضبه ، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : لو دخلوها ماخرجوا منها أبدا ، انما الطاعة في المعروف (١) .
وروى البخارى عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (٢) .
* فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول * قال ابن كثير : قال مجاهد وغير واحد من السلف أى الى كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شئ تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسنة كما قال تعالى * وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الله * . (سورة الشورى ، الآية : ١٠) .

فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق الا الضلال ، ولهذا قال تعالى * ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * أى ردا الخصومات والجهالات الى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا اليهما فيما شجر بينكم * ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * .
فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع الى الكتاب والسنة ولا يرجع اليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر .

* ذلك خير وأحسن تأويلا * أى : التحاكم الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والرجوع اليهما في فصل النزاع خير وأحسن عاقبة ومآلا وجزاء (٣) .

=====

- (١) متفق عليه واللفظ للبخارى : صحيح البخارى : الأحكام رقم الحديث ٦٧٢٦ وأخرجه مسلم في الامارة ، رقم الحديث ١٨٤٠ .
(٢) صحيح البخارى : الجهاد : رقم الحديث ٢٧٩٦ ، وأخرجه مسلم في الامارة رقم ١٨٣٩ .
(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٥١٨ .

وقال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول الا لسيطاع باذن الله ، ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيفا فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (١) .

فقد أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرا وباطنا من غير ممانعة ولا مدافعة ، فيجب أن تكون ارادة المؤمن وهواه وكل حياته تابعة لما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر ابن كثير في تفسيرها (٢) قوله صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به (٣) .

وروى البخارى في سبب نزولها بسنده عن الزهري عروة أنها نزلت في رجل من الأنصار تخاصم مع زبير بن العوام رضي الله عنه في السقي بالماء بغير حـق . x وقد وجبت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن من أطاع رسول الله فقد أطاع الله ، قال تعالى ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ (٤) ، وقد بشر الله تعالى المطيعين لله تعالى ورسوله بالفوز ورفعته

=====

(١) سورة النساء : الآيات ٦٤ و ٦٥ . (٢) تفسير ابن كثير ١ / ٥٢٠ .

(٣) رواه الامام النووي في الأربعين وقال : حديث حسن صحيح ، وقد بين ابن رجب الحنبلي في شرحه أن صحة هذا الحديث سندا مختلف فيها ثم قال : وأما معنى الحديث من الأوامر والنواهي وغيرها ، فيحب ما أمر به ويكـره مانهى عنه ، وقد ورد القرآن بمثل ذلك في غير موضع ، قال تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ . وفي الصحيحين : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين . (جامع العلوم والحكم ، رقم الحديث ٤١ ، ص ٣٦٤ ، ورقم هذا في البخارى ١٥ ، وفي صحيح مسلم ٧٤ . (٤) سورة النساء : الآية ٨٠ .

x صحيح البخارى ١ التفسير رقم الحديث - ٤٣٠٩

الدرجات فقال تعالى * ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما * (١) ، * انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون * (٢) * ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما * (٣) .

فعلم بهذا أن اتباع الكتاب والسنة هو الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم ، وغير هذا الصراط ضلال وشقاء .

تحذير القرآن الكريم من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى * فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، ألا ان لله ما في السموات والأرض ، قد يعلم ما أنتم عليه ، ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم * (٤) .

أى : فليحذر وليخف الذين يخالفون أمر رسول الله ويتركون سبيله ومنهجه وسنته (أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ، أى تنزل بهم محنة عظيمة في الدنيا أو ينالهم عذاب شديد في الآخرة .

(ألا ان لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه) من الايمان ، أو النفاق والاخلاص أو الرياء ، الاتباع أو المخالفة .

(ويوم ترجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم) .

=====

(١) سورة الأحزاب : الآية ٧١ .

(٢) سورة النور : الآية ٥١ و ٥٢ .

(٣) سورة النساء : الآية ٦٩ - ٧٠ .

(٤) سورة النور : الآية ٦٣ و ٦٤ .

تحذير الرسول عليه السلام من الاحداث والابتداع في الدين وترك اتباع الكتاب والسنة :
قال صلى الله عليه وسلم : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ،
متفق عليه (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : مثلي ومثل من بعثني الله (اليه) كمثل رجل
أتى قوما فقال : رأيت الجيش بعيني واني أنا النذير العريان ، ، فالنجاء
النجاء فاطاعته طسائفة فأد لجوا على مهلم فسنجوا وكذبت طائفة فصحبهم
الجيش فاجتاحهم . متفق عليه . (٢) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية مبينا وجوب اتباع الكتاب والسنة ، ومحذرا عن
الابتداع في الدين ، ومحددا جوانب الابتداع الثلاثة الأساسية الخطيرة :
قاعدة في وجوب الاستقامة والاعتدال ، ومتابعة الكتاب والسنة في باب أسماء
الله تعالى وصفاته وتوحيده بالقول والاعتقاد ، وبيان اشتمال الكتاب والسنة على
جميع الهدى ، وأن التفرق والضلال انما حصل بترك بعضه ، وعلى التنبيه على
جميع البدع .

الرأى المحدث في الأصول وهو الكلام المحدث ، وفي الفروع وهو الرأى
المحدث في الفقه ، والتعبد المحدث كالتصوف المحدث ، يظن طوائف من الناس
أن الدين محتاج الى ذلك لاسيما كل طائفة في طريقها ، وليس الأمر كذلك ، فان
الله تعالى يقول * اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا * (٣) ، الى غير ذلك من النصوص التي دلت على أن الرسول عرف الأمة جميع

=====

(١) صحيح البخارى : الصلح : رقم الحديث ٢٥٥٠ وأخرجه مسلم في الأفضية :

باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم ١٧١٨ .

(٢) صحيح البخارى : الرقاق : رقم ٦١١٧ ، وصحيح مسلم : الفضائل ، رقم

٢٢٨٣

(٣) سورة المائدة : الآية ٣ .

ما يحتاجون اليه من دينهم ، وقال تعالى * وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم

حتى يبين لهم ما يتقون * . (سورة التوبة ، الآية : ١١٥ .)

وقال صلى الله عليه وسلم : تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ

عنها الا هالك (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : انه من يعيش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ،

فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا

عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة (٢)

وقال الامام مالك : انه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تركت

فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله (٣) .

فلولا أن سنته صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين تسع المؤمن وتكفيه

عند الاختلاف الكثير لم يجز الأمر بذلك .

وكان يقول في خطبته صلى الله عليه وسلم : أما بعد ، فان خير الحديث

كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها

وكل بدعة ضلالة (٤) .

وان البدعة هي الدين الذى لم يأمر الله به ورسوله ، فمن دان ديننا لم يأمر

الله ورسوله به فهو مبتدع بذلك ، وهذا معنى قوله تعالى * أم لهم شركاء شرعوا

لهم من الدين ما لم يأذن به الله * (٥) (٦) .

=====

(١) أخرجه الامام أحمد عن العرياض بن سارية ، مسند الامام أحمد ٤ / ١٢٦ ،

وابن ماجه في مقدمته رقم الحديث ٤٣ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل

السنة والجماعة رقم ٧٥ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب في لزوم السنة رقم الحديث ٤٦٠٧ ،

وأخرجه الترمذى في العلم وقال : هذا حديث حسن صحيح رقم الباب ١٦

ورقم السند ٢٦٧٦ ، وسنن ابن ماجه : المقدمة رقم الحديث ٤٣ ، ومسند

الامام أحمد ٤ / ١٢٦ .

(٣) موطأ الامام مالك : كتاب الجامع : رقم الحديث ١٦١٩ .

(٤) أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله : كتاب الجمعة : رقم الحديث ٨٦٧ .

(٥) سورة الشورى : الآية ٢١ . (٦) مؤلف شيخ الاسلام ابن تيمية ، =

فقد بين شيخ الاسلام أن الضلالات في باب العقيدة والتوحيد قد جاءت من باب الكلام والفلسفة والمنطق ، وقد ذم علماء الاسلام الاشتغال بالكلام والجدال والفلسفة والمنطق قديما وحديثا وخاصة فقهاء الحديث ، ومنهم الامام المحمـد عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح فقال في فتاواه :

الفلسفة أس السفه والانحلال ، ومادة الحيرة والضلال ، ومثار الزيغ والزندقة ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة المؤيدة بالحجج الظاهرة ، والبراهين الباهرة ، ومن تلبس بها أى بالفلسفة تعليما وتعلما قارنه الخذلان والحرمان واستحوذ عليه الشيطان ، وأى فن أخزى من فن يعمى صاحبه ، ويظلم قلبه عن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعاذنا الله من الزيغ عن ملته ، وجعلنا من المهتدين الهادين بهديه وسنته .

وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ومدخل الشر شر ، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أبناحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين .

وأما استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشعة والرقاعات المستحدثة ، وليس بالأحكام الشرعية - والحمد لله - افتقار الى المنطق أصلا .

وما يزعمه المنطقي للمنطق من أمر الحد والبرهان فقعا قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن لاسيما من خدم نظريات العلوم الشرعية .

ولقد تمت الشريعة وعلومها وخاض في بحار الحقائق والدقائق علماءها حيث لا منطق ولا فلسفة ولا فلاسفة ، ومن زعم أنه يشتغل مع نفسه بالمنطق والفلسفة لفائدة يزعمها فقد خدعه الشيطان ومكر به .

=====

= (الاستقامة) بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ٣/١ - ٥ .

فالواجب على السلطان أن يسدفع عن المسلمين شر هؤلاء المياشيم ،
ويخرجهم من المدارس ويبعد هم ويعاقب على الاشتغال بفنهم ، ويعرض من ظهر
منه اعتقاد الفلاسفة على السيف أو الاسلام لتخدم نارهم وتمحى آثارهم ، يسرالله
ذلك وعجله .

ومن أوجب هذا الواجب عزل من كان مدرس مدرسة من أهل الفلسفة
فيها والاقراء لها ، ثم سجنه والزامه منزله .

وان زعم أنه غير معتقد لعقائدهم فان حاله يكذبه ، والطريق في قلع الشر
قلع أصوله ، وانتصاب مثله مدرسا من العظام حمله ، والله ولي التوفيق والعصمة ،
وهو أعلم (١) .

٩ = ذم القرآن الكريم للمجادلين في الدين بغير علم المعارضين عن الكتاب والسنة :

هذا وقد ذم القرآن الكريم الذين يجادلون في الله ودينه سبحانه بغير علم
فقال تعالى * ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد * (٢) .

=====

(١) رسالة (فتاوى ابن الصلاح) المطبوع في ضمن الرسائل المنيرية ، الجزء
الرابع ص ٣٤ - ٣٥ ، وهو من أجلاء علماء الحديث والتفسير ، (٥٧٧ -
٦٤٣ هـ) ، ومن أهم تصانيفه (علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح)
وقال الذهبي فيه : وكان سلفيا حسن الاعتقاد كافا عن تأويل المتكلمين ،
مؤمنا بما ثبت من النصوص غير خائض ولا معمم ، ونقل الذهبي قول ابن خلكان
فيه : كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه .

قال أبو حفص ابن الحاجب في معجمه : امام ورع ، وافر العقل ، حسن
السمت متبحر في الأصول والفروع ، بارع في الطلب حتى صار يضرب به المثل
واجتهد في نفسه في الطاعة والعبادة .

(تذكرة الحفاظ للامام الذهبي ٤ / ١٤٣٠ ، رقم الترجمة ١١٤١) .

(٢) سورة الحج : الآية ٣ .

قال ابن كثير : هذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق ، المتبعين للباطل ، يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين ، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع والأهواء والآراء .
وقال السدي : عن أبي مالك أنها نزلت في النضر بن الحارث (١) ، ومثله قوله تعالى * ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله * - إلى قوله * ومن الناس من يعبد الله على حرف * (٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فيه بيان حال المتكلمين وحال المتعبديين المجادلين بلا علم ، والعابدین بلا علم ، بل مع الشك (٣) .
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم . متفق عليه (٤) .

فان المتكلمين والفلاسفة والمنطقيين في رأس الذين يجادلون في الله بغير علم لوجود زيغ في قلوبهم فيحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة ابتغاء الفتنة .

وقال تعالى * هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله * (٥) .

=====

- (١) تفسير ابن كثير : ٢٠٦ / ٣ .
- (٢) سورة الحج الآية : ٨ - ١١ .
- (٣) الفتاوى ٢٦٧ / ١٥ .
- (٤) صحيح البخاري : الاعتصام بالكتاب والسنة رقم ٦٨٥٨ ، وصحيح مسلم :
- الحج ، رقم ١٣٣٧ .
- (٥) سورة آل عمران : الآية ٧ .

قال الامام البخارى في تفسيرها باب (منه آيات محكمات) ، قال مجاهد :
الحلال والحرام .

(وأخر متشابها) يصدق بعضه بعضا كقوله تعالى * وما يضل به الا
الفاسقين * وكقوله جل ذكره * ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * سورة يونس /
زيغ : شك .

(ابتغاء الفتنة) المشتبهات .

ثم روى بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الآية : قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاذا رأيت الذين
يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذرهم (١) .
وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :

فصل : بطلان الابتداع وفضيلة الاتباع ، لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ومن تدبر هذا . . . تبين له أن جميع ما ابتدعه المتكلمون وغيرهم مما يخالف الكتاب
والسنة فانه باطل ، ولقد أحسن الامام أحمد في قوله في خطبته (٢) ، وان كانت
مأثورة عن تقدم :

الحمد لله الذى جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ،
يدعون من ضل الى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله

=====

(١) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٢٧٣ ، ٤ / ١٦٥٤ ، ولشيخ
الاسلام ابن تيمية كلام قيم في تفسير هذه الآية . (الفتاوى ٣ / ٥٤) .

(٢) قال الخطيب البغدادي في ترجمة الامام أحمد امام أهل السنة والجماعة :
أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال أبو عبد الله ، امام المحدثين الناصر
للدین ، المناضل عن السنة والصابر في المحنة ، قدمت أمه مروزي الأصل ،
قدمت أمه بغداد وهي حامل فولدته ونشأ بها وطلب العلم وسمع الحديث
من شيوخها ثم رحل الى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة
(١٦٤ - ٢٤١هـ) ، انظر للتفصيل تاريخ بغداد ٤ / ٤١٢ ، وانظر =

الموتى ، ويصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لا بليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعود بالله من فتنة المضلين (١) .

١٠ = السبيل الحق هو سبيل أهل الحديث والسنة والجماعة وطريقة السلف . .

.....
الصالحين هي الصواب والأعلم والأحكم والأولى بالاتباع .

ان السبيل الحق هو سبيل أهل الحديث والسنة والجماعة ، الذين يتبعون الكتاب والسنة اتباعا كاملا ، ويسيروا على طريقة السلف الصالح ، ويعتصمون بحبل الله جميعا ولا يتفرقون ويهدون بالحق وبه يعدلون .

وهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية ، لأنهم على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وان الذين لا يتبعون كتاب الله وسنة نبيه اتباعا كاملا بل ينحرفون عنهما يمينا وشمالا ، فانهم ليسوا من أهل السنة والجماعة ، بل هم من أهل البدع والفرقة والضلال ومن أهل القبلة ، فيجب على المسلم أن يؤمن بالله ورسوله وبكل ما جاء في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما جاء ، ويتبعهما اتباعا كاملا ، ويلتزم بسبيل أهل الحديث والسنة والجماعة ، ويسلك طريقة السلف الصالح ويتابع جماعة المسلمين المتبعين ويتبعون عن المبتدعين المتفرقين المجادلين

=====

== ترجمته مفصلة في (مناقب الإمام أحمد) لابن الجوزي ، من مطبوعات : دار الآفاق الجديدة ، وقال الذهبي فيه : شيخ الاسلام وسيد المسلمين في عصره

الحافظ الحجة . . (انظر تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣١ ، رقم الترجمة ٤٣٨) . .

(١) كتاب النبوات : لابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هـ ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ﴾ (١) .

قال ابن جرير الطبرى :

يعني بذلك جل ثناؤه : يامعشر من صدق الله ورسوله خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتنبامعاصيه حق خوفه .

وهو أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى ﴿ ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ﴾ لربكم ، مدعون له بالطاعة ، مخلصون له الألوهية والعبادة . وأمر بالتقوى بقدر الاستطاعة كما بينه تعالى في قوله عز وجل ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ (٢) .

وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ﴾ :

أى تعلقوا بأسباب الله جميعا ، وتمسكوا بدين الله الذى أمركم به وعهده الذى عهده اليكم في كتابه من الالفة والاجتماع على كلمة الحق ، والتسليم لأمر الله .

(وأصل العصم المنع ، فكل مانع شيئا فهو عاصمه ، والممتنع به معتصم به) ، وأما الحبل فانه السبب الذى يوصل به الى البغية والحاجة ، ولذلك سمي الأمان حبلا ، لأنه سبب يوصل به الى زوال الخوف والنجاة من الجزع .

ثم روى ابن جرير بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في قوله (واعتصموا بحبل الله جميعا) قال : الجماعة ، وقال آخرون : عنى

=====

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة التغابن : الآية ١٦ .

بذلك القرآن الكريم .

وقال آخرون : بل ذلك هو اخلاص التوحيد لله تعالى ، (ولا تفرقوا) أى ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد اليكم في كتابه من الاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والانتهاى الى أمره .

ثم روى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان بني اسرائيل افرقت على احدى وسبعين فرقة ، وان أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة ، قال : فقيل يارسول الله وما هذه الواحدة ؟ قال : فقبض يده وقال : الجماعة * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * .

وقوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) أى : واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم حين كنتم أعداء بشرككم يقتل بعضكم بعضا ، عصبية في غير طاعة الله تعالى ولا طاعة رسوله فألف الله بالاسلام بين قلوبكم فجعل بعضكم لبعضكم اخوانا .

وعن قتادة أنه قال : كنتم تذابحون يأكل شديدكم ضعيفكم ، حتى جاء الله بالاسلام فأخى به بينكم .

فالنعمة هي ألفة الاسلام ، والعداوة فانها عداوة الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية .

كما حدثني ابن حميد قال : حدثنا سلمة قال : قال ابن اسحاق : كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة حتى قام الاسلام وهم على ذلك ، ثم ان الله عز وجل أطفأ ذلك بالاسلام وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير هذه الآيات : فأمرنا بملازمة الاسلام الى الممات وأن نعتصم بحبله جميعا ولا نتفرق ، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا (٢)

=====

(١) تفسير ابن جرير ٤ / ٢٦ - ٣٣ .

(٢) " الرسالة " توحد الملة وتعدد الشرائع ضمن الرسائل المنيرية ٢ / ١٣٣ .

وقال ابن كثير في هذه الآيات : أمرهم الله بالجماعة ونهاهم عن التفرقة
وقد وردت الأحاديث بالنهي عن التفرقة والأمر بالاجتماع والائتلاف كما في صحيح
مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به
شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة
السؤال ، وإضاعة المال (١) .

وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم ، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف ، فقد
وقع ذلك في هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية الى الجنة ، ومسلمة
من العذاب وهم الذين على ما كان عليه النبي وأصحابه (٢) .

* يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا ، فأما
الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطا
مستقيما * (٣) .

هذا جزاء المؤمنين المعتصمين بحبل الله تعالى باتباع كتابه وسنة نبيه ،
اتباعا كاملا والمجتمعين على كلمة الله كلمة الاسلام .

١١ = يوم القيامة تبيض وجوه أهل الحديث والسنة والجماعة وتسود وجوه أهل . . .

..... الضلال والبدع والفرقة .

قال تعالى * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت

=====

(١) صحيح مسلم : الأفضية : ٧١١٥ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣٨٩ / ١ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٧٤ - ١٧٥ .

وجوههم أكفرتهم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * (١) .

قال ابن كثير : يقول تعالى : (ولتكن منكم أمة) منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وأولئك هم المفلحون) قال الضحاك : هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء ، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وان كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان (٢) .

وروى الامام مسلم أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهد هم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهد هم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهد هم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل (٣) .

* ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات * ، ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم ، (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فارق الجماعة شبرا فمات ميتة جاهلية) (٤) .

=====

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٢) صحيح مسلم : الايمان : رقم الحديث ٤٩ .

(٣) صحيح مسلم : الايمان ، رقم الحديث ٥٠ .

(٤) رواه مسلم عن ابن عباس مرفوعا ، صحيح مسلم : رقم ١٨٤٩ .

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة ، قال ابن عباس رضي الله عنه (١) .
وقال ابن الجوزي في تفسيرها : قال ابن عباس : /وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة ، وفي الذين أسودت وجوههم خمسة أقوال :

- (١) أنهم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق قاله أبي بن كعب .
- (٢) أنهم الحرورية (من الخوارج) قاله أبوأمامة .
- (٣) أنهم اليهود .
- (٤) أنهم المنافقون ، قاله الحسن .
- (٥) أنهم أهل البدع ، قاله قتادة (٢) .

ووروى اللالكائي بسنده عن ابن عباس في قوله *يوم تبيض وجوه وتسود وجوه* أنه قال : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وأولي العلم ، وتسود وجوه أهل البدع والضلالة (٣) .

١٢ = أهل الحديث والسنة والجماعة على الحق يهدون به ويعدلون :

قال تعالى * ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون * (٤) ، وقال الامام البخارى : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم ، ثم روى بسنده عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) (٥) .

=====

- (١) تفسير ابن كثير ١ / ٣٩٠ .
- (٢) تفسير ابن الجوزي : زاد المسير ١ / ٤٣٦ .
- (٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٧٢ .
- (٤) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .
- (٥) صحيح البخارى : الاعتصام بالكتاب والسنة ، رقم الحديث ٦٨٨١ .

وقال الامام مسلم : باب قوله صلى الله عليه وسلم : لاتزال طائفة من أمّتي
ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم .

ثم روى بسنده عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : لاتزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى
يأتي أمر الله وهم كذلك (١) .

وبعد أن بين الامام اللالكائي ضلالات أهل البدع والفرقة قال مبينا طريقة
السلف الصالحين وأولويتها وفضل أصحاب الحديث والسنة والجماعة :
فهلّم الآن الى تدين المتبعين وسيرة المتمسكين وسبيل المتقدمين بكتاب
الله وسنته والمنادين بشرايعه وحكمته الذين قالوا ﴿ آمنا بما أنزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (٢) .

وتنكبوا سبيل المكذبين بصفات الله وتوحيد رب العالمين ، فاتخذوا كتاب الله
اماما وآياته فرقانا ، ونصبوا الحق بين أعينهم عيانا ، وسنن رسول الله صلى الله عليه
وسلم جنة وسلاحا ، واتخذوا طرقها منهاجا وجعلوها برهانا ، فلقوا الحكمة ووقوا
من شر الهوى والبدعة لامثالهم أمر الله في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وتركهم
الجدال بالباطل .

ويقول تعالى فيما حث على اتباع دينه والاعتصام بحبله والاقتران برسوله :
﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . . . ﴾ (٣) ، ﴿ اتبعوا ما أنزل
اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون ﴾ (٤) ، ﴿ وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم
تتقون ﴾ (٥) ، ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ (٦) .

=====

- | | |
|------------------------------------|------------------------------------|
| (١) صحيح مسلم : الامارة رقم ١٩٢٠ | (٢) سورة آل عمران : الآية ٥٢ . |
| (٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ . | (٤) سورة الأعراف : الآية ٣ . |
| (٥) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ . | (٦) سورة الزمر : الآية ١٧ - ١٨ . |

﴿ قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (١) .

ثم ذكر آيات توجب طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وتفسيرها بالمأثور ثم قال : (فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته الا الحث على الاتباع و ذم التكلف والاختراع فمن اقتصر على هـذـه الآثـار كان من المتبعين وكان أولاهم بهذا الاسم أصحاب الحديث لا اختصاصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعهم لقوله وطول ملازمتهم له وتحملهم علمه وحفظهم أنفاسه وأفعاله ، فأخذوا عنه مباشرة وشرايعه مشاهدة وأحكامه معاينة من غير واسطة ، واعتقدوا جميع ذلك حقا وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقينا فهذا دين أخذ أوله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة لم يشبهه ليس ولا شبهة ، ثم نقلها العدل عن العدل من غير تحامل ولا ميل ، ثم الكافة عن الكافة .

(فضل أصحاب الحديث) :

فهؤلاء الذين تعهدت بنقلهم الشريعة وانحفظت بهم أصول السنة فوجبت لهم بذلك المنة على جميع الأمة والدعوة لهم من الله بالمغفرة ، فهم حملة علمه صلى الله عليه وسلم ونقلة دينه وسفرته بينه وبين أمته ، وأمناءه في تبليغ الوحي عنه فحري أن يكونوا أولى الناس به صلى الله عليه وسلم في حياته ووفاته .

والحمد لله الذي كمل لهذه الطائفة سهام الاسلام وميزهم من جميع الأنام حيث أعزهم الله بدينه ورفعهم بكتابه وأعلى ذكرهم بسنة رسوله وهداهم الى طريقته وطريقة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهي الطائفة المنصورة والفرقة الناجية المتمسكة بالسنة التي لا تريد برسول الله بدىلا ولا عن قوله تبدىلا ولا عن سنته تحويلا (٢) .

=====

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٨ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن

اللالكائي المتوفي سنة ٤١٨ هـ ، ٢٠ / ١ - ٢٤ .

وقال الامام الطحاوى (١) : وتتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة ، وقال الشارح :

السنة : طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والجماعة : المسلمون وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان الى يوم الدين ، فاتباعهم هدى وخلافهم ضلال ، قال تعالى * ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا * (٢) ، * قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول الا البلاغ المبين * (٣) .

* ان السنذيين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ، انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون * (٤) .

ثم ذكر حديث العرياض بن سارية (٥) الذى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فيه بالسمع والطاعة ومتابعة الجماعة واتباع الكتاب وسنته صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين وحذر عن الابتداع والافتراق ، ثم قال الشارح :

فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين الا أهل السنة والجماعة وهم على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه (٦)

=====

(١) وهو : أبو جعفر أحمد بن محمد المولود سنة ٢٢٩ هـ ، المتوفى سنة ٣٢١ هـ

وأحد مصادر ترجمته (وفيات الأعيان لابن خلكان رقم ٢٥) .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٥ .

(٣) سورة النور : الآية ٥٤ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٥٩ .

(٥) سنن أبي داود : كتاب السنة رقم الحديث ٤٦٠٧ ، وأخرجه الترمذى فى

العلم رقم ٢٦٧٦ ، وسنن ابن ماجه رقم ٤٣ ، ومسند الامام أحمد ١٢٦/٤

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : وتارة يجعلون أى المتكلمين اخوانهم المتأخرين أحذق وأعلم من السلف .

ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة : القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما ثبت (١) ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من علم وعمَل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة وأولى بالبيان لكل مشكل .

هذا لا يدفعه الا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ، وأضله الله على علم كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم .

وقال غيره : عليكم بآثار من سلف فانهم جاؤوا بما يكفي وما يشفى ، ولم يحدث بعد هم خير كما من لم يعلموه (٢) .

وقال تعالى * والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم * (٣) .

=====

(١) متفق عليه ، صحيح البخارى : الشهادات ، رقم الحديث ٢٥٠٩ ، وصحيح

مسلم ، فضائل الصحابة : رقم الحديث ٢٥٣٣ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٤ / ١٥٧ - ١٥٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٠ .

١٣ = من معالم العقيدة الاسلامية السلفية عقيدة أصحاب الحديث ، أهل السنة . .

.....
 . . والجماعة ، الفرقة الناجية المنصورة .

ان مصدر أصول الاسلام وعقائده المسلمين كتاب الله القرآن الكريم ، وسنة رسوله الأمين ، وان أصحاب الحديث أهل السنة والجماعة هم الذين يتبعون الكتاب والسنة اتباعا كاملا ، واذ أثار أهل الشك والبدع والضلال والفرقة خلاقات ، وأحدثوا ضلالات في العقائد الاسلامية الصافية السلفية افسادا لعقيدة المسلمين الصحيحة وابعادا اياهم عن مصدر دينهم ، فقام علماء الحق وبينو بتوفيق الله عز وجل الحق من الباطل ، ونفوا عن العقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين ، وعلى رأس هؤلاء العلماء بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أئمة الاسلام من التابعين والأئمة الأربعة المجتهدين ، وجماعة المحدثين الفقهاء وعلى رأسهم الامام أحمد امام أهل السنة والجماعة ، والامام البخارى أمير المؤمنين ، في رواية الحديث وفقهه ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، والامام المجدد المصلح محمد بن

عبد الوهاب (١) والامام المحدث ولي الله الدهلوى (٢) .

(١) من اعتقاد الامام أحمد بن حنبل :

قال أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي^(٣) ، أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله السكرى قال : حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله بن بريد الدقيقي ، قال حدثنا أبو محمد الحسن بن عبد الوهاب أبو العنبر قراءة من كتابه في

=====

(١) هو الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ) .

(٢) وهو الامام المحدث شاه ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوى ، من كبار علماء الاسلام في الهند في القرن الثاني عشر الهجرى (١١١٤ - ١١٧٦ هـ) .

(٣) وهو الامام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى الرازى =

شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومائتين قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن سليمان المنقري - بتيس - قال : حدثني عبدوس بن مالك العطار قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول :

أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتداء بهم وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات ، وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المرء والجدال في الدين .

والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسنة تفسير القرآن ، وهي دلائل القرآن وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الامثال ، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هي الاتباع وترك الهوى ، والايان بالحوض وبعذاب القبر ، وان هذه الأمة تفتن في قبورها وتسال عن الايمان والاسلام ومن ربه ؟ ومن نبيه ؟ ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله وكيف أراد ، والايان بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، والايان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر ، وأن عيسى بن مريم ينزل فيقتله ، والايان قول وعمل يزيد وينقص ، ومن ترك الصلاة فقد كفر ، وليس من الأعمال شيء تركه كفر الا الصلاة من تركها فقد كفر وقد أحل الله قتله .

وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمرو بن الخطاب ثم عثمان ابن عفان ، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة علي بن أبي طالب ، وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد كلهم يصلح للخلافة وكلهم امام ، ثم بعد أصحاب الشورى أهل بدر من المهاجرين ، ثم أهل بدر من الأنصار .

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرن الذي

بعث فيه ، .

=====

= الحافظ الفقيه الشافعي ، محدث بغداد (. . . . - ٤١٨ هـ) ، انظر

ترجمته في تاريخ بغداد ٧٠ / ١٤ ، وفي تذكرة الحفاظ للذهبي ، رقم

الترجمة ٩٨٦ ، ١٠٨٣ / ٣ .

والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ، ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين ، والغزو ماض مع الأمراء الى يوم القيامة ، وقسمه الفسيء واقامة الحدود الى الأئمة ماض ، ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم ، ودفع الصدقات اليهم جائزة ، بـرا كان أوفاجرا ، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولي جائزة تامة ركعتين من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة .

ومن خرج على امام المسلمين وقد كان اجتمعوا عليه بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية .

ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها : الايمان بالقدر خيره وشره (بأنه كله من الله تعالى) والتصديق بالأحاديث فيها والايمان بها لا يقال : لم ؟ ولا : كيف ؟ انما هو التصديق بها ، والايمان بها ، ومن لم يعرف تفسير الحديث ولم يبلغه عقله فقد كفى ذلك وأحكم له فعلية الايمان به والتسليم له ، مثل أحاديث الرؤية كلها وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات .

لا يخاصم أحدا ولا يناظره ولا يتعلم الجدل فان الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنة مكروه منهي عنه ، ولا يكون صاحبه - ان أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم ، ويؤمن بالآثار والقرآن كلام الله وليس بمخلوق ولا تضعف أن تقول : ليس بمخلوق فان كلام الله منه وليس منه شيء مخلوق ، واياك ومناظرة من أحدث فيه ومن قال باللفظ وغيره ، ومن وقف فيه فقال : لا أدري مخلوق وغير مخلوق ؟ والايمان بالرؤية يوم القيامة كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحاح .

والايمان بالميزان كما قال تعالى ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ (!)

وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : اقرووا ان شئتم ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ (٢) (٣) .

وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر والايمان به والتصديق به ، والاعراض عن رد ذلك وترك مجادلته ، وان الله تعالى يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان ولا يشهد على أهل القبلة بعمل يعمل به بجنة ولا نار يرجو للصالح ويخاف عليه ويخاف على المسيء المذنب ويرجو له رحمة الله عز وجل .

والرجم حق على من زنا وقد أحسن اذا اعترف أو قامت عليه بيعة .

ومن انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أبغضه لحدث كان منه أو ذكر مساوئه كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما (٤) (٥) .

=====

(١) سورة الأعراف : الآية ٨ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠٥ .

(٣) صحيح البخارى : رقم الحديث ٤٤٥٢ وفي صحيح مسلم ٢٧٨٥ .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ١٥٦ - ١٦٢ بتحقيق الدكتور

أحمد سعد حمدان .

الضالين

(٥) في هذه الجملة الأخيرة زجر وتوبيخ للشيعنة الروافض الواقعين في كبار أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعيانهم ~~من~~ من أخذ الطلوع ، كما

انها تأديب ونصيحة لمن وقع في بعض كبار الصحابة وأساء اليهم وانتقص من =

(٢) من اعتقاد الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى :
قال اللالكائي : أخبرنا أحمد بن محمد بن حفص الهروي قال : حدثنا
محمد بن محمد بن سلمة قال : حدثنا أبو الحسين محمد بن عمران بن موسى
الجرجاني قال : سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخارى
- بالشاش - يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى يقول :

=====

شأنهم من أهل السنّة و الجماعة .

و قد قال تعالى :

" و السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين
اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم و رضوا عنهم . و أعدّ لهم
حنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز
العظيم " .

(سورة التوبة ، الآية : ١٠٠)

و عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، قال :
قال النبي صلى الله عليه و سلم : " لا تسبوا
أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ
مدّ أحدهم و لا نصيفه " .
متفق عليه .

(صحيح البخاري ، فضائل الصحابة ، رقم الحديث : ٢٤٧٠ .
و أخرجه الإمام مسلم في فضائل الصحابة ، باب : تحريم سب
الصحابة رضى الله عنهم ، رقم الحديث : ٢٥٤٠ .)

فلهذا من أصول أهل السنة و الجماعة سلامة قلوبهم
و أسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، كما قال الإمام
أحمد و كما سيأتي قول الإمام البخاري و شيخ الإسلام ابن تيمية .
و أدعو الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحقّ و يوفقهم للاعتصام بحبله
و اتباع كتابه و سنّة نبيه صلى الله عليه وسلم و احترام السلف الصالح و السير على
طريقتهم .

لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة
والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر لقيتهم كرات قرنا بعد قرن ثم قرنا بعد قرن
(أى طبقة من العلماء بعد طبقة) أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين
سنة (ثم ذكر البخارى كبار علماء تلك البلاد الذين لقيهم ثم قال) : فما رأيت
واحدا منهم يختلف هذه الأشياء ان الدين قول وعمل وذلك لقول الله ﷻ وما أمروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين
القيمة ﷻ (١) .

وان القرآن كلام الله غير مخلوق ، وان الخير والشر بقدر لقوله تعالى ﷻ انا
كل شيء خلقناه بقدر ﷻ (٢) ولم يكونوا يكفرون أحدا من أهل القبلة لقوله
ﷻ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﷻ (٣)

=====

- (١) سورة البينة ، الآية : ٥ .
(٢) سورة القمر ، الآية : ٤٩ .
(٣) سورة النساء ، الآية : ٤٨ .

وما رأيت فيهم أحدا يتناول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قالت عائشة رضي الله عنها :

أمروا أن يستغفروا لهم وذلك قوله تعالى ﴿ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم ﴾ (١) .
وكانوا يبنهون عن البدع ما لم يكن عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه لقوله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ (٢) .

ويحثون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وألا ننازع الأمر ^{أهله} لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم : اخلاص العمل لله وطاعة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم (٣) .

فان دعوتهم تحيط من ورائهم وقوله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ (٤) (٥) .

(٣) من اعتقاد شيخ الاسلام ابن تيمية : رحمه الله :

سأل أحد قضاة واسط شيخ الاسلام أن يكتب له عقيدة تكون له عمدة له ولأهل بيته فأجابه :

(بعد الحمد والشهادتين قال) : أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة ، أهل السنة والجماعة ، وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ، ومن الايمان بالله : الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يؤمنون بأن الله سبحانه

=====

(١) سورة الحشر : الآية ١٠ . (٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٣) سنن الترمذى ح ٢٦٥٨ ومسند الامام أحمد ٨٠ / ٤ .

(٤) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٥) شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة / ١ ١٧٢ - ١٧٦ .

* ليس كمثل شئ وهو السميع البصير * (١) ، * سبحان رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * (٢) .

فلا عدول لأهل السنة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين .

ومن أصول أهل السنة أن الدين والايمان قول وعمل ، وأن الايمان يزيد

بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي ، بل

الاخوة الايمانية ثابتة مع المعاصي .

ومن أصول أهل السنة والجماعة : سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم به في قوله تعالى * والذين جاؤوا من بعدهم

يقولون : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا

للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم * (٣) .

وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله * لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي

بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (٤) .

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

باطنا وظاهرا ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، ويعلمون

أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وبهذا

سموا أهل الكتاب والسنة ، وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها

الفرقة ، (وهم مجتمعون على اتباع الكتاب والسنة ومعتصمون بحبل الله جميعا) ،

=====

(١) سورة الشورى : الآية ١١ . (٢) سورة الصافات : الآية ١٨٠-١٨٢

(٣) سورة الحشر : الآية ١٠ .

(٤) متفق عليه : صحيح البخارى ، فضائل الصحابة رقم الحديث ٣٤٧٠ ، ،

وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب : تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم

رقم الحديث ٢٥٤٠ .

والاجماع هو الأصل الثالث الذى يعتمد عليه في العلم والدين وهم يزنون
بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة ، مما له
تعلق بالدين .

والاجماع الذى ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح اذ بعدهم كثر الاختلاف
وانتشرت الأمة (١) .

(٤) من اعتقاد الامام المحدث ولي الله الدهلوى :

قال أحمد بن عبد الرحيم المعروف بشاه ولي الله :

الفرقة الناجية هم الآخذون في العقيدة والعمل بما ظهر من الكتاب والسنة
وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين .

وغير الناجية كل فرقة انحلت عقيدة خلاف عقيدة السلف أو عملا دون أعمالهم (٢)

(٥) وقال الامام محمد بن عبد الوهاب :

باب ماجاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين وقول

الله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ (٣) .

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله تعالى ﴿ وقالوا

لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ سورة نوح :

الآية ٢٣ .

قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان

الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها

بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت (٤) .

=====

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ٣ / ١٢٩ - ١٥٧ .

(٢) حجة الله البالغة ١ / ١٧٠ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٧١ .

(٤) رواه البخارى في تفسير هذه الآية بالتفصيل رقم الحديث ٤٦٣٦ .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تطروني كما أطرت النصارى إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله (١) .

وقال الامام البخارى : باب : ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع لقوله تعالى * يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق * (٢) (٣) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس ، اياكم والغلو في الدين فانه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين (٤) .

وقال الامام محمد بن عبد الوهاب : باب ماجاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده .

وعن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة (٥) .

فهؤلاء جمعوا بين الفتنين فتنة القبور وفتنة التماثيل .

وقالت عائشة رضي الله عنها : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال : وهو كذلك ،

=====

(١) رواه الامام أحمد في مسنده ، ٢٣ / ١ ، والدارمي في سننه : الرقائق ، رقم الباب ٦٨ ، ٣٢٠ / ٢ ، والامام الدارمي هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن ابن الفضل بن بهرام الدارمي السمرقندي (١٨١ - ٢٥٥ هـ) (تذكرة الحفاظ للذهبي رقم الترجمة ٥٥٢) . (٢) سورة النساء : الآية ٧١ .

(٣) صحيح البخارى : الاعتصام بالكتاب والسنة ، رقم الباب ٥ ، ٢٦٦١ / ٦ . (٤) سنن ابن ماجه : المناسك رقم الباب ٦٣ ، رقم الحديث ٣٠٢٩ ، ١٠٠٨ / ٢ . (٥) صحيح البخارى : المساجد رقم الحديث ٤١٧ ، ومسلم : المساجد ٥٢٨ .

لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا (١)
 وروى الامام مسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه
 وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : اني أبرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل
 فان الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من
 أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم
 وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد اني أنهاكم عن ذلك (٢) (٣) .

=====

- (١) صحيح البخارى : المساجد رقم الحديث ٤٢٥ وصحيح مسلم : المساجد ،
 باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، رقم الحديث ٥٣١ .
- (٢) صحيح مسلم : المساجد رقم الحديث ٥٣٢ .
- (٣) كتاب التوحيد للامام المجدد محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)
 من ضمن رسائل (الجامع الفريد) صفحة ٩٤ - ١٠١ .
- وهو الامام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن أحمد بن راشد التميمي
 النجدى ، ولد في بلدة العُيَينَة ، قام بالدعوة الى التوحيد الخالص ، ووفق
 الله الأمير محمد بن سعود لمناصرته .
- وكانت دعوته دعوة القرآن والسنة ويحميها بالسيف حتى أعاد لنجد صفاءها
 فرجع أهلها الى الدين الحنيف وسلامة العقيدة .
- ثم انتشرت الدعوة الى بلدان كثيرة تعيد ما اندرس من معالم الدين الصحيح
 وتذكر الناس بما نسوه من مسؤولياتهم الدينية بعد تراكم البدع والجهالات
 وما زالت هذه الدعوة باذن الله ونصرته - ولا تزال ان شاء الله - في امتداد
 وانتشار رغم ما صادفها من عراقيل ، وما ألصق بها من تهمة وبهتان ، لأنها
 دعوة الحق ، والحق يعلو ولا يعلى عليه :
- * جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا * الاسراء : ٨١ .
- (انظر ترجمته في معجم المؤلفين ١٠ / ٢٦٩ ، وفي " بحوث أسبوع الشيخ
 محمد بن عبد الوهاب " التي أعدت تحت اشراف جامعة الامام محمد بن سعود
 الاسلامية سنة ١٤٠٣ هـ ، ٢ / ٣٤ - ٥٠ .

١٤ = انكار القرآن الكريم على من يؤثرتقليد آباءه أو امامه أو شيخه أو زعيمه

. . . . أو غيرهم على اتباع الكتاب والسنة .

قال تعالى * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون * (١) .

قال ابن كثير : روى الترمذى (٢) وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرالى الشام ، وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاها فرجعت الى أخيها فرغبت في الاسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم عدى الى المدينة وكان رئيسا في قومه (طي) وأبو حاتم الطائي مشهور بالكرم فتحدث الناس بقدمه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدى صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله * ، قال : فقلت : انهم لم يعبدوهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم اياهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عدى ماتقول ؟ أبيضرك أن يقال : الله أكبر ؟ فهل تعلم شيئا أكبر من الله ؟ ما يضرك أن يقال لا اله الا الله فهل تعلم الها غير الله ؟ ثم دعاه الى الاسلام فأسلم وشهد شهادة الحق ، قال : فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال : ان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون .

وهكذا قال حذيفة بن اليمان وابن عباس وغيرهما في تفسيرها ، انهم اتبعوهم

=====

(١) سورة التوبة : الآية ٣١ .

(٢) رواه الترمذى في تفسير هذه الآية الا أن روايته مختصرة وفيها (وفي عنقي

صليب من ذهب فقال : يا عدى اطرح عنك هذا الوثن) ، سنن الترمذى

كتاب التفسير ، رقم الحديث ٣٠٩٥ ، وتفسير ابن جرير ١١٤ / ١٠ .

فيما حللوا وحرّموا ، وقال السدي : استنصحو الرجال ونبذوا كتاب الله وراء^١ ظهورهم (١) .

وقال الشوكاني : الأخبار جمع خبر قال الفراء : الكسر والفتح لغتان والرهبان جمع راهب من الرهبة وهم علماء النصارى كما أن الأخبار هم علماء اليهود .
ومعنى الآية : أنهم لما أطاعوهم فيما يأمرونهم به وينهون عنه كانوا بمنزلة المتخذين لهم أرباباً لأنهم أطاعوهم كما تطاع الأرباب .

وفي هذه الآية ما يزر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب والسنة ، فان طاعة المتمدّهب لمن يقتدى بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبياءه هو كما تخاذ اليهود والنصارى للأخبار والرهبان أرباباً من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرّموا ما حرّموا وحلّلوا ما حلّلوا ، وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة .

فيا عباد الله ويا أتباع محمد بن عبد الله ، ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم بما جاؤا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق ولم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب والسنة تنادى بأبلغ نداء ، وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه فأعرتموها آذاناً صماً وقلوباً غلغفا ، وأفهما مريضة وعقولا مهيضة وأذهانا كليلية وخواطر عليلية .

فدعوا - أرشدكم الله وإياي - كتباً كتبها الأموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالفكم ، واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأئمتكم ، وما جاؤوكم به من الرأي بأقوال امامكم وامامهم وقد وتكم وقد وتهم وهو الامام الأول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم اهدنا الى الحق وأرشدنا الى الصواب (٢) .

=====

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٤٩ .

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٢ / ٣٥٢ - ٣٥٣ .

وقال العلامة أبو عمرو يوسف بن عبد البر : باب فساد التقليد ونفيه والفرق بين التقليد والاتباع ، قد ذم الله تبارك التقليد في غير موضع من كتابه (ثم ذكر هذه الآية وقصة عدى بن أبي حاتم ثم قال :) :

وقال جل وعز ﴿ وكذ لكما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، قال أو لو جئتم بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم ﴾ .

فمنعهم الاقتداء بآباءهم من قبول الاهتداء فقالوا ﴿ انا بما أرسلتم به كافرون ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ وقالوا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ (٢) ، ومثل هذا في القرآن كثير من ذم تقليد الآباء والرؤساء .

وقد احتج العلماء بهذه الآيات في ابطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وايمان الآخر ، وانما وقع التشبيه بين التقليد بين بغير حجة للمقلد كما لو قلد رجل فكفر وقلد آخر فأذنب فقلد آخر في مسألة دنياه فأخطأ وجهها كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة .

فاذا بطل التقليد بكل ما ذكرنا وجب التسليم للأصول التي يجسب التسليم لها وهي الكتاب والسنة أو ما كان في معناهما بدليل جامع بين ذلك ، ثم ذكر بسنده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اني لأخاف على أمتي من بعدى من أعمال ثلاثة قال : وما هي يا رسول الله ، قال : أخاف عليهم من زلة العالم ، ومن حكم جائر ، ومن هوى متبع .

=====

(١) سورة الزخرف : الآية ٢٣ و ٢٤ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٦٦ .

وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تركت فيكم أمرين لن تنزلوا عليهما ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله .

وهذا كله لغير العامة فان العامة لا يد لها من تقليد علماءها عند النازلة تنزل بها لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل بعدم الفهم الى علم ذلك ، ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علماءها وأنهم المرادون بقول الله عز وجل ﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ﴾ (١) (٢) .

وفي بيان بطلان التقليد المذموم وآثاره السلبية السيئة وبيان الجائز منه كلام قيم ومفيد للخطيب البغدادي (٣) وأبي حامد الغزالي (٤) وشيخ الاسلام ابن تيمية (٥) والامام ابن القيم (٦) وأبي اسحاق الشاطبي (٧) والصنعاني (٨) ،

=====

(١) سورة الأنبياء : الآية ٧ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله (لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المتوفى ٤٦٣ هـ / ١٣٣ - ١٤٠ ، قال الذهبي فيه : الامام شيخ الاسلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبي ، (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) (انظر للتفصيل : تذكرة الحفاظ ٣ / ١٢٨ رقم الترجمة ١٠١٣) .

(٣) الفقيه والمتفقه للحافظ المؤرخ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ) (٦٦ / ٢ - ٦٨) .

(٤) المستصفي من علم الأصول لأبي حامد الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ ، ٣٨٤ / ٢ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٣ / ١٩٧ - ١٩٨ ، ١٩٠ / ٢٦٠ و ٢٦١ ج ٢٠ / ٢١٠ - ٢١٢ - ٢٠٧ .

(٦) أعلام الموقعين ١ / ٥ - ٨ ، ، ١٨٧ / ٢ - ٢٩٢ .

(٧) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ ، ١٧٠ / ٤ - ١٧٢ .

(٨) ارشاد النقاد الى تيسير الاجتهاد لمحمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢ هـ هذه الرسالة مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية في أولها .

والمحدث أحمد بن عبد الرحيم المعروف بشاه ولي الله الدهلوي (١) .

وقد قرأت كلام هؤلاء العلماء الأجلاء وجمعت أهمه ، ولكن خوفا من التطويل

أقدم خلاصته فيما يلي :

(١) وجوب عبادة الله وحده ووجوب طاعته تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم

باتباع الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة وحق التحليل والتحريم والتشريع لله

وحده .

(٢) التقليد أخذ القول بغير العلم بالدليل .

(٣) حدوث بدعة التقليد المذموم والتعصب المذهبي المهلك بعد القرون الثلاثة

الأولى المفضلة .

(٤) نهى الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء المجتهدين عن التقليد .

(٥) حرمة التقليد للعلماء القادرين على معرفة الأدلة من الكتاب والسنة الذين

تبين لهم بياناً واضحاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكذا ، ونهى عن

كذا ، وهذا النص محكم وذلك منسوخ وهذا عام وذلك خاص ، وهذا الحديث

قوى وذلك ضعيف وأدلة الموافق والمخالف في المسألة ، فيجب عليهم اتباع

الكتاب والسنة مباشرة .

(٦) جواز التقليد للعامة الذين لا قدرة لهم على الاطلاع بأنفسهم على الأدلة

من الكتاب والسنة فهم كالعميان لا بد لهم من الاعتماد في العبادة لله

تعالى واتباع كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على من يثقون في دينهم

وعلمهم وعد التهم وتقواهم ، ولكن بدون تعصب ، وإصرار ، فإذا ظهر لهم

=====

(١) حجة الله البالغة : لأحمد بن عبد الرحيم (١١١٠ - ١١٧٦ هـ) (أحيا

الله به وبأولاده وتلاميذهم الحديث والسنة في الهند) ، (انظر ترجمته

في الأعلام للزركلي ١ / ١٤٩) ج ١ / ١٥٤ - ١٦١ .

نص ثابت من الكتاب والسنة على خلاف قول امامهم فيجب عليهم ترك التقليد
واتباع الكتاب والسنة لأن الاجتهاد والتقليد يسقطان بظهور النص الثابت
كما لا يجب التقليد لشخص معين أو مذهب معين ، بل لا يجوز الأخذ بجميع
أقوال العالم وتقليده في كل شيء لأنه قد يزل فإذا قد يقع المقلد الذي
هو بمنزلة الأعمى في الخطأ والباطل .

كما انه يتعود بهذا على معرفة الحق بالرجال وان الحق لا يعرف بالرجال ،
بل الرجال يعرفون بالحق ، والحق وميزان الحق كتاب الله وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم ، فكل يؤخذ من قوله ويرد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأنه من الله تعالى معصوم عن الخطأ .

* وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى^(١) * ، وبالتقليد المذموم
والتعصب المذهبي وقعت الأمة في شرور وبلايا ومحن ، فله آثار سلبية سيئة خطيرة
فمن آثار التقليد السيئة :

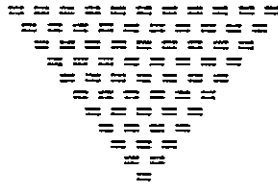
١ = قد فقد المقلدون الاهتداء من الكتاب والسنة وحرموا اتباعهما اتباعاً كاملاً
كما تفرقت الأمة لأجل التقليد الى شيع وأحزاب وحدثت الاختلافات ،
والعداوات التي لا مبرر لها ولا نهاية ولا علاج لها الا الرجوع الى اتباع
الكتاب والسنة وترك التقليد المذموم .

٢ = وحدث به القول بانسداد باب الاجتهاد وصارت الشريعة في نظر المقلدين
أقوال الفقهاء واعتبروا كل من خرج عن أقوالهم مبتدعاً ، ولا يوثق بقوله ،
مهما كان متبعاً للكتاب والسنة .

٣ = كما كان من آثاره السيئة الخطيرة انتشار البدع واختفاء معالم السنن وخمود
الحركة العقلية ووقف النشاط الفكري ، وضياع الاستقلال العلمي .
فقد حدث بالتقليد الجمود وتسعطت قوى التفكير وضعفت ملكة حل المشاكل
التي يواجهها الانسان في حياته الفكرية والعملية ، وحدث اليأس القاتل

والاستسلام المهلك لمكائد الأعداء وللظروف الصعبة ، وأخيرا اللجوء
المذموم الى الاعتذار بالقدر في مجال العمل والمسؤولية ، وقد أدى كل
هذا الى ضعف شخصية الأمة وأفقدتها الحياة المنتجة وقعدتها عن السير
والنهوض ، وبذلك وجد الأعداء ثغرات هاجموا منها على المسلمين ودينهم
للقضاء على الاسلام .

فعلى علماء الأمة خاصة ، وعلى جميع المسلمين عامة أن ينتبهوا ويدركوا
أخطار التقليد والتعصب ويجتمعوا جميعا على كلمة الاسلام ويتبعوا كتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم اتباعا كاملا ، ويعتصموا بحبل الله جميعا ولا يفرقوا
* ومن يعتصم بالله فقد هدى الى الصراط المستقيم * (١) .



=====

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠١ .

الفصل الثاني

مسؤولية الصلاة

مكرر

مدخل :

.....

ان بناء الاسلام الأساسي قائم على خمسة أركان كما قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان (١) .

فقد تكلمت في الفصل الأول عن الركن الأول للاسلام وهو وجوب الايمان بالله عز وجل وتوحيده في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته ، واخلاص العبادة له عز وجل والايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الأنبياء والرسل ووجوب اتباع الكتاب والسنة اتباعا كاملا ، مع وجوب الاجتماع والاعتصام بحبل الله عز وجل . وفي هذا الفصل أتكلم عن الركن الثاني للاسلام وهو فريضة الصلاة ، فان

الاسلام والايمان ليس بقول فقط ، بل قول وعمل ، فلهذا قال الامام البخارى :

الايمان قول وعمل ويزيد وينقص ، وقال أيضا : باب أمور الايمان وقول الله تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأس والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الايمان

بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الايمان (٣) .

=====

(١) متفق عليه ، صحيح البخارى : الايمان رقم الحديث ٨ ، ومسلم : الايمان

رقم الحديث ١٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

(٣) متفق عليه : صحيح البخارى : الايمان رقم الحديث ٩ ، ومسلم : الايمان

رقم الحديث ٣٥ .

وقال البخارى : وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى : ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ، فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وان أمت فما أنا على صحبتكم بحريص .
 وقال عمر رضي الله عنه : لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر (١) .

فعلنا بهذا كله أن من مسؤولية المسلم الايمانية تتفرع مسؤوليات أخرى كثيرة تجب عليه منها مسؤولية الصلاة والزكاة والصوم والحج ، والمسؤولية الأسرية وغيرها من المسؤوليات الفردية والجماعية .
 فعليه أن يقوم بجميع هذه المسؤوليات ليستكمل ايمانه واسلامه :

(١) أهمية فريضة الصلاة

ان أكبر المسؤوليات على المسلم بعد الايمان والتوحيد مسؤولية الصلاة ، فانها مسؤولية عظيمة فقد بين القرآن الكريم وجوبها ومكانتها في الاسلام وأهميتها عند الله عز وجل ، مؤكداً ومكرراً وأخبر عن عظيم ثوابها وعلو مرتبة المؤمنين المقيمين اياها المحافظين عليها في الدنيا والآخرة .

كما حذر أشد التحذير من تركها وأنذر على اذاعتها والتغافل عنها ، فهي عماد الدين وأوجب الأعمال وخيرها بعد الشهادتين ، فانها رمز كامل على معرفة الله عز وجل وشكره والقيام بحقوق عبوديته سبحانه ، كما أنها تقرب العبد من ربه وتحيي معاني الايمان في قلبه ، وتنوره بمعرفة الله تعالى ، وتطمئه بذكره سبحانه * ألا بذكر الله تطمئن القلوب * (٢) ، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر وتعوده على

=====

(١) صحيح البخارى : بداية كتاب الايمان ١١ / ١ - ١٢ .

(٢) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

الطاعة والتواضع ، والامتثال وأن الله عز وجل أول ما يحاسب العبد يوم القيامة بعد الايمان يحاسب عن مسؤولية الصلاة ، فان صلحت فقد أفلح ، وان فسدت فقد خاب وخسر (١) .

فمن أقام الصلاة وحافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان ، وأبي بن خلف (٢) .

فان الصلاة حد فاصل بين الاسلام والايمان ، وبين الكفر والشرك وبين المؤمنين بالله حقا وبين الكفار والفاستقين الغافلين .

روى الامام مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة (٣) .

وان الله تعالى لا يقبل توبة الكفار والمشركين الا بعد الايمان واقامة الصلاة وايتاء الزكاة كما قال تعالى * فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين * (٤) ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : ان العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر . رواه الامام أحمد (٥) ، والترمذى (٦) والنسائي (٧)

=====

(١) وبهذا المعنى حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه الامام أحمد وبين صحتها بالتفصيل الشوكاني (انظر : نيل الأوطار ١ / ٢٩٥ ، ومسند الامام أحمد ٢ / ٤٢٥) .

(٢) رواه الامام أحمد ٢ / ١٦٩ وقال الشوكاني : أخرجه أيضا الطبراني في الكبير والأوسط وقال في مجمع الزوائد : رجال أحمد ثقات (نيل الأوطار ١ / ٢٩٣) .

(٣) رواه مسلم : الايمان ، رقم الحديث ٨٢ .

(٤) سورة التوبة : الآية ١١ .

(٥) مسند الامام أحمد ٥ / ٣٤٦ .

(٦) وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح (سنن الترمذى رقم الحديث

٢٦٢١) .

(٧) سنن النسائي : الصلاة ، رقم الباب ٨ ، ١ / ٢٣٠ .

وابن ماجه (١) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : ومن أحب الأعمال الى الله وأعظم الفرائض عنده الصلوات الخمس في مواقيتها وهي أول ما يحاسب عليها العبد من عمله يوم القيامة .

وهي عمود الاسلام الذى لا يقوم الا به وهي أهم أمر الدين ، كما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يكتب الى عماله :

ان أهم أمركم عندى الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد اضاعه (٢) .

ويؤكد أهمية الصلاة دعاء خليل الله ابراهيم عليه السلام * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * (٣) .

ومدح الله سبحانه عبده الذبيح اسماعيل عليه السلام بقوله * وكان يأمر بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا * (٤) .

وأمر الله عز وجل نبيه وكليمه موسى عليه السلام باقامتها أول ما يأمره به فـي ساعات الوحي الأولى فقال تعالى :

* وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري * (٥) .

وقد أوصى لقمان ابنه بالصلاة بعد النهي عن الشرك بالله * يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور * (٦) .

=====

(١) سنن ابن ماجه : اقامة الصلاة رقم الباب ٧٧ ، رقم الحديث ١٠٧٧ ، وقال

الشوكاني في شرحه : الحديث صححه النسائي والعراقي ورواه ابن حبان

والحاكم أيضا (نيل الأوطار ١ / ٢٩٣) ١ .

(٢) الرسالة السننية في اتباع الرسول عليه السلام لشيخ الاسلام ابن تيمية المطبوع

في ضمن (مجموع الرسائل المفيدة) ص ٢٣٦ .

(٣) سورة ابراهيم : الآية ٤٠ . (٤) سورة مريم : الآية ٥٥ .

(٥) سورة طه : الآية ١٣ و ١٤ . (٦) سورة لقمان : الآية ١٧ .

وقال ابن منظور : الصلاة الركوع والسجود وصلاة الله على رسوله رحمته له ،
 وقال ابن الأعرابي : الصلاة من الله رحمة ومن المخلوقين الملائكة والانس
 والجن : القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح والصلاة من الطير والهوام
 التسبيح .

وقال الزجاج : الأصل في الصلاة اللزوم ، يقال : قد صلى واصطفى اذا
 لزم .

وقال أهل اللغة : انها من الصلويين وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها .
 قال الأزهرى : والقول عندي هو الأول انما الصلاة لزوم ما فرض الله تعالى ،
 والصلاة من أعظم الفروض الذي أمر بلزومه .

قال ابن الأثير : الصلاة العبادة المخصوصة وأصلها الدعاء ، فسميت
 ببعض أجزاءها ، وقيل أصلها في اللغة التعظيم وفي الصلاة المخصوصة الشرعية
 تعظيم الرب تعالى (١) .

وقال الراغب : والصلاة : قال كثير من أهل اللغة هي الدعاء والتبريك
 والتمجيد ، وصلاة الله للمسلمين هي في التحقيق تزكيتهم ايهاهم ، وقال تعالى :
 ﴿ أولئك عليهم صلاة من ربهم ورحمة ﴾ (٢) ، والصلاة من العبادات التي لم
 تنفك شريعة منها وان اختلفت صورها بحسب شرع فشرع ، ولذلك قال تعالى :
 ﴿ ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ (٣) .

وكل موضع مدح الله تعالى بفعل الصلاة أو حث عليه ذكر بلفظ الأقامة ، ولم
 يقل المصلين الا في المنافقين . (٤)

=====

(١) لسان العرب : ١٤ / ٤٦٤ - ٤٦٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٥٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٠٣ .

(٤) هذا في الغالب ، لأن قوله تعالى : " إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون " (سورة

المعارج ، الآية : ٢٢ - ٢٣) في المؤمنين المخلصين .

وانما خص لفظ الإقامة تنبيهاً أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشرائطها لا الاتيان بهيئتها فقط (١) .

وقال ابن قدامة : الصلاة في الشرع عبارة عن الأفعال المعلومة فاذا ورد في الشرع أمر بصلاة أو حكم معلق عليها انصرف بظاهره الى الصلاة الشرعية ، وهي واجبة بالكتاب والسنة والاجماع (٢) .

(٣) تفسير آيات أوجب الله تعالى فيها الصلاة على المؤمنين :

١ - قال تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ، واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم ﴾ (٣) .

قال الامام الشافعي في أحكام القرآن : وفيما نقل بعض من سمعت منه من أهل العلم : أن الله عز وجل أنزل فرضاً في الصلاة قبل فرض الصلوات الخمس ، فقال : ﴿ يا أيها المزمل قم الليل الا قليلاً ، نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ (٤) ، ثم نسخ هذا في السورة معه فقال ﴿ ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ (٥) فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على أن لا واجب من الصلاة الا الخمس (٦) .

=====

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) المغني لابن قدامة (وهو أبو محمد عبد الله بن أحمد محمد بن قدامة المتوفي سنة ٦٧٠ هـ ، ٣٦٩/١٠) .

(٣) سورة المزمل : الآية ٢٠ . (٤) سورة المزمل : الآية ١ - ٤ .

(٥) سورة المزمل : الآية ٢٠ . (٦)

(٦) أحكام القرآن للامام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) ١/٥٤ - ٥٥ ، قال

الخطيب البغدادي في ترجمة الامام الشافعي : محمد بن ادريس بن =

وروى أبو جعفر ابن جرير الطبرى بسنده عن قتادة أنه قال : افترض الله
القيام في أول هذه السورة فقام نبي الله وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم
وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء ثم أنزل التخفيف في آخرها ، فصار
قيام الليل تطوعاً بعد فريضة .

(وأقيموا الصلاة) يقول : وأقيموا/المفروضة وهي الصلوات الخمس في اليوم
والليلة .

(وآتوا الزكاة) أى أعطوا الزكاة المفروضة في أموالكم ، أهلها (١) .

وقال ابن كثير في تفسير الآية : وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم : اذا جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولا يفقه
ما يقول حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
خمس صلوات في اليوم والليلة ، فقال : هل علي غيرها ؟ قال : لا ، الا أن تطوع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وصيام رمضان ، قال : هل علي غيره ؟
قال : لا الا أن تطوع ، قال وذكر له رسول الله الزكاة . . . الحديث (٢) (٣) .

=====

العباس أبو عبد الله الشافعي الامام زين الفقهاء وتاج العلماء ، ولد بغزة
من بلاد الشام وقيل باليمن ، ونشأ بمكة وكتب العلم بها وبمدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم وقدم بغداد مرتين وحدث بها وخرج الى مصر فنزلها
الى حين وفاته (تاريخ بغداد ٥٦/٢ ، رقم الترجمة ٤٥٤ ، وتذكرة
الحفاظ للذهبي ٣٦١/١ رقم الترجمة ٣٥٤) .

- (١) تفسير ابن جرير الطبرى ١٤١/٢٩ - ١٤٢ .
(٢) صحيح البخارى : الايمان ، رقم الحديث ٤٦ ، وصحيح مسلم : الايمان ،
باب : بيان الصلوات التي هي أحد أركان الاسلام ، رقم الحديث ١١ .
(٣) تفسير ابن كثير : ٤٣٩/٤ .

وقال الامام البخارى : باب : البيعة على اقامة الصلاة ثم روى عن جرير بن عبد الله قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم (١) .

وقال ابن حجر في شرح الحديث : والمراد بالبيعة المبايعة على الاسلام ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما يشترط بعد التوحيد اقامة الصلاة لأنها رأس العبادات البدنية ثم أداء الزكاة لأنها رأس العبادات المالية ، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم اليه أس (٢) .

- ٢ - تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ (٣) .

قال ابن كثير : يقول تعالى : ناهيا لليهود عما كانوا يتعمدونه من تلبس الحق بالباطل ، وكتمانهم الحق واطهارهم الباطل (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) فنهاهم عن الشيئين معا وأمرهم باظهار الحق ، والتصريح به .

وقال قتادة (ولا تلبسوا الحق بالباطل) أى ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالاسلام وأنتم تعلمون ، ان دين الله الاسلام وان اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله عز وجل .

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) قال مقاتل : قوله تعالى (وأقيموا الصلاة) لأهل الكتاب أمرهم أن يصلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يؤتوا الزكاة يدفعونها الى النبي صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يركعوا مع الراكعين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول : كونوا معهم ومنهم ، وكونوا مع

=====

(١) صحيح البخارى : مواقيت الصلاة ، رقم الحديث ٥٠١ .

(٢) فتح البارى ٧/٢ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٤٢ و ٤٣ .

المؤمنين في أحسن أعمالهم ومن أخص ذلك وأكمل الصلاة ، وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة (١) .

وقال البخارى : باب وجوب صلاة الجماعة ثم روى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم أمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالف الى رجال فأحرق عليهم بيوتهم (٢) .

وروى البخارى أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة (٣) .

- ٣ - وقد أخذ الله الميثاق والعهد المؤكد من بني اسرائيل على عبادة الله وحده وتوحيده تعالى في ربوبيته وألوهيته والاحسان مع الوالدين ، وعلى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ولكنهم تولوا الا قليلا منهم عن ذلك الميثاق ، وأعرضوا عنه ، وقد ذكر الله تعالى هذا في القرآن الكريم تذكيرا وتنبيها لبني اسرائيل وتعلينا للمسلمين قال تعالى ﴿ واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقلولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون ﴾ (٤) .

أى اذكروا يا بني اسرائيل حين أخذنا على اسلافكم العهد المؤكد غاية التوكيد بأن لا تعبدوا غير الله وأمرناهم بأن يحسنوا الى الوالدين والى الأقرباء

=====

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٨٤ - ٨٥ .

(٢) صحيح البخارى : الجماعة والامامة ، رقم الحديث ٦١٨ ، وصحيح مسلم ، المساجد ومواضع الصلاة ، رقم الحديث ٦٥١ .

(٣) صحيح البخارى : الجماعة والامامة رقم الحديث ٦١٩ ، وصحيح مسلم ، المساجد : ومواضع الصلاة رقم الحديث ٦٥٠ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٨٣ .

واليتامى والمساكين الذين عجزوا عن الكسب ، وقلنا لهم (قولوا للناس حسنا) ،
 أى قولاً حسناً (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى صلوا وزكوا كما فرض الله عليكم من
 أداء الركنتين العظيمين الصلاة والزكاة لأنهما أعظم العبادات البدنية والمالية ،
 (ثم توليتم الا قليلاً منكم وأنتم معرضون) أى ثم رفضتم وأسلافكم الميثاق رفضاً باتاً
 وأعرضتم عن العمل بموجبه الا قليلاً منكم ثبتوا عليه .

- ٤ - وأن هؤلاء اليهود والنصارى لا يقومون بما أوجب الله عليهم بالتوحيد لله عز
 وجل في عبادته وحده لا شريك له وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، كما وجب عليهم
 ولا يريدون أن يقوم المسلمون بالواجبات عليهم من التوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء
 الزكاة وغيرها من الواجبات ، بل كثير من أهل الكتاب يودون أن يردوا المسلمين
 عن دينهم الاسلام من بعد ايمانهم كفاراً حسداً منهم للمسلمين ودينهم .
 ولقد أخبر الله تعالى المسلمين عن هذه الفطرة الخبيثة لليهود والنصارى
 في القرآن وحذرهم عن كيدهم .

كما أمرهم بالثبات على الايمان والتوحيد والاسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة
 وغيرها من شعائر الاسلام ، قال تعالى ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من
 بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا
 واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير ، وأقيموا الصلاة وآتوا
 الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير ﴾ (١) .
 وقوله (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى : حافظوا على عمودى الاسلام وهما
 الصلاة والزكاة وتقربوا الى ربكم بالقيام بهذين الواجبين العظيمين ، وقال ابن كثير
 في تفسير هذه الآية :

=====

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ، ويعلمهم بعد اوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم ، ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح ، ويأمرهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه كما قال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد ابن جبیر أوعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان حبيبي بن أخطب وأبو ياسر ابن أخطب من أشد يهود للعرب حسدا ، وكانا جاهدين في رد الناس عن الاسلام ما استطاعا فأنزل الله فيهما هذه الآية (١) .

- ٥ - ان الله تعالى قد فرض بعد الايمان والتوحيد في مكة فريضة الصلاة وأصل الزكاة ، وأمر المؤمنين أن يقوموا بهذين السواجين أولا بعناية قبل القتال والجهاد قال تعالى * ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلم يكتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب ، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتىلا * (٢) .

قال ابن كثير : كان المؤمنون في ابتداء الاسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة وان لم تكن الزكاة ذات النصب وكانوا مأمورين بمواسات الفقراء منهم ، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر الى حين ، وكانوا يتحرقون ويسودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعداءهم ولم يكن الحال اذ ذاك مناسبا لأسباب كثيرة منها قلة عدد دهم بالنسبة الى كثرة عدد عدوهم ، فلهذا لم يؤمروا بالجهاد الا بالمدينة لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار .

=====

- (١) تفسير ابن كثير ١/١٥٣ .
- (٢) سورة النساء : الآية ٧٧ .

ومع هذا لما أمروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم منه ، وخافوا من مواجهة
الناس خوفا شديدا (١) .

٦ - اشارات القرآن الكريم الى محاولات فاشلة للمشركين في رد المسلمين عن دينهم
الاسلام بعبادته وحده باقامة الصلاة له وطاعته في كل أوامره تعالى وبيانه أن الهدى
ليس الا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله وما عداه فهو ضلال وهلاك .
قال تعالى ﴿ قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا
بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه
الى الهدى اثنتا ، قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ،
وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون ﴾ (٢) .

قال السدى : قال المشركون للمسلمين اتبعوا سبيلنا (كما أخبر تعالى
﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من
خطاياهم من شيء انهم لكاذبون ﴾ (٣)) واتركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم :
فأنزل الله عز وجل ﴿ قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا
أى في الكفر ﴾ بعد اذ هدانا ﴿ فيكون مثلنا مثل الذى استهوته الشياطين في
الأرض ، .

يقول : مثلكم ان كفرتم بعد ايمانكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق
فضلّ الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض ، وأصحابه على الطريق فجعلوا
يدعونه اليهم يقولون : اثنتا فانا على الطريق فأبى أن يأتيهم فذلك مثل من يتبعهم
بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومحمد هو الذى يدعو الى الطريق ،
والطريق هو الاسلام ، (رواه ابن جرير) (٤) .

=====

- (١) تفسير ابن كثير ١ / ٥٢٥ . (٢) سورة الأنعام : الآية ٧١ و ٧٢ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٢ .
(٤) جامع البيان عن تأويل آى القرآن المجلد الخامس ج ٥ / ٢٣٥ .

* وأمرنا لنسلم لرب العالمين * أى نخلص له العبادة وحده لا شريك له ،
* وأن أقيموا الصلاة واتقوه * أى : وأمرنا باقامة الصلاة وبتقواه عز وجل في جميع
الأحوال * وهو الذى اليه تحشرون * أى يوم القيامة .

وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى * قل ان هدى الله هو الهدى * :
قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان القائلين لأصحابك : اتبعوا سبيلنا
فانا على هدى ليس الأمر كما زعمتم * ان هدى الله هو الهدى * أى ان طريق
الذى بينه لنا وسبيلنا الذى أمرنا بلزومه ودينه الذى شرعه لنا هو الهدى والاستقامة
لاعبادة الأوثان التي لا تضر ولا تنفع فلا نترك الحق ونتبع الباطل .
* وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه * أى أمرنا لنخضع
له بالذل والطاعة وأمرنا باقامة الصلاة وذلك بأدائها بحدودها التي فرضت
علينا (١) .

- ٧ - يا عباد الله أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة قبل أن تفوت الفرصة ، قال تعالى :
* قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، من
قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال * (٢) .

قال أبو حيان : لما ذكر الله تعالى حال الكفار وكفرهم نعمته وجعلهم له
أندادا أمر المؤمنين بلزوم الطاعة والتيقظ لأنفسهم ، والزام عمودى الاسلام الصلاة
والزكاة قبل مجيئ يوم القيامة . . .

وذهب الكسائي والزجاج وجماعة الى أن معمول (قل) هو قوله (يقيموا
الصلاة) وهو أمر مجزوم بلام الأمر المحذوفة . . (٣) .

=====

- (١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، المجلد الخامس ٥ / ٢٣٨ .
- (٢) سورة ابراهيم : الآية ٣١ .
- (٣) البحر المحيط : ٥ / ٤٢٥ - ٤٢٦ .

وقد ذكر أبو حيان هنا عدة توجيهات غير هذا وقال الامام ابن جرير الطبرى يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) يا محمد (لعبادى الذين آمنوا) بك (يقيموا الصلاة) أى قل لهم : فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها ، ولينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، أى فليؤدوا مسأؤجبت عليهم من الحقوق سرا واعلانا .

(من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) أى لا يقبل فيه فدية و عوض من نفس وجب عليها عقاب الله بما كان منها من معصية ربها في الدنيا ، وليس هناك مخالفة خليل فيصفح عن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالفة ، بل هنالك العدل والقسط ، وجزم قوله (يقيموا الصلاة) بتأويل الجزاء ومعناه : الأمر ، يراد ، قل لهم ليقموا الصلاة (١) .

ومن مثل هذه الآيات التي أوجب الله فيها اقامة الصلاة قوله تعالى :

٨ - * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون * (٢) .

٩ - أيها المسلمون أقيموا الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى : * اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون * (٣) .

قال أبو السعود : (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني ، وتذكيرا للناس وحملنا لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق .

(وأقم الصلاة) أى داوم على اقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤدات بالجماعة وكان أمره عليه السلام باقامتها متضمنا الأمر الأمة بها

=====

(١) تفسير ابن جرير الطبرى المجلد السابع ٣٢٤ / ٢٢٤ .

(٢) سورة النور : الآية ٥٦ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٤٥ .

ثم جاء بطست من ذهب ممثلةً بحكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا . . . حتى قال : ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ ، قلت : فرض خمسين صلاة ، قال : فأرجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعني فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت : وضع شطرها فقال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعته فقال : هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدى ، فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك فقلت استحييت من ربي ثم انطلق بي الحديث (١) .

وقال محمد بن سعد : ذكر المعراج وفرض الصلوات: أخبرنا محمد بن عمر عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وغيره من رجاله قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يريه الجنة والنار ، فلما كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بيثمانية عشر شهراً ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم في بيته ظهراً ، أتاه جبريل وميكائيل فقالا : انطلق إلى ما سألت الله فانطلقا بي إلى ما بين المقام وزمزم فأتى بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظرًا ، فخرجنا به إلى السماوات سماءً سماءً فلقي فيها الأنبياء وانتهى إلى سدرة المنتهى ، وأرى الجنة والنار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولما انتهيت إلى السماء السابعة لم أسمع إلا صريف الأقلام وفرضت عليه الصلوات الخمس ونزل جبريل عليه السلام ، فصلى برسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات في مواقيتها (٢) .

=====

- (١) صحيح البخارى : الصلاة ، رقم الحديث ٣٤٢ ، وصحيح مسلم : الايمان ، رقم الحديث ١٦٣ .
- (٢) طبقات ابن سعد : ٢١٣/١ .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الصلاة ، قال عروة : كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه (١) .

قال ابن حجر : قوله (ان جبريل نزل) بين ابن اسحاق في المغازي أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة وهي ليلة الاسراء .

قال ابن اسحاق : حدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير ، وقال عبد الرزاق عن ابن جريج قال : قال نافع بن جبير وغيره : لما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم من الليل التي أسرى به لم يرعه الا جبريل نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الأولى أى صلاة الظهر فأمر بأصحابه : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس فذكر الحديث .

وفيه رد على من زعم أن بيان الأوقات انما وقع بعد الهجرة ، والحق أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الحديث أول شيء في الموطأ ورجال الكلبهم مدنيون (٢) .

وبعد هذا الحديث روى الامام مالك عن عطاء بن يسار أنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن وقت صلاة الصبح ، قال : فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد صلى الصبح حين طلع الفجر ، ثم صلى الصبح من الغد بعد أن أسفر ثم قال : أين السائل عن وقت الصلاة ؟ قال : هاأنا ذا يا رسول الله : فقال : ما بين هذين وقت (٣) .

وروى الامام مالك عن نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنه : أن عمر ابن الخطاب كتب الى عماله : ان أهم أمركم عندى الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، ثم كتب : أن صلوا الظهر

=====

(١) صحيح البخارى : مواقيت الصلاة : رقم الحديث ٤٩٩ ، وفي صحيح مسلم

المساجد ومواضع الصلاة رقم الحديث ٥١٠ ٦١٠ .

(٢) الفتح : ٣ / ٢ - ٤ .

(٣) موطأ الامام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي ، رقم الحديث ٢٥١ و٢٥١ ص ٢٥١ =

إذا كان الفيء ذراعاً ، الى أن يكون ظل أحدكم مثله ، والعصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة قبل غروب الشمس ، والمغرب إذا غربت الشمس والعشاء إذا غاب الشفق الى ثلث الليل ، فمن نام فلا نامت عينه ، فمن نام فلا نامت عينه ، وقال الامام الشافعي في تفسير قوله تعالى ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ (١) ، دلوك الشمس زوالها (الى غسق الليل) العتمة أي العشاء .

(وقرآن الفجر) الصبح ، وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾ (٢) .

(فسبحان الله حين تمسون) المغرب والعشاء .

(وحين تصبحون) الصبح .

(وله الحمد في السموات والأرض وعشيا) العصر .

(وحين تظهرون) الظهر (٣) .

=====

وهو مالك بن أنس بن مالك أبو عبد الله امام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة (٩٣-١٧٩ هـ) كان صلوا في دينه بعيدا عن الأمراء والملوك وشى به الى جعفر عم المنصور العباسي فضربه سياطا انخلعت لها كتفه وجاء الرشيد منزله واستند الى الجدار فقال مالك : يا أمير المؤمنين : من إجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلال العلم ، فجلس بين يديه فحدثه وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به فنصف الموطأ .

(انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفي ٦٨١ هـ ، رقم الترجمة ٥٥٠ .

ج ١٣٥ / ٤ ، والانتقاء لابن عبد البر ص ٩ - ٤٧ ، واللباب لابن الأثير

١٥١ / ٣ . (١) سورة الاسراء : الآية ٧٨ .

(٢) سورة الروم : الآية ١٧ - ١٨ .

(٣) أحكام القرآن للامام الشافعي ١ / ٥٦ - ٥٧ .

(٧) من صفات المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويحافظون عليها :

- قال تعالى * ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون * (١)
قد ذكر علماء التفسير عدة معان في تفسير الحروف المقطعات ، فبعد أن بين الامام ابن كثير عدة معان قال :

وقال آخرون : بل انما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا ، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها .

وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد ، وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا ، وقرره الزمخشري في كشافه ، واليه ذهب الشيخ الامام العلامة أبو العباس ابن تيمية ، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو العجاج المزى (٢) .

وحكاه لي عن ابن تيمية رضي الله عنه (وهو المختار عندي) .

(ذلك الكتاب لاريب فيه) أي ان هذا الكتاب هو القرآن لاشك فيه انسه

نزل من عند الله كما قال تعالى * ألم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين * ، سورة البقرة /
وقال بعضهم : هذا خبر ومعناه النهي أي لا ترتابوا فيه .

(هدى للمتقين) يعني نورا للمتقين ، وقال أبو روق عن الضحاك عن ابن

عباس قال : هم المؤمنون الذين يتقون الشرك بي ويعملون بطاعتي .

=====

(١) سورة البقرة : الآية ١ - ٥ .

(٢) وهو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف الدمشقي المزى (جمال الدين أبو العجاج) (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ) محدث حافظ مشارك في الأصول والفقه والنحو واللغة ، من تصانيفه : تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، تهذيب الكمال في معرفة أسماء الرجال للحافظ عبد الغني المقدسي ، انظر ترجمة الحافظ =

(الذين يؤمنون بالغيب) قال ابن جرير : والأولى أن يكونوا موصوفين بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً ، وقد تدخل الخشية لله تعالى في معنى الايمان الذي هو تصديق القول بالعمل والايمان كلمة جامعة للايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وتصديق الاقرار بالفعل .

(ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون) قال ابن عباس : أى يقيمون الصلاة بفروضها واقامة الصلاة اتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع ، والاقبال عليها فيها .

وقال قتادة : اقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوءها وركوعها وسجودها وقال مقاتل بن حيان : اقامتها المحافظة على مواقيتها واسباغ الوضوء بها ، وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ، فهذا اقامتها . (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) ، قال ابن عباس : أى يصدقون بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاؤهم به من ربهم ، وبالآخرة هم يوقنون : أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان .

(أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ، (أولئك) أى : المتصفون بما تقدم من الايمان بالغيب واقام الصلاة والانفاق من الذى رزقهم ، والايمان بما أنزل الله الى الرسول ومن قبله من الرسل ، والايمان بالدار الآخرة وهو مستلزم الاستعداد لها من الأعمال الصالحة وترك المنكرات . (على هدى) أى على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى .

(وأولئك هم المفلحون) أى الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منته هربوا .

وقال ابن جرير : (أولئك على هدى من ربهم) أى على نور وبرهان ، واستقامة وسداد بتسديده اياهم وتوفيقه لهم .

=====

= المزي في تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٩٨/٤ رقم الترجمة ١١٧٦ ، والدرر الكامنه لابن حجر ٤٥٧/٤ .

(وأولئك هم المفلحون) أى المنجون المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم من الفوز بالثواب والخلود في الجنات والنجاة مما أعده الله لاعدائه من العقاب ، وان ذلك صفة للمؤمنين عامة والاشارة عائدة عليهم (١) .
- أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون :

قال تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (٢) .

اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة وقواعد عميقة وعقيدة مستقيمة ، فان الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه الى بيت المقدس ثم حولهم الى الكعبة شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين ، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وهو أن المراد انما هو طاعته عز وجل وامثال أوامره ، والتوجه حيثما وجهه واتباع ما شرع ، فهذا هو البر والتقوى والايمان الكامل ، وليس فسي التوجه الى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة ان لم يكن عن أمر الله وشرعه . وقال الثوري : (ولكن البر من آمن بالله) الآية ، قال : هذه أنواع البر كلها ، .

وصدق رحمه الله فان من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الاسلام كلها وأخذ بمجامع الخير كله ، وهو الايمان بالله وأنه لا اله الا هو وآمن باليوم الآخر وصدق بوجود الملائكة .

=====

- (١) تفسير ابن كثير ٣٨ / ١ - ٤٤ .
- (٢) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

(والكتاب) وهو اسم جنس يشتمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيم على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ، ونسخ الله به كل ما سواه من الكتب قبله وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم .

(وآتى) المال على حبه (أى أخرجه وهو محب له راغب فيه .

(ذوى القربى) وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت

في الحديث : الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم اثنتان ، صدقة وصلة (١) .

فهم أولى الناس ببرك وعطاءك .

(واليتامى) هم الذين لا كاسب لهم وقد مات آباؤهم وهم صغار .

(والمساكين) الذين لا يجدون ما يكفيهم في حاجاتهم .

(وابن السبيل) وهو المسافر الذى قد فرغت نفقته .

(وفي الرقاب) وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم .

(وأقام الصلاة) أى وأتم أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها وسجودها

وطمأنينتها وخشوعها على الوجه المشروع والمرضى .

(وآتى الزكاة والموفون بعدهم اذا عاهدوا) وعكس هذه الصفة النفاق ،

كما قال صلى الله عليه وسلم : آية المنافق ثلاث ، اذا حدث كذب ، واذا وعد

أخلف ، واذا أؤتمن خان . . . (٢) .

(والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) أى في حال الفقر وهو

البأساء وفي حال المرض وهو الضراء .

=====

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن : الزكاة رقم الحديث ٦٥٨ ، والنسائي أيضا

الزكاة : باب الصدقة على الأقارب ٩٢/٥ .

(٢) متفق عليه : صحيح البخارى ، الايمان ، رقم الحديث ٣٣ ، وصحيح مسلم :

الايمان : رقم الحديث ٥٩ .

(وحين البأس) أى في حال القتال .

(أولئك الذين صدقوا) أى هؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا

في ايمانهم لأنهم حققوا الايمان القلبي بالأقوال والأفعال .

(وأولئك هم المتقون) لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات (١) .

- المؤمنون بالله حقا الصالحون المقيمون الصلاة المحافظون عليها لهم أجر

عظيم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون *

قال تعالى * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة

لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * (٢) .

قال ابن جرير : هذا خبر من الله عز وجل بأن الذين آمنوا يعني الذين

صدقوا بالله وبرسوله وبما جاء به من عند ربهم من تحريم الربا وأكله وغير ذلك من

سائر شرائع دينه ، وعملوا الصالحات التي أمرهم الله عز وجل بها ، والتي ندبهم

اليها وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأدوها بسننها وآتوا الزكاة المفروضة عليهم

في أموالهم لهم أجرهم : يعني ثواب ذلك من أعمالهم وايمانهم وصدقتهم عند

ربهم يوم حاجتهم اليه في معادهم ، ولا خوف عليهم يومئذ من عقابه على ما كان

سلف منهم في جاهليتهم وكفرهم قبل مجيئهم الموعظة من ربهم وتصدقهم بوعده الله

ووعيده ولا هم يحزنون على تركهم ما تركوا في الدنيا ابتغاء رضوان الله تعالى فسي

الآخرة اذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى فوصلوا الى ما وعدوا على تركه (٣) .

- أولئك هم المؤمنون حقا : قال تعالى * انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله

وجلّت قلوبهم واذا تلّيت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين

=====

(١) تفسير ابن كثير ٢٠٧/١ - ٢٠٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٧ .

(٣) تفسير ابن جرير : ٣ ، ج ١٠٦/٣ .

يقيمون الصلاة . ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم * (١) .

قال ابن كثير : قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون اذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف الله المؤمنين فقال :

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فأدوا فرائضه .

(واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) يقول زادتهم تصديقا .

(على ربهم يتوكلون) يقول : لا يرجون غيره .

وقال مجاهد : (وجلت قلوبهم) فرقت أى فرغت وخافت ، وهذه صفة المؤمن حق المؤمن الذى اذا ذكر الله وجل قلبه أى خاف منه ، ففعل وأمره وترك زواجه كقوله تعالى * والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * (٢) .

(واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) وقد استدل البخارى وغيره من

الأئمة بمثل هذه الآية على زيادة الايمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة وهو الصواب .

(وعلى ربهم يتوكلون) : أى لا يرجون سواه ولا يقصدون الا اياه ، ولا

يلوذون الا بجنابه ولا يطلبون الحوائج الا منه ، ولا يرغبون الا اليه ويعلمون أنه

=====

(١) سورة الأنفال : الآية ٢ - ٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٣٥ .

(٣)

ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك لاشريك له ، ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل على الله جماع الايمان .

(الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) بينه تعالى على أعمالهم بعدما ذكر اعتقادهم وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها .

(أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) * (١) .

- أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم ۞ قال تعالى * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتُونَ الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم * (٢) .

قال ابن كثير : لما ذكر الله تعالى صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) أى يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح ، روى البخارى عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه (٣) . وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمنيين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (٤) .

(يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتُونَ الزكاة) ، أى يطيعون الله ويحسنون الى خلقه .

=====

(١) تفسير ابن كثير : ٢ / ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٧١ .

(٣) صحيح البخارى : المظالم ، رقم الحديث ٢٣١٤ ، وصحيح مسلم : البر والصلة رقم الحديث ٢٥٨٥ .

(٤) صحيح مسلم : البر والصلة ، رقم الحديث ٢٥٨٦ ، وصحيح البخارى ،

الأدب ، رقم الحديث ٥٦٦٥ .

(ويطيعون الله ورسوله) أى فيما أمر وترك ما زجر عنه .
 (أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز) أى يعز من أطاعه ، فان العزة لله
 ورسوله وللمؤمنين .
 (حكيم) فى قسمته هذه الصفات لهؤلاء ، فان له الحكمة فى جميع
 ما يفعله تبارك وتعالى (١) .

- * فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ، الذين اذا ذكر الله وجلت
 قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة وما رزقناهم ينفقون * (٢) .
 قال ابن كثير : أى معبودكم واحد وان تنوعت شرائع الأنبياء ، فالجميع
 يدعون الى عبادة الله وحده ولهذا قال :

(فله أسلموا) أى أخلصوا واستسلموا لحكمته وطاعته .

(وبشر المخبتين) قال مجاهد : المطمئنين ، وقال الضحاك وقتادة :

المتواضعين ، وقال السدى : الوجلين .

(الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي
 الصلاة) أى المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه .
 (وما رزقناهم ينفقون) (٣) .

- أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون :

قال تعالى * قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين
 هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون
 الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك
 هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم
 يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون * (٤) .

=====

(٢) سورة الحج : الآية ٣٤ و ٣٥

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٦٩ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية ١ - ١١

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٢١ .

قال ابن كثير :

(قد أفلح المؤمنون) أى قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الصفات .

(الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس :

(خاشعون) خائفون ساكنون ، وقال محمد بن سيرين : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزلت هذه الآية خفضوا أبصارهم الى موضع سجودهم .

قال محمد بن سيرين : وكانوا يقولون : لا يجاوز بصره مصلاه ، فان كان قد اعتاد النظر فليغمض . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

والخشوع في الصلاة انما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها وحينئذ تكون له راحة وقرّة عين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : حُبَّ النَّسَاءِ وَالطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ ، وَجَعَلَ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ (١) .

(والذين هم عن اللغو معرضون) أى عن الباطل وهو يشتمل الشرك

والمعاصي وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال .

(والذين هم للزكاة فاعلون) والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم

أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك (أى غير الأزواج ، والاماء) .

(فأولئك هم العادون) أى المعتدون .

=====

(١) مسند الإمام أحمد ٣ / ١٢٨ ، وسنن النسائي : عشرة النساء ، رقم الباب ١

٢ / ٧ / ٦١

(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أى اذا أوتمنوا لم يخونوا بل يؤدوا
منها الى أهلها واذا عاهدوا أو عقدا أو أقروا بذلك لا كصفات المنافقين (من
الكذب واخلاف الوعد والخيانة والغدر .

(والذين هم على صلواتهم يحافظون) أى يواظبون عليها في مواقيتها ،
وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة ، فدل على
أفضليتها وأهميتها .

ولما وصفهم الله تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة
قال :

(أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) ، وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا سألت الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فانه
أعلى الجنة . وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن (١) (٢)
- المؤمنين بالله حقا يعبدون الله وحده مخلصين له الدين ، لاتلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة :

قال تعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها
بالغدو والآصال ، رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا
ويزيدهم من فضله والله يوزق من يشاء بغير حساب ﴾ (٣) .

القراءات :

(يسبح له) قرأه أبو بكر " وهو شعبة بن عياش " وابن عامر بفتح الباء على
مالم يسم فاعله ، ، (له) يقوم مقام الفاعل ثم فسر من هو الذى يسبح له بقوله :

=====

(١) صحيح البخارى : الجهاد ، رقم الحديث ٢٦٣٧ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٢٣٨ / ٣ - ٢٣٩ .

(٣) سورة النور : الآية ٣٦ - ٣٨ .

(رجال لا تلهيهم) كأنه لما قيل (يسبح له فيها) فقيل : من هو الذى يسبح ؟ فقيل رجال صفتهم كذا وكذا ، وقرأ الباقون بكسر الباء بنو الفعل للفاعل وهو الرجال (١) .

وقال ابن كثير : (في بيوت أذن الله أن ترفع) وهي المساجد التي هي أحب البقاع الى الله تعالى من الأرض ، وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد ، أمر الله تعالى بتعاهدتها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها .

=====

(١) السكشاف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكي بن أبي طالب .

١٣٩/٢ ، .

أبو بكر شعبة بن عياش أحد راويين عن عاصم أحد القراء السبعة ، وتوفى أبو بكر شعبة سنة ١٩٣ هـ ، (انظر النشر في القراءات العشر ١/١٥٦) . والقراء السبعة هم عبد الله بن عامر بن يزيد امام أهل الشام (٨ - أو - ٢١ - ١١٨ هـ ، (انظر ترجمته في) معرفة القراء الكبار للذهبي ج ١ رقم ٣٣ ، وطبقات خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠) .

وعبد الله بن كثير بن المطلب القرشي امام أهل مكة (٤٥ - ١٢٠ هـ) . وعاصم بن أبي النجود من أئمة أهل الكوفة وهو من التابعين أيضاً المتوفى سنة ١٢٧ .

وأبو عمر رزيان بن العلاء البصرى (٦٨ - ١٥٤ هـ) .

ونافع ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (٧٠ - ١٦٩ هـ) .

وحمزة بن حبيب الزيات (٨٠ - ١٥٦ هـ) .

وعلي بن حمزة بن عبد الله الكوفي (في حدود ١٢٠ - ١٨٩ هـ) .

(انظر تراجم هؤلاء بالتفصيل في : معرفة القراء الكبار للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، الجزء الأول ، رقم ترجمة ابن كثير ٣٤ ، وعاصم ٣٥ ، وأبي عمرو ٣٩ ، ونافع ٤١ ، وحمزة ٤٣ ، والكسائي ٤٥) .

وفي (النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي

الشهير بابن الجزرى المتوفى ٨٣٣ هـ ، ج ١/٩٩ - ١٧٣ ، وفي =

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجداً بيتني به وجه الله بنى الله له مثله فسي الجنة (١) .

وقوله تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة) ، كقوله * يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * (٢) .

يقول تعالى : لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم ، يقدمون طاعة ربهم ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم .

(يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) أي يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار من شدة الفزع وعظمة الأهوال .

(ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) أي هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم .

(ويزيدهم من فضله والله يفرق من يشاء بغير حساب) (٣) .

ومن الآيات التي تبين صفات المؤمنين المقيمين الصلاة وسعادتهم وفلاحهم وإكرامهم عند الله عز وجل قوله تعالى :

* * ألم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم

=====

(الوافي في شرح الشاطبية للإمام أبي القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي

(٥٣٨ - ٥٩٠) ، (الوافي) لأستاذي الإمام الشيخ عبد الفتاح عبد

الغني القاضي المتوفي ١٤٠٣ هـ صفحة ١٦ - ٢١ .

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري : الصلاة رقم الحديث ٤٥٠ ، وصحيح مسلم

المساجد ومواضع الصلاة ، رقم الحديث ٥٣٣ .

(٢) سورة المنافقون : الآية ٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٩٢ - ٢٩٦ .

المفلحون ﴿ (١) .

* وقوله تعالى ﴿ ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، انه غفور شكور ﴾ (٢) .

قوله سبحانه (يرجون تجارة لن تبور) أى يرجون بعملهم هذا تجارة رابحة لن تكسد ولن تهلك بالخسران أبدا .
(ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) أى ليوفيهم الله جزاء أعمالهم وثواب ما عملوا من صالح الأعمال ويزيدهم فوق أجورهم من فضله وانعامه واحسانه .
(انه غفور شكور) .

* وقوله تعالى ﴿ وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وإذا ما غضبو هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (٣) .
* وقوله تعالى ﴿ ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ (٤) .

أى : أن الانسان جبل على قلة الصبر وشدة الحرص لا يصبر على بلاء ولا يشكر على نعماء ، والمراد بالانسان العموم .

(واذا مسه الشر جزوعا) أى اذا نزل به مكروه من فقر أو مرض أو خوف كان مبالغا في الجزع ويغلب عليه اليأس والقنوط .

(واذا مسه الخير منوعا) أى واذا أصابه خير من غنى وصحة وسعة كان مبالغا في المنع والامساك فهو اذا أصابه الفقر لم يصبر واذا أغناه الله لم ينفق .

=====

(١) سورة لقمان : الآية ١ - ٥ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٢٩ و ٣٠ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٣٧ .

(٤) سورة المعارج : الآية ١٩ - ٢٣ .

لزواجه ذكر أنه (خلف من بعدهم خلف) أى قرون أخر .

(أضعوا الصلاة) وإذا أضعوها فهم لما سواها أضيع ، لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد .

(واتبعوا الشهوات) أى أقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أى خسارا يوم القيامة (١) .

- وقال تعالى ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ﴾ (٢) وقوله (كل نفس بما كسبت رهينة) أى كل نفس محبوسة بعملها لا تترك حتى تسأل عنه وتحاسب وتؤدى ما عليها من الحقوق والعقوبات .

(إلا أصحاب اليمين) أى الأ فريق السعداء المؤمنين ، فانهم فكروا رقابهم وخلصوها من السجن والعذاب بالإيمان بالله تعالى وطاعته ، واقامة فرائضه .

(في جنات يتساءلون عن المجرمين) أى هم في جنات ويساتين لا يدرك وصفها يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين في النار ، والسؤال لزيادة تبيكت أولئك المجرمين وتوبيخهم وادخال الألم والحسرة على نفوسهم يقولون لهم : (ماسلككم في سقر) ؟ ما الذى أد خلکم جهنم وجعلکم تذوقون عذابها ؟ (قالوا لم نك من المصلين) أى لم نكن من المصلين في الدنيا لرب العالمين . (ولم نك نطعم المسكين) أى ولم نكن نحسن الى الفقراء ، فما عبدنا ربنا ولا أحسنا الى خلقه .

=====

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ١٢٧ .

(٢) سورة المدثر : الآيه ٣٨ - ٤٤ .

- وقال تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون ﴾ (١) .

وقوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى هلاك وعذاب الذين المصلين هم عن صلاتهم غافلون .

(الذين هم يراؤون) أى يعملون الأعمال من الصلاة وغيرها لأجل رضاء الناس لا لوجه الله عز وجل .

(ويمنعون الماعون) أى ويمنعون الناس الأشياء البسيطة ويخلون بها مثل الابرة والفأس والدلو والآنية على وجه العارية أو الهبة .

وقال ابن كثير : قوله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ قال ابن عباس وغيره : يعني المنافقين الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، اما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس ، أو عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا ، فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قاله مسروق وأبو الضحى .

وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذى قال (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل : في صلاتهم ساهون .

واما عن وقتها الأول فيؤخرونها الى آخره دائما أو غالبا ، واما عن أداءها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، واما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية .

ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني الشيطان قام ، فنقر أربعاً

=====

فقال جمهورهم : يقتل بالسيف ضربا في عنقه ، وقال ابن شهاب الزهري
وسعيد بن المسيب وأبو حنيفة والمزني : يحبس حتى يموت أو يتوب ، ولا يقتل ،
لأنها من الشرائع العملية .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله
الا الله ، وأني رسول الله الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والشيب الزاني
والمفارق للجماعة (١) .

وقال الموجبون لقتله : قال الله تعالى ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة
فخلوا سبيلهم ﴾ (٢) .

فأمر الله بقتلهم حتى يتوبوا من شركهم ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وقال
النبي صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله
وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا عصموا مني دماءهم
وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله (٣) .

فوجه الاستدلال من وجهين ، أحدهما : أنه أمرهم بقتالهم حتى يقيموا
الصلاة ، والثاني : قوله الا بحق الاسلام ، والصلاة من أعظم حق الاسلام .
ثم فصل الامام ابن القيم وجوب قتل تارك الصلاة عمدا ورجحه وهو المختار
عندي ، فمن يريد التفصيل فليرجع اليه (٤) .

=====

(١) متفق عليه : صحيح البخارى ، الديات ، رقم الحديث ٦٤٨٤ ، وصحيح

مسلم : القسامة ، باب ما يباح به دم المسلم ، رقم الحديث ١٦٧٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٥ .

(٣) متفق عليه : صحيح البخارى ، الايمان ، رقم الحديث ٢٥ ، وصحيح مسلم

الايمان ، رقم الحديث ٢٢ .

(٤) كتاب الصلاة وحكم تاركها : رسالة قيمة للامام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١ هـ) صفحة ٤ - ٦ .

الفصل الثالث
مسئولية الزكاة

١. / مدخل :

::::::::::::::::::

ان الاسلام دين الفطرة والعدل ، والرحمة وانه دين كامل شامل يراعي حقوق جميع الناس ومصالحهم وحاجاتهم ، لأنه دين رباني جاء من عند الله رب العالمين ، ففيه وحده سعادة جميع العباد وفلاحهم في الدنيا والآخرة .
ومن أهم المسؤوليات في الاسلام للمسلم بعد الايمان والتوحيد والصلاة مسؤولية الزكاة ، التي هي ثالث أركان الاسلام الخمسة ، فبعد الايمان والصلاة بالزكاة يدخل الانسان في دين الاسلام ، وجماعة المسلمين ، ويستحق أخوتهم ومودتهم كما قال تعالى ﴿ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ (١) .

وقد وجبت الزكاة بالعقل والكتاب والسنة والاجماع ، كما يدل على أهميتها قرانها بالصلاة مرارا في القرآن الكريم ، وقتال أبو بكر والصحابة بالاجماع مانعي الزكاة ، فانها قنطرة الاسلام ، فمن قطعها نجا ، ومن تخلف عنها هلك .
هذا وان وضع الفقراء قبل الاسلام عمليا كان سيئا للغاية ، ولكن الاسلام منذ عهد الأول قد اهتم برعاية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين ، وعالج مشكلاتهم ، ودم الذين كانوا يهملون أمرهم ويسبون اليهم ، وأنذرهم بالعذاب الأليم ، كما أمر المسلمين بمساعدة الفقراء والمحرومين وحشهم على البر والاحسان ويشرهم على ذلك بالأجر والثواب والفلاح .

فكثير من آيات القرآن الكريم المكية شاهدة على ذلك ، منها قوله تعالى :

﴿ كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾ (٢) .

=====

(١) سورة التوبة : الآية ١١ .

(٢) سورة الفجر : الآية ١٧ و ١٨ .

* أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين * (١) .

* فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث * (٢)

* والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم * (٣) .

* كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده * (٤) .

* قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو

معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون * (٥) .

وليست الزكاة في الاسلام مجرد عمل بر واحسان على سبيل التطوع والاختيار

وانما هي فريضة من فرائضه وركن من أركانه الأساسية ، وحق من حقوق الله تعالى

وعبادته واجب على الأغنياء في أموالهم للفقراء والمحرومين .

وان الحكومة الاسلامية مسؤولة عن جبايتها وصرفها ، ولكنها ان فرطت أو

لا توجد وتقايس المجتمع عن رعايتها ولم يطالب بها السلطان فانه يطالبها الضمير

المؤمن والايمان والقرآن ، والرسول صلى الله عليه وسلم ، ونداءات الفقراء والمساكين

في المجتمع ، فليس للأغنياء أن يستأثروا بكل أموالهم ، بل عليهم فيها زكاتها

فانها حق معلوم للسائل والمحروم ، قرره المالك الحقيقي ورازق العباد ، فليس

للغني أن يمن على فقير بأداء الزكاة اليه ، لأنه قام بواجبه نحو ربه عز وجل ، ونحو

اخوانه وأُمَّته ، وبهذا قد عبد ربه تعالى وتقرب اليه . وطهر ماله ، وزكى نفسه

من البخل وعودها على الخير ، وبأداء الزكاة يحفظ الله تعالى ماله ويبارك فيه

ويدفع عنه الآفات .

=====

(١) سورة الماعون : الآية ١ - ٣ . (٢) سورة الضحى : الآية ٩ - ١١

(٣) سورة المعارج : الآية ٢٤ و ٢٥ . (٤) سورة الأنعام : الآية ١٤١ .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ١ - ٤ .

فان نظام الزكاة في الاسلام ضمان العدالة الاجتماعية المالية ، وتطبيقه يحصل الفقراء على نصيبهم من الأموال ، ولا تكون الأموال دولة بين الأغنياء .
 فعلينا - نحن المسلمين - أن نقوم بهذه المسؤولية خير قيام لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وليعيش جميع المسلمين آمنين مطمئنين وتقوم مصالحهم العامة من الدعوة والجهاد والتعليم ، وتكون كلمة الله هي العليا ، ويرجع مجد الاسلام ، وشوكة المسلمين .

/٢ من معاني الزكاة اللغوية والشرعية :
 ::::::::::::::::::::::::::::::

قال ابن المنطور : زكا : الزكاء ممدودا ، النماء والربح ، زكا يزكو زكاء^{مذ} وركوا ، والزكاة الصلاح .

والزكاة : زكاة المال معروفة وهو تطهيره ، والفعل منه زكى يزكي تزكية اذا أدى عن ماله زكاته غيره .

وقوله تعالى * وتزكّيهنّ بها * (١) قالوا : تطهرهم بها ، وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح ، ووزنها فعلة كالصدقة ، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا ، وهي من الأسماء المشتركة بين المخرج والفعل فيطلق على العين وهي الطائفة من المال المزكى بها ، وعلى المعنى وهي تزكية (٢) .

وقال الامام النووي : الزكاة في اللغة النماء والتطهير ، فالمال ينمي بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب ، وقيل ينمي أجرها عند الله وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها .

=====

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

(٢) لسان العرب ٣٥٨/١٤ .

في تفسير آيات فيها ذكر الزكاة ، وهي مكية .

فقال في تفسير قوله تعالى ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ (١) : الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال مع أن هذه الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة ، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة ، والا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة ، قال تعالى ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ (٢) وسورة الأنعام مكية (٣) .

فإن أصل الزكاة قد فرض بمكة ولكن كانت مطلقة من القيود ومجملة من التفاصيل وموكولة إلى إيمان الأفراد ومدى شعورهم بحاجة أخوانهم .

ثم في السنة الثانية من الهجرة على القول المشهور الراجح حددت نصيبها ومقاديرها ومصارفها وأرسل العاملون لجمعها .

٤ / تفسير آيات أوجب الله تعالى فيها آيتاء الزكاة وأمر بالأنفاق لوجهه الكريم :
 ::

أ - قال تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ (٤) .

قال أبو جعفر : ذكر أن أخبار اليهود والمنافقين كانوا يأمرون الناس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولا يفعلونه ، فأمرهم الله بإقام الصلاة مع المسلمين ، وإيتاء زكاة أموالهم معهم وأن يخضعوا لله ولرسوله كما خضع المسلمون ، ومعنى إيتاء الزكاة أداء الصدقة المفروضة ، وأصل الزكاة نماء المال وتثميته وزيادته (٥) .

وقال الإمام البخاري : باب : وجوب الزكاة وقول الله تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ (٦) .

=====

(١) سورة المؤمنون : الآية ٤ . (٢) سورة الأنعام : الآية

(٣) تفسير ابن كثير ٢٣٨ / ٣ ، ٥٢٥ / ١ ، ١٨١ / ٢ ، ٩٢ / ٤ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٤٣ . (٥) تفسير ابن جرير ٢٥٦ / ١ .

(٦) سورة البقرة : الآية ٤٣ .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : حدثني أبو سفيان فذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف (١) .
ثم روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذ رضي الله عنه الى اليمن فقال : ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنبي رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنياءهم وترد على فقراءهم (٢) .

وقال البخارى : باب البيعة على ايتاء الزكاة ، قال تعالى * فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين * (٣) .

ثم روى البخارى عن جرير بن عبد الله : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم (٤) .

ب - وقال تعالى * خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ، وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم * (٥) .

قال ابن كثير : أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكهم بها ، وهذا عام وان أعاد بعضهم الضمير في أموالهم الى الذين اعترفوا بذنوبهم ، وخلصوا عملا صالحا وآخر سيئا ، ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة الى الامام لا يكون ، وانما كان هذا خاصا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ولهذا احتجوا بقوله تعالى : * خذ من أموالهم صدقة * وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبو بكر

=====

(١) هذا جزء من حديث طويل عظيم لأبي سفيان أمام هرقل عظيم الروم عن النبي صلى الله عليه وسلم وأوصافه ودعوته ، ذكره البخارى في الوحي ، رقم الحديث ٧ .

(٢) صحيح البخارى : الزكاة ، رقم الحديث ٤١ ١٣٣١ .

(٣) سورة التوبة : الآية ١١ . (٥) سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

(٤) صحيح البخارى : الزكاة ، رقم الحديث ١٣٣٦ .

الصديق وسائر الصحابة وقتلوهم حتى أدوا الزكاة الى الخليفة . كما كانوا يُودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قال الصديق : والله لو منعوني عقالا كانوا يُودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعه .

روى البخارى ومسلم واللفظ للبخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر رضي الله عنه : كيف تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله ، فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عنها كانوا يُودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر رضي الله عنه : فوالله ما هو الا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق (١) .

وأضاف ابن كثير قائلا : وقوله تعالى * ان صلاتك سكن لهم * قرأ بعضهم صلواتك على الجمع ، وآخرون قرؤا على الافراد (٢) .

وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى (ان صلاتك سكن لهم) رحمة لهم (٣) .

وروى البخارى في شرح هذه الآية عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقة قال : اللهم صل على آل فلان فأتاه أبي بصدقته فقال : اللهم صل على آل أبي أوفى (٤) .

=====

(١) صحيح البخارى : الزكاة رقم الحديث ١٣٣٥ ، ومسلم : الايمان ، رقم الحديث ٢٠ .

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والباقون بالجمع وكسر التاء ، انظر : (الكشف عن القراءات السبع) لمكي بن أبي طالب ١ / ٥٠٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٤) متفق عليه : صحيح البخارى ، الزكاة رقم الحديث ١٤٢٦ ، وصحيح مسلم

الزكاة : رقم الحديث ١٠٧٨ .

ج - وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون ﴾ (١) .
القراءات :

قال مكي بن أبي طالب : قرأ ذلك ابن كثير وأبو عمرو بالفتح من غير تنوين والباقيون بالرفع والتنوين (٢) .

قال ابن جرير : يعني تعالى بذلك (مما رزقناكم) أى من أموالكم ،
وتصدقوا منها وآتوا منها الحقوق التي فرضناها عليكم .
وعن ابن جريج قال : من الزكاة والتطوع (٣) .

وقال ابن كثير : يأمر تعالى بالانفاق مما رزقهم في سبيله وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا .

(من قبل أن يأتي يوم) يعني يوم القيامة .

(لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) أى لا يباع أحد من نفسه ولا يفادى بماله لو بذله ولو جاء بملء الأرض ذهباً ، ولا تنفعه خلة أحد يعني صداقته ، بل ولا نسابته كما قال تعالى ﴿ فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ، ولا يتساءلون ﴾ (٤) .

(ولا شفاعة) أى ولا تنفعهم شفاعة الشافعين .

وقوله (والكافرون هم الظالمون) مبتدأ محصور في خبره ، أى ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافراً .

وقد روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال : الحمد لله الذى قال ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ ولم يقل والظالمون هم الكافرون (٥) .

=====

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٤ .

(٢) (الكشف عن القراءات السبع) ٣٠٥ / ١ .

(٣) تفسير ابن جرير ٣ / ٣ . (٤) سورة المؤمنون : الآية ١٠١ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣٠٤ / ١ .

د - وقال تعالى ﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ (١) .

قال ابن كثير : يقول تعالى مينا أنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها هؤلاء المشركون بآراءهم الفاسدة وقسموها وجزؤوها ، فجعلوا منها حراما وحلالا ، فقال ﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : معروشات مسموكات ، وفي رواية فالمعروشات ماعرش الناس ، وغير معروشات ماخرج في البر والجبال من الثمرات .
وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس : معروشات ماعرش الناس من الكرم ، وغير معروشات ما لم يعرشن الكرم .

وقال ابن جريج : (متشابها) أي في المنظر ، (وغير متشابه) أي في المطعم .

(كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) قال ابن جرير : قال بعضهم هي الزكاة المفروضة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله ، وكذا قال سعيد بن المسيب .

(ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) قيل معناه : لا تسرفوا في الاعطاء ، فتعطوا فوق المعروف ، وقال أبو العالية : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا ، ثم تبادلوا فيه وأسرفوا فأنزل الله هذه الآية ، .

وقال ابن جريج : عن عطاء : نهوا عن السرف في كل شيء .

وقال اياس بن معاوية : ماجاوزت به أمر الله فهو سرف ، واختار ابن جرير

أنه نهى عن الاسراف في كل شيء (٢) .

=====

(١) سورة الأنعام : الآية ١٤١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ١٨١ - ١٨٢ .

هـ - * فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله ، هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير * (١) .

قال ابن جرير : فأدوا الصلاة المفروضة عليكم بحدودها وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم وثقوا بالله وتوكلوا عليه في أموركم .

(فنعم المولى) أى فنعم الولي الله لمن فعل ذلك منكم ، فأقام الصلاة وآتى الزكاة وجاهد في سبيل الله حق جهاده ، واعتصم به عز وجل .
(ونعم النصير) أى ونعم الناصر هو له على من بغاه (٢) .

و- وقال تعالى * آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير * (٣) .

قال ابن كثير : أمر تبارك وتعالى بالايان به ورسوله على الوجه الأكمل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار ، وحث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أى مما هو معكم على سبيل العارية فانه قد كان في أيدي من كان قبلكم ، ثم صار اليكم فأرشد تعالى الى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته ، فان يفعلوا والا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه .

وقوله تعالى (مما جعلكم مستخلفين فيه) فيه اشارة الى أنه سيكون خلفا عنك فلعل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك ، أو يعصي الله فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان .

وروى الامام مسلم عن مطرف عن أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ * ألهاكم التكاثر * قال : يقول ابن آدم : مالي مالي ، قال : وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت (٤) .

=====

(١) سورة الحج : الآية ٧٨ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : المجلد الثامن ج ١٧ / ٢٠٩ .

(٣) سورة الحديد : الآية ٧ .

(٤) صحيح مسلم : الزهد والرقائق ، رقم الحديث ٢٩٥٨ .

ثم ذكر الطبري ذلك السبوتك القصة (١) .

وروى أبو داود بسنده عن عوف بن مالك قال : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ويده عصا وقد علق رجل منا حشفاً ، فطعن بالعصا في ذلك القنو وقال : لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب منها وقال : ان رب هذه الصدقة يأكل الحشف يوم القيامة (٢) .

وروى الترمذي بسنده عن أبي مالك عن البراء بن عازب قال : نزلت فينا معشر الأنصار ، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته ، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد ، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم اذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط من البسر والتمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيف والحشف والقنو قد انكسر فيعلقه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قالوا : لو أن أحدكم أهدى إليه مثل ما أعطاه لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال : فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده (٣) .

وقال القرطبي * يا أيها الذين آمنوا أنفقوا * ، هذا خطاب لجميع أممة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال علي بن أبي طالب وعبيدة السلماني وابن سيرين : هي الزكاة المفروضة نهى الناس عن انفاق الرديء فيها بدل الجيد (٤) .

وقال الامام البخاري : باب لا يقبل الله صدقة من غلول ، ولا يقبل الا من كسب طيب ، ثم روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب ، وان الله

=====

- (١) تفسير ابن جرير ج ٣ / ٨٠ - ٨١ - ١٢ .
- (٢) سنن أبي داود ، الزكاة ، رقم الحديث ١٦٠٨ .
- (٣) سنن الترمذي : التفسير ، رقم الحديث ٢٩٨٧ .
- (٤) تفسير القرطبي : أحكام القرآن ، ٣ / ٣٢٠ .

تعالى يتقبلها بيمينه ثم يرببها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل
الجيل (*) .

وقال البخارى : باب زكاة الورق ، ثم روى عن أبي سعيد الخدرى قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس فيما دون خمس ذود صدقة من الابل ،
وليس فيما دون خمس أواق صدقة ، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة (١) .

وقال تعالى * لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شيء فان
الله به عليم * (٢) .

وقال البخارى : باب الزكاة على الأقارب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :
له أجران ، أجر القرابة ، والصدقة (٣) .

ثم روى البخارى عن أنس بن مالك رضي الله عنه : كان أبو طلحة أكثر
الأنصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بئرحاء ، وكان مستقبلة
المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ،
قال أنس رضي الله عنه : فلما أنزلت هذه الآية * لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون * قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ،
ان الله تبارك وتعالى يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ، وان
أحب أموالى التي بئرحاء ، وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها
يا رسول الله حيث أراك^{الله} قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ ذلك مال
رابح ، وقد سمعت ما قلت وانى أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة :
أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه (٤) .

=====

(١) متفق عليه : صحيح البخارى ، الزكاة ، رقم الحديث ١٣٧٨ ، وصحيح
مسلم : الزكاة ، رقم الحديث ٩٧٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٩٢ .

(٣) صحيح البخارى : الزكاة ، رقم الحديث ١٣٩٧ ، وصحيح مسلم ، رقم
الحديث ١٠٠٠ .

(٤) صحيح البخارى : الزكاة ، رقم ١٣٩٢ ، وصحيح مسلم : الزكاة رقم ٩٩٨ .

(*) صحيح البخارى : الزكاة ، رقم الحديث ١٣٤٤ ، ج ٥١١ / ٢ .

٩ / مصارف الزكاة :

.....

ان الاسلام لم يترك صرف محصولات الزكاة لرأى الحكام ، ولا لمطامع الطامعين من غير المستحقين بل حدد مصارفها ومستحقيها .

فقال تعالى ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم ﴾ (١) .

قال ابن كثير : لما ذكر الله تعالى اعتراض المنافقين الجهلة بقوله عزوجل ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ﴾ (٢) على النبي ولمزهم اياه في قسم الصدقات بين تعالى أنه هو الذى قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه ، ولم يكل قسمها الى أحد غيره ، فجزأها لهؤلاء المذكورين .

وذكرت الأصناف الثمانية هاهنا لبيان المصروف لا لوجوب استعاب الاعطاء وانما قدم الفقراء على البقية لأنهم أحوج من غيرهم ولشدة فاقتهم وحاجتهم .
(والمساكين) ، قال تعالى ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا ، وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ﴾ (٣) .

وقال الامام البخارى : باب قول الله تعالى (لا يسألون الناس الحافا) ثم روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس للمسكين الذى ترده الأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذى ليس له غنى ويستحيى

=====

- (١) سورة التوبة : الآية ٦٠ .
- (٢) سورة التوبة : الآية ٥٨ .
- (٣) سورة البقرة : الآية ٢٧٣ .

أولاً يسأل الناس الحافا (١) .

وأما العاملون عليها فهم الجبابة والسعاة يستحقون منها قسطا على ذلك ، ولا يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تحرم عليهم الصدقة لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملهما على الصدقة فقال : ان الصدقة لاتحل للمحمد ولا لآل محمد ، انما هي أوساخ الناس (٢) .

وأما المؤلفات قلوبهم فأقسام منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد شهدها مشركا .

ومنهم من يعطى ليحسن اسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم .

ومنهم من يعطى لما يرجى من اسلام نظراءه ، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد . ،

وقال الامام البخارى في تفسير هذه الآية : باب المؤلفات قلوبهم ، قال

مجاهد : يتألفهم بالعطية ، ثم روى البخارى عن أبي سعيد الخدرى قال : بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء فقسمه بين أربعة وقال : أتألفهم فقال رجل : ما عدلت فقال صلى الله عليه وسلم : يخرج ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين (٣) .

=====

(١) صحيح البخارى : الزكاة ، رقم الحديث ١٤٠٦ ، ٥٣٧/٢ ، وأخرجه مسلم في الزكاة : باب المسكين الذى لا يجد غنى ولا يفتن له فيتصدق عليه رقم الحديث ١٠٣٩ .

(٢) صحيح مسلم : الزكاة : رقم الحديث ١٠٧٢ .

(٣) متفق عليه وقد ذكر البخارى هذا الحديث هنا في كتاب التفسير مختصرا ، وذكره مفصلا في المغازى ، رقم الحديث في كتاب التفسير ٤٣٩٠ ، وفي المغازى ٩٠٩٤ ، وأخرجه مسلم في الزكاة ، رقم الحديث ١٠٦٤ .

وأضاف ابن كثير قائلا : وهل تعطى المؤلفه على الاسلام بعد النبي ؟ ،
فيه خلاف فروى عن عمر وعامر والشعبي وجماعة أنهم لا يعطون بعده ، لأن الله
قد أعز الاسلام وأهله ومكن لهم في البلاد وأذل لهم رقاب العباد .
وقال آخرون : بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة
وكسر هوازن ، وهذا أمر قد يحتاج اليه فيصرف اليهم .

وهذا الذي رجحه ابن جرير الطبري وأكدته بالأدلة (١) ، واليه ذهب
جمهور العلماء منهم أبو عبيد القاسم بن سلام فقال : ان الأمر أى تأليف المؤلفه
قلوبهم ماض أبدا (٢) .

وهذا هو القول عندى لأن الآيه محكمة لانعلم لها ناسخا من كتاب ولا سنة .
وأضاف ابن كثير قائلا : وأما الرقاب فروى عن الحسن البصرى ومقاتل بن حيان
وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير والنخعي والزهرى وابن زيد أنهم المكاتبين ،
وقال ابن عباس والحسن لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة .
وأما الغارمون فهم أقسام ، فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن ديننا فلزمه
فأجحف بماله أو غرم في أداء دينه ، أو في معصية ثم تاب ، فهؤلاء يدفع اليهم ،
وأما في سبيل الله فمنهم الغزاة الذين لاحق لهم في الديوان ، وعند الامام
أحمد والحسن واسحاق : الحج من سبيل الله .

وكذلك ابن السبيل وهو المسافر المجتاز في بلد ليس معه شيء فيعطى من
مال الزكاة كفايته في ذهابه وايابه (٣) .

وقال ابن العربي : قوله (وفي سبيل الله) قال مالك : سبيل الله كثيرة
ولكني لأعلم خلافا في أن المراد بسبيل الله هاهنا الغزو من جملة سبيل الله ،
ويعطى الغازى بوصف سبيل الله ولو كان غنيا (٤) .

=====

(١) تفسير ابن جرير الطبري ، المجلد السادس ج ١٠ / ١٦٣ .

(٢) كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٤ ، ص ٧٢٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي المتوفي سنة ٥٤٣ ، ٢ / ٩٦٩ .

وقال الامام البخارى : باب قول الله تعالى (وفي الرقاب . . . وفي سبيل الله) ، ويذكر عن ابن عباس رضي الله عنه : يعتق من زكاة ماله ويعطى في الحج . وقال الحسن : ان اشتراه أباه من الزكاة جاز ويعطى في المجاهد يسر والذي لم يحج ، ثم تلا (انما الصدقات للفقراء . . .) الآية ، في أيها أعطيت أجزاء (١) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : فأما قضاء الدين عن الميت والعطية في كفته وبنيان المساجد واحتفار الأنهار وما أشبه ذلك من أنواع البر ، فان سفيان وأهل العراق وغيرهم من العلماء مجمعون على أن ذلك لا يجزىء من الزكاة لأنه ليس من الأصناف الثمانية (٢) .

وقد وسع بعض المتأخرين من المفسرين والفقهاء مفهوم (سبيل الله) ، وأدخلوا في مفهومه اقامة بعض المصالح العامة للمسلمين ، وخاصة مصلحة التعليم .

وقد فصل مذهب الجمهور والمتأخرين المعاصرين الدكتور القرضاوى ، وتوسط بين الرأيين وأجاد ، فمن يريد التفصيل فليرجع اليه (٣) .

هذا ، وقد نهى الله تعالى عن المن والأذى لأن هذا يبطل ثواب الصدقة قال تعالى * يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى * (٤) ، * قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حلیم * (٥) ، * والذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * (٦) .

=====

- (١) صحيح البخارى : الزكاة ٥٣٤ / ٢ (٢) كتاب الأموال ص ٧٢٥ .
 (٣) فقه الزكاة ٣٥ / ٢ - ٦٩ .
 (٤) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .
 (٥) سورة البقرة : الآية ٢٦٣ .
 (٦) سورة البقرة : الآية ٢٦٢ .

٧ / ترهيب القرآن الكريم ووعيده للذين يكتزون الأموال ولا يؤتون زكاتها . . .
 ::

. . . ويبخلون بما آتاهم الله من فضله ، ويأمرون بالبخل وينفقون مال الله

في معصيته وللصد عن سبيله ورتاء الناس :

قال تعالى ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
 فبشرهم بعباب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
 وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فسنذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ (١) .

روى ابن جرير الطبري عن ابن عمر رضي الله عنه : كل ما أدت زكاته فليس
 بكنز وان كان مدفونا ، وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن
 يكوى به صاحبه (٢) .

وروى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر فقال : هذا قبل أن تنزل
 الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال (٣) .

وروى البخاري عن أبي هريرة ، في تفسيرها أنه سمع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول : يكون كنز أحدكم يوم القيامة أقرع (٤) .

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا : قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا
 أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزميه يعني شذقيه ثم يقول : أنا
 مالك أنا كنزك ثم تلا ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو
 خيرا لهم بل هو شرا لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ (٥) .

=====

(١) سورة التوبة : الآية ٣٤ وز ٣٥ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ١٠ / ١١٨ .

(٣) صحيح البخاري : التفسير ، رقم الحديث ٤٣٨٤ .

(٤) صحيح البخاري : التفسير ، رقم الحديث ٤٣٨٢ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٨٠ ، والحديث رواه البخاري : الزكاة رقم الحديث

وروى الامام مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأني قال : هم الأخسرون ، ورب الكعبة ، قال فجئت حتى جلست فلم أتقار أن قمت فقلت : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فداك أبي وأمي من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا (١) من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله .

وقليل ما هم : ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه تنطحه بقرونها وتطوه بأظلافها ، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولها حتى يقضى بين الناس (٢) .

وقال تعالى * وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون * (٣) .

قال ابن كثير : أى دما روهلاك عليهم ، (الذين لا يسؤتون الزكاة) ، وقال السدى : أى لا يدينون بالزكاة ، وقال قتادة : يمنعون زكاة أموالهم ، وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير (٤) .

وقال تعالى * يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ، وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ، ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون * (٥) .

قال ابن جرير : يقول تعالى : وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله ، من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول اذا نزل به الموت يارب :

=====

- (١) يعني أنه أشار بيده الى الجوانب في صرف ماله من وجوه الخير .
 (٢) صحيح مسلم : الزكاة ، رقم الحديث ٩٩٠ .
 (٣) سورة فصلت : الآية ٦ و ٧ . (٤) تفسير ابن كثير : ٩١ / ٤ .
 (٥) سورة المنافقون : الآية ٩ - ١١ .

هلا أخرتني فتمهل لي في الأجل الى أجل قريب فأصدق : يقول : فأزكى مالي وأكن من الصالحين ، يقول : وأعمل بطاعتك وأودى فرائضك .

ثم روى ابن جرير عن ابن عباس قال : ما من أحد يموت ولم يؤد زكاة ماله ولم يحج الا سأل الكرة ثم قرأ هذه الآية ، قال الله تعالى * ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون * ، والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبده هو بجميعها محيط لا يخفى عليه شيء وهو مجازيهم بها المحسن باحسانه والمسيء باسائه (١) .

وقال ابن كثير : يقول تعالى آمرا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ، ومخبرا لهم بأنه من التهيى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ثم حثهم على الانفاق في طاعته ، فكل مفسرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ليستدرك مافاتة ، وهيئات كان ماكان ، ، وأتى ما هو آت وكل بحسب تفريطه (٢) .

٨ — وقال البخارى : باب أى الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح لقوله تعالى * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب * (٣) ، وقوله تعالى * يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة * (٤) .

ثم روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أى الصدقة أعظم أجرا ؟ قال : أن تصدق وأنت

=====

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ، المجلد ١١ ج ٢٨ / ١١٧ - ١١٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٧٣ / ٤ .

(٣) سورة المنافقون : الآيات ٩ - ١١ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٤ .

صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت
لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان (١) .

٩ - وقال تعالى * ان تبدوا الصدقات فنعمنا هي ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير * (٢) .

وقال ابن كثير : أى ان أظهرتموها فنعم شيء هي (وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم) فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من اظهارها لأنه
أبعد عن الرياء الا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به ،
فيكون أفضل من هذه الحيثية ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجاهر
بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرب بالقرآن كالمسرب بالصدقة (٣) .

والأصل أن الاسرار أفضل لهذه الآية ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سبعة يظلهم الله تعالى في ظله
يوم لا ظل الا ظله ، امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق في
المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة
ذات منصب وجمال فقال : اني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى
لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (٤) (٥) .

:: :: :: :: ::

=====

(١) صحيح البخارى : الزكاة رقم الحديث ١٣٥٣ ، وأخرجه مسلم في الزكاة ،

رقم الحديث ١٠٣٢ . (٢) سورة البقرة : الآية ٢٧١ .

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، فضائل القرآن رقم الحديث ٢٩١٩ .

(٤) صحيح البخارى : الزكاة رقم الحديث ١٣٥٧ ، ٥١٧/٢ ، وصحيح مسلم

الزكاة ، باب فضل اخفاء الصدقة ، رقم الحديث ١٠٣١ .

(٥) تفسير ابن كثير ١/٣٢٢ .

الفصل الرابع

مسؤولية الصوم

(١) كلمة عامة في مشروعية الصوم وحقيقته وآدابه وأهدافه ، وأجره وحكمته

. . . وأسواره وتاريخ تشريعه ومراحله :

الحمد لله الذى كتب علينا صيام شهر رمضان لنكون من المتقين المطيعين الشاكرين المحسنين ، والصلاة والسلام على نبينا امام المتقين وخاتم النبيين الذى بعثه الله تعالى في شهر رمضان رحمة للعالمين بأن نزل عليه فيه كتابه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وعلى آله وأصحابه الصابرين ، ومن تبعه باحسان الى يوم الدين وبعد :

فان صيام شهر رمضان المبارك رابع أركان الاسلام الخمسة ، ورابع أهم مسؤوليات المسلم الفردية نحو ربه عز وجل .

وقد بين الله تعالى في سورة البقرة من كتابه المجيد هذه الأركان الخمسة للاسلام بالترتيب المعروف ، هذا وان الصوم عبادة اسلامية قديمة معروفة ، كتبها الله تعالى على من قبلنا من أهل الكتاب كما كتب علينا ، فان الاسلام عبارة عن اثبات العبودية بكمالها لله رب العالمين ، واخلاص العبادة له سبحانه والاستسلام لأمره ونهيه ، وهذه الغاية والمعنى قدر مشترك في جميع العبادات والمعاملات في الاسلام ، ولكنه في عبادة الصوم بارز بصفة خاصة ، فالمؤمن الصائم يجوع ويعطش ويدع لذات نفسه امثالاً لأمر رب العالمين وتسليماً لشرعه وعبادة له سبحانه ، وتقرباً اليه ورغبة في رضاه وجنته عز وجل ، واحتساباً الأجر عليه وايثار ما عنده الباقي على متاع الدنيا الفاني ، فلولا حب الله وعظمته في قلبه والشوق الى رضاه لما تحمل هذا كله فانه لا مجال في حقيقة الصوم للرياء لأنه سر بين العبد وربه ، ولهذا قد بشر الله عباده الصائمين لوجهه الكريم بقوله : الصوم لي وأنا أجزى به (١)

=====

(١) تمام الحديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله : كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، واذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل اني امرؤ صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك =

أى أجزى به جزاءً عظيماً وبغير حساب ، لأن الصائم يصبر لله عز وجل و* إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب * (١) .

فإن الصوم صبر وامسك عن المفطرات من الفجر إلى المغرب بنية العبادة والقربة والاحتساب لله عز وجل ، كما أنه أعداد النفس لتقواه تعالى وتربية الإرادة على ترك الشهوات ، ولأجل هذا يعتبر الصوم من أعظم العبادات لله سبحانه ، كما أنه من أقوى وسائل تهذيب النفس وتحريرها من هواها وتعويدها على البر والتقوى . لأن الإنسان روح وجسد ، فلجسده مطالب مادية سفلية ، ولروحه أشواق عالية ، فإذا أخضع الإنسان أشواق روحه لمطالب جسده المادية الشهوانية وجعل أكبر همه اشباع غريزته الحيوانية واتخذ الهه هواه ، فإنه بهذا قد قضى على إنسانيته وأصبح كالأنعام بل أضل منها سبيلاً ، لا يعرف نفسه ولا ربه الذى خلقه ، ولا يسمع الحق ولا يعقله ، كما قال تعالى * أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنسى تكون عليه وكيلاً ، أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً * (٢) ، وأولئك هم شر البرية ، بخلاف الذين يعرفون ربهم ويؤمنون به ويعملون الصالحات ويصومون ليعبدوا ربهم ويتغلبوا على أنفسهم الأمارة بالسوء ويكونوا من المتقين ، فأولئك هم خير البرية ، وأولئك هم المفلحون ، وبهذا تتأكد ضرورة الصوم ليتحرر الإنسان من سلطان غرائزه الحيوانية ، ويتشبه بالملائكة المقربين وترتقي روحه وتتقرب من الملاء الأعلى ، ويقر دعاؤه أبواب السماء ، فيدعو ربه ويناديه فيجيب له سبحانه .

فإن الله تعالى بعد أن بين في كتابه القرآن وجوب الصوم وبعض أحكامه قال تعالى * وإذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون * (٣) .

=====

للصائم فرحتان ، يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه .

(البخارى رقم الحديث ١٨٠٥ ، كتاب الصوم ، رقم الحديث ١١٥١) .

(١) سورة الزمر : الآية ١٠ . (٢) سورة الفرقان : الآية ٤٣ و٤٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٦ .

فدعاء الصائم مستجاب عند الله عز وجل ولا يرد كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء (١) .

فمن أهم ما يقصد بالصوم هو طاعة الله عز وجل ورضاه سبحانه بحبس النفس عن الشهوات وكسر حدتها وتزكيتها من الأخطا الرديئة وتقوية الروح على الطاعة لتستعد لطلب ما فيه غاية حياتها الدنيوية والأخروية ، صلاحها وسعادتها الأبدية ونعيمها ، لأن مجارى الشيطان من العبد تضيق بتضييق مجارى الطعام والشراب والشهوة ، فيحفظ الانسان بصومه نفسه من اغواء الشيطان ، ويحبس به قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة ، ونفس الامارة بالسوء ويسكن كل قوة عن جماحها ، ويلجم النفس بلجام الطاعة والتقوى والتسليم لحكم الله وشرعه ، فالصوم لجام النفس بيد المتقين وجنة بيد المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين .

هذا وان الصوم يعرّف المؤمن قيمة الطعام والشراب والشبع وقدّر نعماء الله - عز وجل - فيذكر ربه ويشكره ويتضرع اليه كما قال - صلى الله عليه وسلم - : عرض علي ربي ليجعل لسي بطحاء مكة ذهابا قلت : لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، وقال ثلاثا : فاذا جعت تضرعت اليك وذاكرتك ، واذا شبعت شكرتك وحمدتك (٢) .

كما أن صوم المؤمن يذكره بحال الجائعين والمحرومين الذين لا يجدون

قوة يومهم لأطفالهم وأنفسهم حتى يطفئوا نار الجوع لبطونهم ، فهم ليل نهار في نار الجوع يحترقون ، ومن أجل لقيمات يكدهون ، لأن الذي لا يعرف شدة الجوع

=====

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، الدعوات ، رقم الباب ١٢٩ ، رقم

الحديث ٣٥٩٨ ، ج ٥ / ٥٧٨ .

(٢) رواه الترمذى وحسنه ، سنن الترمذى : الزهد ، رقم الحديث ٢٣٤٧ ،

ومسند الامام أحمد ٥ / ٢٥٤ .

ومرارة العطش ، فهو لا يعرف حال الفقراء والمساكين ولا يشعر بواجبه نحو اخوانه المحرومين ، ولكن الصوم أكبر معلم للأغنياء قائلاً لهم : تذكروا أيها الأغنياء جوع اخوانكم الفقراء وأحسنوا اليهم رحمة بهم ، فان الله يرحمكم ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء (١) ، ولا يرحم الله من لا يرحم الناس (٢) .

ومن المعلوم أن أمة الاسلام هي أمة الدعوة والارشاد والكفاح والجهاد ، وأول عدة للجهاد هو العزم والصبر ، فمن لا يستطيع أن يجاهد نفسه ويصبرها عن شهواتها يوماً فكيف يجاهد العدو وكيف يثبت في المعركة ؟؟

فان الصوم من أهم الوسائل لتربية المجاهدين الصابرين الثابتين المرابطين كما قال تعالى * يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة * (٣) ، * يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون * (٤) .

كما أنه خير ذريعة لتهديب النفوس من الرذائل وتربيتها على المكارم ، لأن الصائم يراقب الله العليم الخبير ويعلم أنه يراه فيحفظ لسانه من الكذب والفحش والغيبة والنميمة ، ويعرض عن اللغو والجاهلين ، واذا لم يفعل ذلك فانه لم يصم صوماً مطلوباً ، ولم يكمل صومه ولا يجني ثماره ولا حاجة الى صومه كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه (٥) .

=====

(١) سنن أبي داود : الأدب ، رقم الحديث ٤٩٤١ .

(٢) صحيح البخارى : التوحيد ، رقم الحديث ٦٩٤١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٥٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٢٠٠ .

(٥) صحيح البخارى : الصوم ، رقم الحديث ١٨٠٤ .

واضافة الى هذه الأسرار والحكم للصوم فان له تأثيرا عجيبا في صحة الانسان وحفظ الجوارح والقوى الباطنية وحمايتها من المواد الفاسدة ، فانه يحفظ على روح الانسان وقلبه وجسمه صحته ، ويعيد اليه ما سلبته منه أيدي الشهوات ، لأن قلة الطعام تقلل من الأمراض باذن الله عز وجل ، وقد تقضي عليها كما أن كثرته كثيرا ما يسبب الأمراض لأن المعدة بيت الداء ، وان الحمية رأس الداء ، ولهذا أرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - الى قلة الطعام قائلا : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ، فان كان لامحالة فثلاث لطعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه (١) .

فان الصوم تربية للنفس على البر والتقوى والأخلاق الحسنة والشدائد وتزكية للروح وعلاج للجسم ، فلم يشرعه الله عبثا ولا تعذيبا بل شرعه لحكم كثيرة لاتعد ولا تحصى ، فعلينا أن نقوم بمسؤولية الصوم خير قيام ليرضى عنا ربنا وتكون من المتقين المحسنين .

وقال الامام ابن القيم : ان مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة شرعه الله لعباده رحمة بهم ، واحسانا اليهم وحمية لهم وجنة ، وكان هدى ، وهدى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيه أكمل الهدى وأعظم تحصيل للمقصود وأسهله على النفوس ، ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور . وأصعبها تأخر فرضه الى وسط الاسلام بعد الهجرة ، لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة وألفت أوامر القرآن ، فنقلت اليه بالتدرج وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضان ، وفرض أولا على وجه التخيير بينه وبين أن يطعم عن كل يوم مسكينا

=====

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ، الزهد ، رقم الحديث ٢٣٨٠ .

- ثم من ذلك التخيير الى تحتم الصوم وجعل الاطعام للشيخ الكبير والمرأة اذا لم يطبقا الصيام فانهما يطعمان عن كل يوم مسكينا ، فكان للصوم رتب ثلاث :
- احداها : ايجابه بوصف التخيير .
 - والثانية : تحتمه لكن كان الصائم اذا نام قبل أن يطعم حرم عليه الطعام والشراب الى الليلة القابلة فنسخ ذلك بالرتبة الثالثة .
 - والثالثة : وهي التي استقر عليها الشرع الى يوم القيامة (١) .
- وجوب الصوم :

١ : قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

قال ابن كثير : يقول تعالى مخاطبا للمؤمنين من هذه الأمة ، يُأْمَرُ لَهُمُ بالصيام وهو الامساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل ، لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة .

وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيهم أسوة حسنة وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك كما قال تعالى ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُم شُرْعَةً وَمِنهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِن لِّيَلوَكُم فِيمَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ﴾ (٣) ، ولهذا قال هاهنا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان ، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مِن اسْتَطَاعَ مِنكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ (٤) (٥) .

=====

- (١) زاد المعاد في هدى خير العباد ٢ / ٣٠ - ٣١ .
- (٢) سورة البقرة : الآية ١٨٣ . (٣) سورة المائدة : الآية ٤٨ .
- (٤) صحيح البخارى : الصوم ، رقم الحديث ١٨٠٦ .
- (٥) تفسير ابن كثير ١ / ٢١٣ .

وذكر البخارى في باب وجوب صوم رمضان بعد ذكر هذه الآية ، آية وجوب الصوم ، حديث طلحة بن عبيد الله أن أعرابيا جاء الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثائر الرأس فقال : يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة ؟ فقال : الصلوات الخمس الا أن تطوع شيئا ، فقال : أخبرني ماذا فرض الله علي من الصيام ، فقال : شهر رمضان الا أن تطوع شيئا . . . الحديث (١) .

وروى البخارى بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة وترك عاشوراء ، فكان ممن شاء صامه ومن شاء لم يصمه (٢) .

٢ : * أيام معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين * (٣) .

قال ابن العربي : وهذا يدل على أن المراد به رمضان لا يوم عاشوراء ، ومن قال انه صوم ثلاثة أيام في كل شهر فقد أبعده لأنه حديث لأصل له ، في الصحة .

وقوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) وتحقيق القول أن الله تعالى قال : من كان صحيحا مقيما لزمه الصوم ، ومن كان مسافرا أو مريضا فلا صوم عليه ، ومن كان صحيحا مقيما ولزمه الصوم وأراد تركه فعليه فدية طعام مسكين ثم نسخ الله ذلك بقوله * شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر * ، مطلقا ، ولهذا المعنى كرهه ، ولولا تجديد الفرض فيه

=====

(١) صحيح البخارى : الصوم ، رقم الحديث ١٧٩٢ .

(٢) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٢٣٤ .

(٣) قرأ نافع وابن زكوان (فدية طعام) بالاضافة والباقون بالتنوين في (فدية) .

وقرأ نافع وابن عامر (مساكين) بالجمع والباقون بالتوحيد (مسكين) =

وتحديده وتأكيدده ماكان لتكرار ذلك فائدة مقصودة (١) .

وقال ابن كثير : (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) أى المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما ، بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخرى ، وأما الصحيح المقيم الذى يطيق الصيام فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الاطعام ان شاء صام وان شاء أفطر ، وأطعم عن كل يوم مسكينا ، فان أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير ، وان صام فهو أفضل من الاطعام ، قاله ابن مسعود - رضي الله عنه - وابن عباس ومجاهد وطاؤس ومقاتل بن حيان وغيرهم من السلف ، ولهذا قال تعالى * وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون * (٢) .

وروى الامام البخارى مسندا عن سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كان من أراد أن يفطر ويفتدى حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها (٣) .

وروى البخارى مسندا عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ (وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس : ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان ، مكان كل يوم مسكينا .

=====

= منونا مخفوزا بالاضافة . (انظر : الكشف عن القراءات السبع لمكي بن أبي

طالب ٢٨٢/١) .

(١) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدا لله المعروف بابن العربي ، المتوفى

سنة ٥٤٣ هـ ، ج ١ / ٧٩ - ٨٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢١٤/١ .

(٣) متفق عليه : صحيح البخارى ، التفسير رقم الحديث ٤٢٣٧ ، وأخرجه مسلم

في الصيام باب بيان نسخ قوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام

مسكين) بقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) رقم الحديث ١١٤٥ .

وقال البخارى وقال عطاء : يفطر من المرض كله كما قال الله تعالى .
 وقال الحسن و ابراهيم في المرض والحامل اذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما
 تفطران ثم تقضيان ، وأما الشيخ الكبير اذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس - رضي
 الله عنه - بعدما كبر عاما أو عامين كل يوم مسكينا خبزا ولحما وأفطر .
 وقراءة العامة (يطيقونه) وهو أكثر ^(١) ، وقال ابن كثير : فاحصل الأمر أن
 النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بايجاب الصيام عليه لقوله تعالى * فمن شهد
 منكم الشهر فليصمه * ، وأما الشيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن
 يفطر ولا قضاء عليه .

ولكن هل يجب عليه اذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينا اذا كان ذا حدة
 فيه قولان للعلماء :

- أحدهما : لا يجب عليه اطعام لأنه ضعيف عنه لسنه فلم يجب عليه فدية
 كالصبي لأن الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها .
- والثاني : وهو الصحيح وعليه أكثر العلماء أنه يجب عليه فدية كما فسره
 ابن عباس وغيره من السلف على قراءة (وعلى الذين يطيقونه) أى يتجشمونه كما
 قاله ابن مسعود رضي الله عنه وغيره ، وهو اختيار البخارى فانه قال : وأما الشيخ
 الكبير اذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بن مالك ، وهذا الذى علقه البخارى قد
 اسنده الحافظ أبو يعلى في مسنده (٢) .

٣ : * شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
 والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من

=====

(١) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الباب ، ٢٧ ، ج ٤ / ١٦٣٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٢١٥ .

أيام آخر ، * (١) .

قال أبو جعفر محمد بن جرير : والشهر . أصله من الشهرة ، يقال منه قد شهر فلان سيفه اذا أخرجه من غمده ، فاعترضه من أراد ضربه بشهره شهرا ، وكذلك شهر الشهر اذا طلع هلاله (٢) .

وقال أبو السعود : رمضان مصدر رمض أى احترق من الرمضاء ، فأضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للتعريف والألف والنون ، وانما سمي بذلك اما لا ترمضهم فيه من الجوع والعطش أو لا ترمض الذنوب بالصيام فيه ، أو لوقوعه في أيام رمض الحر عند نقل أسماء الشهور عن اللغة القديمة .

(الذى أنزل فيه القرآن) ومعنى انزاله فيه أنه ابتدئ انزاله فيه ، وكان

ذلك ليلة القدر .

(هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) حالان من القرآن أى أنزل

حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق ، فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام (٣) .

وقال الامام البخارى : باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله

واسعا ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : من صام رمضان ، وقال - صلى الله

عليه وسلم - لا تقدموا رمضان ، ثم روى مسندا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء

وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين (٤) .

=====

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ج ٢ / ١٤٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٤) متفق عليه : صحيح البخارى : الصوم رقم الحديث ١٨٠٠ ، ج ٢ / ٦٧١ ،

وصحيح مسلم : الصوم رقم الحديث ١٠٧٩ .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فأفطروا ، فان غم عليكم فاقصدوا له ، وفي رواية أخرى عنه : أى لهلال رمضان (١) .

وعن عبد الله بن عمر أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين (٢) .

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية : يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لانزال القرآن العظيم وكما اختصه بذلك ، قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الالهية تنزل فيه على الأنبياء .

قال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي فليح عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان (٣) .

وقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) هذا ايجاب حتم على من شهده استهلال الشهر أى كان مقيما صحيحا حين دخل شهر رمضان أن يصوم لامحالة ونسخت هذه الآية الاباحة المتقدمة لمن كان صحيحا مقيما أن يفطر ويفدى ، ولما ختم الصيام أعاد ذكر الرخصة للمريض والمسافر في الافطار بشرط القضاء ، ولهذا قال :

=====

- (١) صحيح البخارى : الصوم ، رقم الحديث ١٨٠١ .
- (٢) صحيح البخارى : الصوم ، رقم الحديث ١٨٠٨ .
- (٣) مسند الامام أحمد ٤ / ١٠٧ .

٤ : * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون * (١) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا (٢) .

أى انما أرخص لكم في الافطار للمرض والسفر ونحوهما من الأعدار لارادته بكم اليسر وانما أمر بالقضاء لتكملوا عدة شهركم .

(ولتكبروا الله على ما هداكم) أى ولتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم ، ولهذا أخذ كثير من العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية .

(ولعلكم تشكرون) أى اذا قمتم بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه وترك محارمه وحفظ حدوده ، فلعلكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك (٣) .

٥ : * واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون * (٤) .

هذا ترغيب في الدعاء والطلب من الله عز وجل وخاصة في حالة الصوم وعند الافطار ، فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع ولم يمنع مانع من اجابة الدعاء كأكل الحرام ونحوه فان الله الكريم قد وعد عباده بالاجابة ، وخصوصا اذا جاء بأسباب اجابة الدعاء من الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية ، فلماذا قال تعالى * فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون * أى يحصل لهم الرشد والهداية والسعادة .

=====

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٢) صحيح البخارى : المغازى ، رقم الحديث ٤٠٨٦ ، قال صلى الله عليه وسلم هذا لأبي موسى ومعاذ بن جبل حين بعثهما الى اليمن ، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير رقم الحديث ١٧٣٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ١/٢١٧ - ٢١٨ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٨٦ .

٦ : ثم قال تعالى ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ (١) .

كان في أول فرض الصيام يحرم على المسلمين الأكل والشرب والجماع في الليل بعد النوم ، فحصلت المشقة لبعضهم فخفف الله تعالى عنهم ذلك ، وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب والجماع سواء نام أو لم ينم لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به ، فروى البخارى في سبب نزول قوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام . . .) الآيه عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي ، وان قيس بن صرمة الأنصارى كان صائما فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام ؟ قالت : لا ، ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فقلبتة عيناه فجاءته امرأته ، فلما رأته قالت : خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فنزلت هذه الآيه (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) . ففرحوا فرحا شديدا ، ونزلت (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ (٢) .

وروى البخارى في تفسير هذه الآيه عن البراء بن عازب - رضي الله عنه -
لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون أنفسهم

=====

(١) سورة البقرة : الآيه ١٨٧ .

(٢) صحيح البخارى : الصوم ، رقم الحديث ، ١٨١٦ .

فأنزل الله تعالى (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتأب عليكم وعفا عنكم) ، ،
وقال البخارى : باب * وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط
الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فسي
المساجد يتفون * ، ثم روى عن سهل بن سعد قال : وأنزلت (وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر)
وكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحد هم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود
ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله بعده (من الفجر) ، فعلموا
أنما يعني الليل من النهار (١) .

وجوب النية في الصوم من الليل قبل طلوع الفجر قال تعالى :

* وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء . . . * (٢) ، وروى
البخارى عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : انما الأعمال بالنيات ، وانما
لكل امرئ ما نوى . . . الحديث (٣) .

وقال البخارى : باب من صام رمضان ايمانا واحتسابا ونية ، وقالت عائشة
- رضي الله عنها - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : يبعثون على نياتهم (٤) .
وروى البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه (٥) .

وقال أبو داود : باب النية في الصيام ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا
عبد الله بن وهب حدثني يحيى بن أيوب عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن ابن

=====

(١) صحيح البخارى : التفسير رقم الحديث ٤٢٤١ .

(٢) سورة البينة : الآية ٥ .

(٣) متفق عليه : صحيح البخارى : الوحي رقم الحديث ١ ، وصحيح مسلم :

الامارة ، رقم الحديث ١٩٠٧ .

(٤) هذا جزء من الحديث الذى رواه البخارى كاملا في البيوع ومسندا برقم ٢٠١٢ .

(٥) صحيح البخارى : الصوم ، رقم الحديث ١٨٠٢ .

ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن حفصة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا
صيام له .

قال أبو داود : رواه الليث وإسحاق بن حازم أيضا جميعا عن عبد الله بن أبي
بكر مثله (١) .

٧ : لا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد * أى وأنتم متصفون بذلك ،
ودلت الآية على مشروعية الاعتكاف وهو لزوم المسجد لطاعة الله وعبادته منقطعاً
عن الدنيا وأعمالها ، وأن الاعتكاف لا يصح إلا في المساجد المعروفة التي تقام فيها
الصلوات الخمس وفيه أن الوطء من مفسدات الاعتكاف .

(تلك حدود الله فلا تقربوها) أى تلك المذكورات من تحريم الأكل والشرب
والجماع ونحوه من المفطرات في الصوم وتحريم الإفطار على غير المعذور وتحريم الوطء
على المعتكف ونحو ذلك من المحرمات ، حدود الله التي حدها لعباده ونهاهم
عنها فقال (فلا تقربوها) ، هذا أبلغ في النهي من قوله فلا تفعلوها ، لأن
النهي عن القربان يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه ، والنهي عن وسائله الموصلة
إليه والعبد مأمور بترك المحرمات والبعد عنها غاية ما يمكنه ، وترك سبب يدعو
إليها ، (كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) . (٢)

:::::

=====

(١) سنن أبي داود : الصوم ، رقم الحديث ٢٤٥٤ ، ج ٢ / ٣٢٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧ .

الفصل الخامس

مسؤولية الحج

(١) كلمة عامة في حقيقة الحج وأهدافه وأسراره :

الحمد لله الذى أكرمنا بدين الاسلام وجعل بيته العتيق^{مثابة} للناس^{أمانا} وهدى للعالمين ، وأوجب حج ذلك البيت الأول المبارك واجبا على من استطاع اليه سبيلا ، وأنزل على عبده ورسوله وهو يحج حجة الوداع * اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا * (١) (٢) .

والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى بلغ الاسلام حق تبليغه وعلم مناسك الحج حق تعليمه ، وعلى آله وأصحابه المتبعين ، ومن تبعه باحسان الى يوم الدين وبعد :

فان الحج خامس أركان الاسلام الخمسة ومن أهم مسؤوليات المسلمين نحو ربهم عز وجل ، فقد أوجبه الله عليهم بشرط الاستطاعة ، فعلى المستطيعين مرة في العمر على الأقل أن يحجوا بيت الله الذى هو أول بيت وضع لعبادة الناس لرب العالمين .

ومن أهم أعماله الاحرام والتلبية والطواف والوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة والذكر عند المشعر الحرام ورمي الجمار ، والذبح والحلق ، وطواف الافاضة ، والسعي بين الصفا والمروة والمبيت بمنى وطواف الوداع ، .

أما الاحرام فهو النية لأداء الحج والبداية في سفره الى بيت الله الحرام ، كما انه التجرد العملي من شهوات النفس والهوى ، وحبسها عن كل ما سوى الله على ذكره وطاعته عز وجل ، وأما التلبية فليست الا شهادة على الايمان بالله تعالى

=====

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٢) زوى البخارى في تفسير هذه الآية عن طارق بن شهاب : قالت اليهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : انكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر رضي الله عنه : اني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة .

(صحيح البخارى : التفسير رقم الحديث ٤٣٣٠ ، ومسلم رقم الحديث ٣٠١٧

التفسير) .

وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته ، وإعلان بالتزام طاعته وعبادته بامتنال أوامره واجتناب نواهيه واستجابة لأمره بحج بيته الذي جدد له وبنائه خليله إبراهيم عليه السلام و * ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * (١) .

وبعد أن بنا إبراهيم بيت الله باذن الله عز وجل أمره الله أن يأذن في الناس بالحج قائلا * وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير * (٢) .

فان الحاج يتوجه الى بيت ربه العتيق تلبية على ذلك النداء الرباني ، عابدا ذاكرا خاشعا متواضعا لله رب الكعبة ورب العالمين ، فان الحج أعظم مظهر لانسانية عابدة لمعبودها الواحد الأحد الصمد .

وان الحاج يعيد ربه بكل حركة من حركات قلبه وجوارحه ، ويذكره بلسانه حاله ومقاله وينشد في حبه نشيد الحج ، نشيد التوحيد والتمجيد ، ونشيد الحب والشوق والتلبية قائلا : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك (٣) .

وأما الطواف فليس الا عبادة رب الكعبة رب السموات والأرض ، ودوران أزواج المؤمنين وأجسادهم حول قدسية الملك الرحمن الجبار فينادى المؤمنون ربهم الكريم

=====

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٧ - ٦٨ .

(٢) سورة الحج : الآية ٢٧ - ٢٨ .

(٣) روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن هذه هي تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث

١٤٧٤ ، وصحيح مسلم : الحج رقم ١١٨٤ .

ويناجونه بقلوب خاشعة وألسنة ذاكرة يطلبون منه العفو والمغفرة والرضوان والرحمة والهداية والانععام .

وان الوقوف بعرفات أكبر مشهد وأثمن فرصة لعبادة الله عز وجل بالصلاة والدعاء والذكر والشكر والحمد والتضرع والخوف والرجاء ، برووس ساجدة راکعة ، وأقدام واقفة وأيد مرفوعة وقلوب خاشعة ، وألسنة ذاكرة وعيون جارية ، تسبح لربه عز وجل وتحمده وتشكره وتتوب اليه توبة نصوحا ، وتطلب منه المغفرة والرحمة والهداية وتتعهد اليه تعالى بطاعته باتباع كتابه القرآن وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

وليس الرمي الا مقت الشيطان الرجيم وعهد بمخالفته كما أنه احتقار لكل عوامل الشر وابعاد النفس عن كل الطاغوت ، وتقريب الى الرحمن ، .
وأما الذبح فليس الا ذكر الله وشكره على انعامه وتوفيقه وعبادته تعالسى بتضيحة مارزق باسمه عز وجل ، فانه رمز بليغ للفداء ودليل على صدق الايمان ووسيلة لا طعام البائس الفقير ، وتربية للنفس على البر والتقوى .
وأما الحلق فليس الا دلالة على طهارة الروح والجسد وتخليتهما من الرذائل وتحليتهما بالفضائل ، .

وهكذا فبان الحج رحلة ربانية مقدسة يتزود بها المسلم فيزداد ايمانا وخشية وعزما على طاعة الله عز وجل من معاني المساواة والوحدة والاخوة والسلام في

الحج :

هذا وان الحج تدريب عملي للمسلم على المبادئ الانسانية العليا التي جاء بها الاسلام ، فقد أراد الله أن لا تكون تلك المبادئ والقيم مجرد شعارات أو نداءات بل ربطها بعباداته وشعائره ربطا وثيقا .

وقد رأينا في صلاة الجماعة مظاهر الوحدة والمساوات والأخوة والحرية ، وهنا في الحج نشاهد معنى المساواة والوحدة في أجلى صورها وأتمها ،

فالجميع بلباس واحد بسيط ، وهو أشبه ما يكون بأكفان الموتى يلبسه الغني والفقير
والحاكم والمحكوم ، فلا تحس بفقر فقير ولا غنى غني .

فترى في مشاعر الحج معنى الوحدة والأخوة جليا كالشمس وحدة في الهدف
ووحدة في العمل ووحدة في المشاعر ووحدة في القول ، لاعصية للون . ولا لجنس
ولا للغة انما جميعا عباد الله ومسلمون له ، فحرب واحد يؤمنون ، وبيت واحد
يطوفون ، ولكتاب واحد يقرؤون ، ولرسول واحد يتبعون ، فيجد المسلم هناك
اخوانا له في الاسلام من قارات الدنيا الخمس جمعتهم كلمة التوحيد ورابطة الأخوة
في الاسلام . ينشدون نشيدا واحدا لبيك اللهم لبيك . . ويتعارفون ويتشاورون
ويتعاونون ويخططون لأجل تبليغ الاسلام وتعليمه والدفاع عنه ونصرة المسلمين .
ثم يعودون الى بلادهم مطهرة النفوس متحدة القلوب والشعور ، منادين
بشعار واحد * انما المؤمنون اخوة * ، كما أن الحج رحلة سلام الى أرض سلام
في زمن سلام .

(٢) من معاني الحج اللغوية والشرعية :

قال الجوهري : الحج القصد ورجل محجوج أى مقصود ، ثم تعورف استعماله
في القصد الذى مكة للنسك ، تقول : حججت البيت أحجه حجا فأنا حجاج ،
ويجمع على حجج مثل بازل وبزل ، والحج : بالكسر الاسم ، والحجة : المرة
الواحدة وذو الحجة شهر الحج والجمع ذوات الحجة ، والحجيج : الحجاج (١) .
وقال صاحب لسان العرب : والحج قصد التوجه الى البيت بالأعمال المشروعة
فرضاوسنة ، وبعض يكسر الحاء فيقول : الحج والحجة وقرى * ولله على الناس حج
البيت * (٢) .

=====

(١) الصحاح للجوهري : ٣٠٣/١ - ٣٠٤ .

(٢) آل عمران : ٩٧ .

وروى عن الأثر وغيره ماسمعنا من العرب : حججت حجة وانما يقولون :

حججت حجة - بالكسر - .

قال : والحج والحج ليس عند الكسائي بينهما فرقان ، وقال الكسائي : كلام العرب كله على فعلت فعلة الا قولهم حججت حجة ورأيت رؤية . ١ . هـ (١) .

وقال ابن حجر : وأصل الحج في اللغة القصد ، وقال الخليل : كثرة القصد الى معظم ، .

وفي الشرع : القصد الى البيت الحرام بأعمال مخصوصة وهو بفتح المهملة وكسرها لغتان .

نقل الطبري : أن الكسر لغة أهل نجد ، والفتح لغيرهم ، ونقل عن حسين الجعفي أن الفتح الاسم والكسر المصدر .

ووجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة ، وأجمعوا أنه لا يتكرر الا لعراض كالنذر ، واختلف هل هو على الفور أو التراخي ؟ ، وهو - أي التراخي - مشهور . وفي وقت ابتداء فرضه فليل : قبل الهجرة وهو شاذ وقيل بعدها ، ثم اختلف في سنته (بعد الهجرة) فالجمهور على أنها سنة ست لأنها نزل فيها قوله تعالى ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ (٢) ، وهذا ينبغي على أن المراد بالاتمام ابتداء الفرض وقيل المراد بالاتمام الاكمال بعد الشروع ، وهذا يقتضي تقدم فرضه قبل ذلك ، وقد وقع في قصة ضمام ذكر الأمر على ما ذكر الواقدي سنة خمس وهذا يدل - ان ثبت - على تقدمه على سنة خمس أو وقوعه فيها (٣) .

(٣) تاريخ بناء الكعبة :

قال تعالى ﴿ واذ يرفع ابنسراهم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل

=====

(١) لسان العرب : ٢٢٦ / ٢ - ٢٢٧ . (٢) سورة البقرة : الآية ١٩٦ .

(٣) فتح الباري : ٣ / ٣٧٨ .

(*) بالحج وكان قدومه .

منا انك أنت السميع العليم ﴿ (١) .

روى الامام البخارى عن ابن عباس - رضي الله عنه - : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطلقا لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفا ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا ابراهيم أين تذهب وتركننا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ؟ ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : اذا لا يضيعنا ، ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال : ﴿ ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (٢) . وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت ، الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر أحدا فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : فذلك سعي الناس بينهما ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه ، تريد نفسها ، ثم تسمعت أيضا ، فقالت : قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول : بيدها هكذا

=====

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٧ .

(٢) ابراهيم : ٣٧ .

وجعلت تغرف من الماء في سقاءها وهو يفر بعد ما تعرف قال ابن عباس رضي الله عنه ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا .

قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لاتخافوا الضيعة فان هاهنا بيت الله بيني هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله .

وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عاتقا فقالوا : ان هذا الطائر ليدور على ماء تعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال: وأم اسماعيل عند الماء ، فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ، فنزلوا حتى قال ثم جاء - أي ابراهيم - بعد ذلك واسماعيل يسرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال : يا اسماعيل ان الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعيني ؟ قال : وأعينك ، قال : فان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ماحولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة و ابراهيم بيني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو بيني واسماعيل يناولسه الحجارة وهما يقولان ﴿ ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ﴾ (١) .

وروى أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى بسنده عن علي بن أبي طالب أن ابراهيم كان بيني كل يوم سافا ومكة يومئذ شديد الحر ، فلما بلغ موضع الحجر قال لاسماعيل : اذهب فالتمس حجرا أضعه هاهنا ليهدى الناس به ، فذهب اسماعيل يطوف في الجبال وجاء جبريل بالحجر الأسود ، وجاء اسماعيل فقال : من أين

=====

(١) صحيح البخارى : الأنبياء ، رقم الباب ١٢ ، رقم الحديث ٣١٨٤ .

لك هذا الحجر ؟ قال : من عند من لم يتكل على بنائي وبنائك ، ثم انهدم البيت
فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم ، ثم انهدم فبنته قريش (١) .
ثم ذكر قصة منازعة قريش في وضع الحجر الأسود وتحكيمهم رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - ورضاهم بحكمه ، وقال الامام البخارى :

باب فضل مكة وبنائها وقوله تعالى * واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي
للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا
آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فأمتعه
قليلًا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير ، واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم * (٢) .

ثم روى عن جابر بن عبد الله قال : لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله
عليه وسلم وعباس ينقلان الحجارة . . . الحديث (٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : يا عائشة
لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه
وألزقته بالأرض وجعلت له بايين ، بابا شرقيا وبابا غربيا ، فبلغت به أساس ابراهيم .
فذلك الذى حمل ابن الزبير - رضي الله عنه - على هدمه ، قال يزيد بن
رومان الذى روى الحديث عن عسرة عن عائشة : وشهدت ابن الزبير حين هدمه
وبناه وأدخل فيه من الحجر وقد رأيت أساس ابراهيم . . . الحديث (٤) .

=====

- (١) أخبار مكة لمحمد بن عبد الله الأزرقى المتوفى سنة ٢٤٤ هـ ، ١ / ٦١ - ٦٢ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٥ - ١٢٨ .
(٣) صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٥٠٥ ، ج ٢ / ٥٧٢ .
(٤) صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٥٠٩ ، وصحيح مسلم : الحج .
رقم ١٣٣٣ .

وقال ابن كثير : ولم تزل الكعبة على بناء قريش حتى احترقت في أول اامارة عبد الله بن الزبير بعد سنة ستين من الهجرة وفي آخر ولاية يزيد بن معاوية ، فحينئذ نقضها ابن الزبير - رضي الله عنه - الى الأرض وبنائها على قواعد ابراهيم عليه السلام وأدخل فيها الحجر ، ولم تزل كذلك مدة امارته حتى قتله الحجاج ، فردها الى ماكانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك (١) .

(٤) ان الكعبة أول بيت مبارك وضع في الأرض لعبادة الناس لله رب العالمين :

قال تعالى * ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، (* (٢) .

قال السيوطي : أخرج ابن المنذر والأزرقي عن ابن جريج قال : بلغنا أن اليهود قالت : بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنها مهاجر الأنبياء ، فقال المسلمون : بل الكعبة أعظم ، فنزلت هذه الآية (٣) .

وقال ابن كثير : يخبر تعالى (أن أول بيتوضع للناس) أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون اليه ويعتكفون عنده .

(للذي ببكة) يعني الكعبة التي بناها ابراهيم - عليه السلام - الذي يزعم كل من طائفتي اليهود والنصارى أنهم على دينه ولا يحجون الى البيت ، ولهذا قال تعالى (مباركاً) أي وضع مباركاً وهدى للعالمين (٤) .

روى البخارى عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أي مسجد وضع أول ؟ قال المسجد الحرام ، قلت : ثم أي ؟ قال : ثم المسجد الأقصى ، . . الحديث (٥) .

=====

(١) تفسير ابن كثير ١ / ١٨١ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٩٦ - ٩٧

(٣) الدر المنثور ٢ / ٢٦٦ . (٤) تفسير ابن كثير :

(٥) صحيح البخارى : الأنبياء ، رقم الحديث ٣٢٤٣ .

وروى ابن أبي حاتم عن علي - رضي الله عنه - قال : كانت البيوت قبله ،
ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله عز وجل (١) .

(٥) وجوب الحج :

قال تعالى * والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر
فان الله غني عن العالمين * (٢) .

قال ابن كثير : هذه آية وجوب الحج عند الجمهور ، وقيل : بل هي قوله
تعالى * وأتموا الحج والعمرة لله * (٣) ، والأول أظهر وقد وردت الأحاديث
المتعددة بأنه أحد أركان الاسلام ودعائه وقواعده ، وأجمع المسلمون على ذلك
اجماعا ضروريا ، وانما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والاجماع .

فروى الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال
رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال : ذروني ما تركتكم فانما هلك من
كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبياءهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه
ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه (٤) (٥) .

وقال الامام البخاري : باب وجوب الحج وفضله ، وقول الله تعالى * والله على
الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين * (٦) .

=====

- (١) تفسير ابن كثير : ٣٨٣ / ١ .
- (٢) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .
- (٣) سورة البقرة : الآية ١٩٦ .
- (٤) صحيح مسلم : الحج ، رقم الحديث ١٣٣٧ .
- (٥) تفسير ابن كثير ٣٨٥ / ١ .
- (٦) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

ثم روى البخارى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم فقالت : يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه ، قال : نعم وذلك في حجة الوداع (١) .

وقال ابن حجر : والمراد من ايراد حديث الخثعمية هنا تفسير الاستطاعة المذكورة في الآية وانها لا تختص بالزاد والراحلة ، بل تتعلق بالمال والبدن .
وقال ابن المنذر : لا يثبت الحديث الذى فيه ذكر الزاد والراحلة والآية الكريمة عامة ليست مجملة فلا تفتقر الى بيان ، وكأن الله كلف كل مستطيع قدر بمال أو ببدن ، ولا يشترط لصحة الحج الا الاسلام (٢) .

وقال ابن جرير في تفسير الاستطاعة : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء ان ذلك على قدر الطاقة لأن السبيل في كـلام العرب : الطريق فمن كان واجدا طريقا الى الحج لا مانع له منه من زمانه ، أو عجز أو وعد أو قلة ما في طريقه ، أو زاد أو ضعف عن المشي فعليه فرض الحج ، لا يجزيه الأداة ، فان لم يكن واجدا سبيلا أعنى بذلك فان لم يكن مطيقا الحج بتعذر بعض هذه المعاني فهو ممن لا يجد اليه طريقا ولا يستطيعه لأن الاستطاعة الى ذلك هو القدرة عليه ، وهذا لأن الله تعالى لم يخصص ، فذلك على كـل مستطيع اليه سبيلا بعموم الآية .

فأما الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بأنه الزاد والراحلة ففي أسانيدها نظر لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين (٣) .

=====

(١) صحيح البخارى : مع فتح البارى : الحج ، رقم الحديث ١٥٤٢ ، وصحيح

مسلم : الحج ، رقم الحديث ١٣٣٤ .

(٢) فتح البارى ج ٣ / ٣٧٨ .

(٣) تفسير ابن جرير ١٨ / ٤ .

وقال ابن العربي في تفسير قوله تعالى (والله على الناس حج البيت ، من استطاع اليه سبيلا) : هذا من أؤكد ألفاظ الوجوب عند العرب ، فذكر الله الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب تأكيدا لحقه وتعظيما لحرمة وتقوية لفرضه ، وكان الحج معلوما عند العرب مشروعا لديهم ، فخطبوا بما علموا وألزموا بما عرفوا .
وللحج ركنان : أحدهما الطواف بالبيت .

والثاني : الوقوف بعرفة ، فان قيل فأين الاحرام وهو متفق عليه ؟ قلنا : هو النية التي تلزم كل عبادة . . . فهي شرط لاركن (١) .

(ومن كفر فان الله غني عن العالمين) في هذه الآية وعيد شديد للذين لا يمسؤون فريضة الحج بعد وجوبها ، ومن أنكر فريضة الحج فقد كفر ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين .

فقال ابن كثير في تفسيرها : قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه ، وقد روى أبو بكر الاسماعيلي الحافظ من حديث عمرو الأوزاعي حدثني اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، حدثني عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا .
وهذا اسناد صحيح الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢) .

(٦) من واجبات الحج : السعي بين الصفا والمروة :

قال تعالى ﴿ ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ (٣) ، قال الامام البخاري : باب وجوب الصفا والمروة وجعل

=====

(١) أحكام القرآن ١ / ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٨٦ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٥٨ .

من شعائر الله ، ثم روى عن عروة رضي الله عنه قال : سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها : أرايتقول الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) فوالله ما على أحد جناح : أن لا يطوف بالصفا والمروة ، قالت : بئس ما قلت يا ابن أخي ان هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قالوا يا رسول الله : انا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قالت عائشة رضي الله عنها : وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما (١) .

وقد جاء في حديث جابر الذي فيه حجة النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها:

ثم خرج (بعد الطواف والصلاة عند مقام ابراهيم واستلام الركن) من الباب الذي الصفا فلما دنا من الصفا قرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) ابدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . . الحديث (٢) .

وقال ابن كثير : فكل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته تلك

واجب لا بد من فعله في الحج الا ما خرج بدليل ، وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وتردادها بين الصفا والمروة في طلب الماء

=====

(١) صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٥٦١ ، وصحيح مسلم : الحج

رقم الحديث ١٢٧٧ .

(٢) صحيح مسلم : الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم رقم الحديث ٢١٢١

لولدها ، لما نفذ ما هما وزادهما حين تركهما ابراهيم - عليه السلام - فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته الى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه ، وأن يلتجئ الى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب وأن يهديه الى الصراط المستقيم (١) .

(٧) بيان رحلة الحج وأحكامه في سورة البقرة :

قال تعالى ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ، فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب ﴾ (٢) .
وقوله (وأتموا الحج والعمرة لله) :

١ : قال ابن كثير : لما ذكر تعالى أحكام الصيام وعطف بذكر الجهاد شرع في بيان المناسك فأمر بتمام الحج والعمرة وظاهر السياق اكمال أفعالهما بعد الشرع فيهما .

ولهذا اتفق العلماء على أن الشرع في الحج والعمرة ملزم سواء قيل بوجود العمرة أو باستحبابها كما هما قولان للعلماء .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية : ان تحرم من ديرة أهلك ، لا تريد الا الحج والعمرة ، وتهل من الميقات ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة . . (٣) .

وقال الامام البخاري : باب وجوب العمرة وفضلها وقال ابن عمر رضي الله عنه : ليس أحد الا وعليه حجة وعمرة وقال ابن عباس رضي الله عنه : انها لقربنتها

=====

(١) تفسير ابن كثير ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٦ .

(٣) تفسير ابن كثير : ١ / ٢٣٠ .

في كتاب الله (وأتموا الحج والعمرة لله) .

ثم روى البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة (١) .

وقال البخارى : باب من اعتمر قبل الحج ثم روى مسندا عن ابن جريج : أن عكرمة بن خالد سأل ابن عمر رضي الله عنه عن العمرة قبل الحج فقال : لا بأس ، قال عكرمة قال ابن عمر رضي الله عنهما : اعتمر النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يحج (٢) .

وروى البخارى عن قتادة سألت أنسا رضي الله عنه كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم : قال أربعة ، عمرة الحديبية في ذى القعدة حيث صده المشركون وعمرة من العام المقبل في ذى القعدة حيث صالحهم ، وعمرة الجعرانة اذ قسم غنيمة - حنين ، قلت : كم حج ، قال : واحدة (٣) .

وقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع في احرامه بحج وعمرة .

فروى البخارى مسندا عن سالم بن عبد الله أن ابن عمر رضي الله عنه قال : تمتع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع بالعمرة الى الحج ، وأهدى فساق . معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج فتمتع الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج ، فكان من الناس من أهدى فساق الهدى ومنهم من لم يهد ، فلما قدم النبي مكة قال للناس : من كان منكم أهدى فانه لا يحل لشيء حرم منه حتى يقضي حجه ، ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج ،

=====

(١) صحيح البخارى : العمرة ، رقم الحديث ١٦٨٣ ، ج ٢ / ٦٢٩ ، وصحيح

مسلم : الحج ، رقم الحديث ١٣٤٩ .

(٢) صحيح البخارى : العمرة ، رقم الحديث ١٦٨٤ .

(٣) صحيح البخارى : العمرة ، رقم الحديث ١٦٨٧ .

فمن لم يسجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع الى أهله
الحديث (١) .

وقال البخارى : (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ، ،
فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ، ذلك
لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) ، ثم روى عن أبي جمرة قال : سألت
ابن عباس عن المتعة (أى التمتع) فأمرني بها وسألته عن الهدى فقال : فيها
جزور (٢) أو بقرة أو شاة أو شرك في دم ، وكأن ناسا كرهوها فنمت فرأيت فسي
المنام كأن انسانا ينادى حج مبرور ومتعة متقبلة فأنتيت ابن عباس رضي الله عنه
فحدثته فقال : الله أكبر سنة أبي القاسم وفي رواية : عمرة متقبلة وحج مبرور (٣) .

٢ : وقوله تعالى ﴿ فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ﴾ .

قال ابن كثير : ذكروا أن هذه الآية نزلت في سنة ست ، أى عام الحديبية
حين حال المشركون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الوصول الى البيت ،
وأُنزل الله في ذلك سورة الفتح بكاملها وأنزل لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من
الهدى ، وكان سبعين بدنة وأن يحلقوا رؤوسهم وأن يتحللوا من احرامهم .
وقد كانوا اشتركوا في هديهم ذلك كل سبعة في بدنة ، وكانوا ألفا وأربعمائة
مائة وكان منزلهم بالحديبية خارج الحرم ، وقيل : بل كانوا على طرف الحرم ، فالله
أعلم ، ولهذا اختلف العلماء هل يختص الحصر بالعدو على قولين :

وقال ابن عباس : لا حصر الا حصر العدو ، فأما من أصابه مرض أو وجع فليس
عليه شيء ، وروى عن ابن عمر وطاوس والزهرى وزيد بن أسلم نحوه .

=====

(١) صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٦٠٦ ، ومسلم : الحج ، رقم
الحديث ١٢٢٧ .

(٢) (جزور) واحد الابل بعدما يذبح (شرك في دم) أى مشاركة مع غيره في
بعير أو بقرة .

(٣) صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٦٠٣ ، وصحيح مسلم : الحج
باب جواز العمرة في أشهر الحج ، رقم ١٢٤٢ .

والقول الثاني : أن الحصر أعم من أن يكون بعد أو مرض أو ضلال ، وهو التوهان عن الطريق . . أو نحو ذلك ، فروى الامام أحمد وأصحاب السنن الأربعة واللفظ لأبي داود ، حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى عن حجاج الصواف ، حدثني يحيى بن أبي كثير عن عكرمة قال : سمعت الحجاج بن عمرو الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كسر أو عرج (وفي رواية أخرى عنده : من كسر أو عرج أو مرض) فقد حل وعليه الحج من قابل .

قال عكرمة : سألت ابن عباس وأبا هريرة عن ذلك فقالا : صدق (١) .

(وقال الخطابي في شرح هذا الحديث : في هذا الحديث حجة لمن رأى الإحصار بالمرض والعذر يعرض للمحرم من غير حبس العدو ، وهو مذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي ، وقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق : لا حصر إلا حصر العدو) (٢) .

وقال ابن جرير : أي فإن أحصركم خوف عدو أو مرض أو علة عن الوصول إلى البيت أي صيركم خوفكم أو مرضكم تحضرون أنفسكم فتحبسونها عن النفوذ لما أوجبتموه على أنفسكم من عمل الحج والعمرة (فما استيسر من الهدى) (٣) .

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) : قال الامام مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول (فما استيسر من الهدى) شاة ، وقال ابن عباس : الهدى من الأزواج الثمانية ، من الابل والبقر والمعز والضأن وهو مذهب الأئمة الأربعة .

=====

(١) سنن أبي داود ١٧٣/٢ ، رقم الحديث ١٨٦٢ - ١٨٦٣ ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، سنن الترمذي : الحج رقم ٩٤٠ ، وسنن ابن ماجه : المناسك رقم الحديث ٣٠٧٧ ج ١٠٢٨/٢ ، ومسنن الامام أحمد ٤٥٠/٣ .

(٢) معالم السنن لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي المتوفي سنة ٣٨٨ هـ ١٨٨/٢ .

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ج ٢/٢١٥ .

٣ : وقوله تعالى * ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله * معطوف على قوله تعالى * وأتموا الحج والعمرة لله * لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحديبية لما حصرهم كفار قريش عن الدخول الى الحرم حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم (على الراجح) .

فأما في حال الأمن والوصول الى الحرم ، فلا يجوز الحلق (حتى يبلغ الهدى محله) ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة ان كان قارنا ، أو من فعل أحدهما ان كان مفردا أو متمتعا كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر عن حفصة رضي الله عنها زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها قالت : يارسول الله : ما شأن الناس حلوا بعمرة ولم تحلل أنت من عمرتك ؟ قال : اني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر (١) .

٤ : وقوله تعالى * فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك * .

روى البخارى عن عبد الله بن معقل قال : قعدت الى كعب بن عجرة فـي هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فسألته عن (فدية من صيام) فقال : حملت الى النبي - صلى الله عليه وسلم - والقمل يتناثر على وجهي فقال : ماكنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا ، أما تجد شاة ، قلت : لا ، قال : صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع ، من طعام واحلق رأسك ، فنزلت فـي خاصة وهي لكم عامة (٢) .

=====

(١) صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٤٩١ ، وصحيح مسلم : الحج

رقم ١٢٢٩ .

(٢) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٢٤٥ ، وصحيح مسلم : الحج

رقم الحديث ١٢٠١ .

٥ : وقوله تعالى * فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى * .

أى فاذا تمكنتم من أداء المناسك فمن كان منكم متمتعا بالعمرة الى الحج وهو يشمل من أحرم بهما أو أحرم بالعمرة أولا فلما فرغ منها أحرم بالحج ، وهذا هو التمتع الخاص وهو المعروف في كلام الفقهاء ، والتمتع العام ^{يشمل} القسامين : القران ، والتمتع الخاص كما دلت عليه الأحاديث الصحاح ، فان من الرواة من يقول : تمتع رسول الله صلى لاله عليه وسلم ، وآخر يقول : قرن ، ولا خلاف أنه ساق هديا ، وقال تعالى (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى) ، أى فليذبح ما قدر عليه من الهدى وأقله شاة وله أن يذبح البقر .

٦ : * فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة * .

يقول تعالى : فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج أى في أيام المناسك ، قال العلماء : والأولى أن يصومها قبل يوم عرفة في العشر، قاله عطاء أو من حين يحرم قاله ابن عباس وغيره لقوله تعالى (في الحج) .

وجوز الشعبي صيام يوم عرفة وقبلة يومين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والسدى وعطاء وطاوس والحكم والحسن وحماة وابراهيم وسبعة اذا رجع الى أهله(١) .

٧ : وقال البخارى : باب قول الله تعالى (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري

المسجد الحرام) ثم روى عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن متعة الحج (أى

التمتع بالعمرة الى الحج ؟ فقال : أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي

صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهلنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : اجعلوا اهللكم بالحج عمرة الا من قلده الهدى ، طفنا بالبیت وبالصفا

=====

والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال صلى الله عليه وسلم : من قلد الهدى فانه لا يحل له حتى يبلغ الهدى محله ، ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج ، فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة فقد تم حجنا وعلينا الهدى كما قال الله تعالى (فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فسي الحج وسبعة اذا رجعتم) الى أمصاركم الشاة تجزىء ، فجمعوا بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله تعالى أنزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وابعاه للناس غير أهل مكة قال الله تعالى (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) (١) .

قال ابن كثير : قال ابن جرير : اختلف أهل التأويل فيمن عني بذلك بعد اجماعهم على أن أهل الحرم معنيون به وأنه لا متعة لهم ، فقال بعضهم : عني بذلك أهل الحرم خاصة دون غيرهم (الذين يسكنون ما بين المواقيت والحرم) ومنهم ابن عباس والثوري وطاوس .

وقال آخرون : من كان أهله دون المواقيت فهو كأهل مكة لا يتمتع ، ومنهم عطاء ، واختار ابن جرير في ذلك مذهب الشافعي أنهم أهل الحرم من كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلاة لأن من كان كذلك يعد حاضرا لا مسافرا .
(واتقوا الله) فيما أمركم ونهاكم) .

(واعلموا أن الله شديد العقاب) أى لمن خالف أمره (٢) .

٨ : * الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ، ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب * (٣) .

=====

(١) صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٤٩٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٢٣٤ - ٢٣٥ . (٣) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

القراءات :

(فلا رفث ولا فسوق) قرأهما ابن كثير وأبو عمرو بالتنوين والرفع ، والباقون بالفتح من غير تنوين ، ووجه القراءة بالرفع والتنوين أن (لا) بمعنى (ليس) ، فارتفع الاسم بعدها ، ووجه القراءة بالفتح من غير تنوين أن (لا) لنفي الجنس لتدل على النفي العام ، فنفي جميع الرفث وجميع الفسوق كما تقول : لا رجل في الدار (١) .

وروى الامام البخارى عن ابن عباس قال : وأشهر الحج التي ذكر الله تعالى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، فمن تمتع فعليه دم أو صوم ، والرفث الجماع ، والفسوق المعاصي والجدال المرء (٢) .

وقال البخارى : باب قول الله تعالى (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) .

* يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج * (٣) .

وقال ابن عمر رضي الله عنه : أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : من السنة أن لا يحرم بالحج الا في أشهر الحج .

وكره عثمان رضي الله عنه أن يحرم من خراسان أو كرمان (٤) .

وقال ابن كثير : قال بعض أهل العربية في قوله (الحج أشهر معلومات) : تقديره : الحج حج أشهر معلومات فعلى هذا التقدير يكون الاحرام بالحج فيها أكمل من الاحرام فيما عداها وان كان ذاك صحيحا ، والقول بصحة الاحرام بالحج

=====

(١) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٤٩٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

(٤) صحيح البخارى : الحج ، رقم الباب ٣٢ ، ج ٢ / ٥٦٥ .

في جميع السنة مذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، واحتج لهم بقوله تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) ، وبأنه أحد النسكين فصح الاحرام به في جميع السنة كالعمرة .

وزهد الشافعي الى أنه لا يصح الاحرام بالحج الا في أشهره ، وهذا القول مروى عن ابن عباس وجابر وبه يقول عطاء وطاوس ، والدليل عليه قوله (الحج أشهر معلومات) وتقديره أن وقت الحج أشهر معلومات .

وقوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج) أى أوجب باحرامه حجا ، قال ابن جرير : أجمعوا على أن المراد من الفرض هاهنا الايجاب والالزام .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : أى من أحرم بحج أو عمرة .
وقال عطاء : الفرض : الاحرام .

(فلا رفق) أى من أحرم بالحج أو العمرة فليجتنب الرفق وهو الجماع كما قال تعالى ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفق الى نساءكم ﴾ (١) وكذلك يحرم تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك ، وكذلك التكلم به بحضرة النساء .

وقوله (ولا فسوق) قال مقسم وغير واحد عن ابن عباس هي المعاصي ، وكذا قال عطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة وغيرهم .

(ولا جدال في الحج) فيه قولان ، أحدهما : ولا مجادلة في وقت الحج في مناسكه ، وقد بينه الله تعالى أتم بيان وأوضحه أكمل ايضاح ، والقول الثاني : أن المراد بالجدال هاهنا المخاصمة ، قال ابن جرير : حدثنا عبد الحميد بن حسان حدثنا اسحاق عن شريك عن أبي اسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أن تمارى صاحبك حتى تغضبه ،

=====

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

وكذا قال ابن عباس وأبو العالية وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ،

وجابر بن زيد وعطاء الخراساني والحسن وقتادة والزهرى (١) .

وقد ثبت في صحيح البخارى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت

النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (٢) .

وعن أبي هريرة أيضا قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال

أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا قال : جهاد في سبيل الله

قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مرور (٣) .

٩ : وقوله سبحانه * وما تفعلوا من خير يعلمه الله * .

لما نهاهم عن اتيان القبيح قولاً وفعلًا حثهم على فعل الجميل وأخبرهم أنه

عالم به وسيجزئهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة .

١٠ : وقوله * وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب * .

قال الامام البخارى : باب قول الله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى)

ثم روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون

نحن المتوكلون فاذا قدموا مكة سألوا الناس فانزل الله تعالى هذه الآية (٤) .

١١ : وقال البخارى : باب * ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم * (٥) ،

ثم روى عن ابن عباس قال : كانت عكاظ ومجنة وذوا المجاز أسواقا في الجاهلية ،

فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت * ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم *

في مواسم الحج (٦) .

١١ : وقال تعالى * فاذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عندا لمشعر الحرام ،

واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض

=====

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٢٣٥ - ٢٣٨ .

(٢) صحيح البخارى : الحج : رقم الحديث ١٤٤٩ .

(٣) صحيح البخارى : الحج رقم الحديث ١٤٤٧ ، ومسلم : الايمان رقم الحديث ٨٣

(٤) صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٤٥١ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٩٨ .

(٦) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٢٤٧ .

الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم * (١) .

قال ابن كثير : انما صرف عرفات وان كان علما على مؤثث لأنه في الأصل جمع كمسلمات سمي به بقعة معينة فروعى فيه الأصل فصرف ، اختاره ابن جرير .
وعرفة موضع الوقوف في الحج وهي عمدة أفعال الحج ، ولهذا روى أهل السنن عن الثورى باسناد صحيح (واللفظ للترمذى) عن بكير بن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بعرفة فسألوه فأمر مناديا فنادى : الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج ، أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه ، وقال الترمذى : وهذا أجود حديث رواه سفيان الثورى (٢) .
فوقت الوقوف من الزوال يوم عرفة الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بعد أن صلى الظهر الى أن غربت الشمس وقال : لتأخذوا عني مناسككم وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي .
وذهب الامام أحمد الى أن وقت الوقوف من أول يوم عرفة ، واحتجوا بحديث الشعبي الذى رواه أهل السنن والامام أحمد - واللفظ له - قال : حدثنا يحيى عن اسماعيل حدثنا عامر قال : حدثني عروة بن مضر الطائي قال : جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الموقف (أى موقف المزدلفة) .
وفي رواية : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجمع أى يجمع بين صلاة المغرب والعشاء في المزدلفة فقلت : جئت يا رسول الله من جبلي طيء أكلت مطيتي وأتعبت نفسي ، والله ما تركت من جبل الا وقفت عليه هل لي من حج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أدرك معنا هذه الصلاة وأتى عرفات قبل ذلك ليلا أو نهارا تم حجه وقضى تفته (٣) .

=====

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٨ .

(٢) سنن الترمذى : الحج ، رقم الباب ٥٧ رقم الحديث ٨٨٩ ، وسنن أبي داود : المناسك ، باب من لم يدرك عرفة رقم ١٩٤٩ .

(٣) مسند الامام أحمد ٢٦١/٤ وسنن أبي داود : المناسك رقم الحديث =

١٣ : * فاذكروا الله عند المشعر الحرام * .

قال ابن كثير : والمشاعر هي المعالم الظاهرة وانما سميت المزدلفة المشعر الحرام لأنها داخل الحرم ، .

وهل الوقوف بها ركن في الحج لا يصح الا به كما ذهب اليه طائفة من السلف لحديث عروة بن مرس أو واجب كما هو أحد قولي الشافعي يجبر بدم أو مستحب لا يجب بتركه شيء ثلاثة أقوال للعلماء .

١٤ : * واذكروه كما هداكم * تنبيه لهم على ما أنعم الله به عليهم من الهداية والبيان لمشاعر الحج على ما كان عليه من الهداية ، ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أى من قبل هذا الهدى ، هداية القرآن والرسول .

١٥ : * ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم * ، ثم هاهنا لعطف خبر على خبر وترتيبه عليه كأن الله تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع الى المزدلفة ليذكر الله عند المشعر الحرام وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات كما كان جمهور الناس يصنعون يقفون بها الا قريشا ، فانهم لم يكونوا يخرجون من الحرم فيقفون في طرف الحرم عند أدنى الحل ويقولون : نحن أهل الله في بلدته وقطان بيته .

فروى البخارى بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش وممن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى * ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس * (!)

=====

= ١٩٥٠ ، وسنن الترمذى : الحج رقم الحديث ٨٩١ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(١) صحيح البخارى : التفسير ، رقم الحديث ٤٢٤٨ .

وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وغيرهم واختاره ابن جرير ، وحكى عليه
الاجماع .

١٦ : * واستغفروا الله ان الله غفور رحيم * ، كثيرا ما يأمر الله بذكره بعد قضاء
العبادات وأورد ابن مردويه هاهنا الحديث الذي رواه البخارى عن شداد بن
أوس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيد الاستغفار
أن تقول : اللهم أنت ربي لا اله الا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك
ووعدهك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك
بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت ، قال - صلى الله عليه وسلم - : ومن
قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن
قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة (١) (٢) .

١٧ : * فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم . أو أشد ذكرا ، فمن
الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة ، من خلاق ، ومنهم من يقول
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب
مما كسبوا والله سريع الحساب * (٣) .

قال ابن كثير : يأمر تعالى بذكره والاكثر منه بعد قضاء المناسك ، أى
فألهجوا بذكر الله بعد قضاء المناسك ، وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس :
كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم كان أبي يطعم ويحمل
الحملات ويحمل الديات ، ليس لهم ذكر غير أفعال آباءهم فأنزل الله على محمد
صلى الله عليه وسلم * فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا * .

=====

(١) صحيح البخارى : الدعوات ، رقم الحديث ٥٩٤٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٢٤٠ - ٢٤٣ .

(٣) سورة البقرة : الآيات ٢٠٠ - ٢٠٢ .

١٨ : وقوله سبحانه * واذكروا الله في أيام معدودات ، فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ، ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى ، واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون * (١) .

قال ابن كثير : قال ابن عباس : الأيام المعدودات أيام التشريق، والأيام المعلومات الأيام العشر ، وقال عكرمة (واذكروا الله في أيام معدودات) يعني التكبير في أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات : الله أكبر ، الله أكبر .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا لأهل الاسلام وهي أيام أكل وشرب وذكر الله (٢) .

وقال مقسم عن ابن عباس - رضي الله عنه - الأيام المعدودات أيام التشريق أربعة /، يوم النحر وثلاثة بعده وروى عن ابن عمر وابن الزبير وأبي موسى وعطاء ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك وإبراهيم النخعي ويحيى بن أبي كثير والحسن وقتادة والزهرى والربيع بن أنس ، والضحاك ومقاتل بن حبان ، وعطاء الخراساني ومالك بن أنس وغيرهم مثل ذلك ، وعليه دل ظاهر الآية حيث قال :
١٩ : * فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ، ومن تأخر فلا اثم عليه * ، فـدل على ثلاثة بعد النحر ، ويتعلق بقوله (واذكروا الله في أيام معدودات) ذكر الله على الأضاحي ، وأن الراجح في ذلك مذهب الشافعي وهو أن وقت الأضحية من يوم النحر إلى آخر أيام التشريق ، ويتعلق به أيضا الذكر المؤقت خلف الصلوات من صلاة الصبح يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق على المشهور (٣) .

=====

- (١) سورة البقرة : الآية ٢٠٣ .
(٢) مسند الامام أحمد ٤ / ١٥٢ ، عن عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم وسنن أبي داود : الصوم ، رقم الحديث ٢٤١٩ .
(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٢٤٣ - ٢٤٥ .

قال الامام مسلم : باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا ، وبيان قوله - صلى الله عليه وسلم - لتأخذوا عني مناسككم ، ثم روى عن جابر بن عبد الله قال : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يرمي على راحلته يوم النحر ويقول : لتأخذوا عني مناسككم ، فاني لأدري لعلي لأحج بعد حجتي هذه (١) .
وعن جابر - رضي الله عنه - قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة يوم النحر ضحى واما بعد فاذا زالت الشمس (٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قيل له : في الذبح والحلق والرمي والتقديم والتأخير فقال : لا حرج (متفق عليه) (٣) .
وروى البخارى مسندا عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطب الناس يسوم النحر فقال : يا أيها الناس أي يوم هذا ، قالوا : يوم حرام ، قال : فأى بلد هذا قالوا : بلد حرام ، قال : فأى شهر هذا قالوا : شهرا حرام ، قال : فان دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا فأعادها مرارا ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت .

قال ابن عباس - رضي الله عنه - فوالذى نفسي بيده انها لو صيته الى أمته ، فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض (٤) .
وفي حديث أبي بكر - رضي الله عنه - زيادة على هذا بعد قوله (في بلدكم هذا) الى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد ،

=====

- (١) صحيح مسلم : الحج ، رقم الحديث المسلسل ١٢٩٧ .
- (٢) صحيح مسلم : الحج ، رقم الحديث المسلسل ١٢٩٩ .
- (٣) صحيح مسلم : الحج ، رقم الحديث المسلسل ١٣٠٧ ، وصحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث المسلسل ١٦٣٤ .
- (٤) صحيح البخارى : الحج رقم الحديث ١٦٥٢ ، وصحيح مسلم مختصرا في كتاب الايمان رقم الحديث ٦٥ .

فليبلغ الشاهد الغائب قرب مبلغ أوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض (١) .

وقال هشام بن الغاز : أخبرني نافع عن ابن عمر رضي الله عنه : وقف النبي صلى الله عليه وسلم - يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج ، وقال : هذا يوم الحج الأكبر فطلق النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اشهد ، وودع الناس فقالوا : هذه حجة الوداع (٢) .

تكملة رحلة الحج وأحكامه في سورة الحج :
.....

قال تعالى ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا نفوسهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ (٣) .

قال ابن العربي : قوله تعالى (وأذن) معناه : اعلم ، وأن الله تعالى أمر نبيه إبراهيم أن ينادى في الناس بالحج (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) .

(وعلى كل ضامر) يعني التي انضم جنبها من الهزال حتى أكلتها الفيافي وان كان خرج منها أو ان انفصاله من بلده على بدن ، فوصفها الله بالمآل الذي انتهت عليه إلى مكة .

(يأتين) رد الضمير إلى الأبل تكرمه لها لقصدتها الحج مع أربابها .

=====

(١) صحيح البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٦٥٤ .

(٢) صحيح البخارى : الحج ، رقم الباب ١٣١ ، ج ٢ / ٦٢١ ، وذكره البخارى

في نهاية الحديث الذى رقمه ١٦٥٥ .

(٣) سورة الحج الآية : ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

(عميق) بعيد .

(ليشهدوا منافع لهم) هذه لام المقصود والفائدة التي ينساق الحديث لها .

(منافع لهم) من المناسك والمغفرة والتجارة من منافع الدنيا والآخرة .

(ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) فيه قولان :

١ = انها عشر ذى الحجة .

٢ = انها أيام التشريق .

وبالأول يقول الشافعي رحمه الله : ، وقد روى ابن القاسم عن مالك : الأيام

المعلومات أيام النحر ، وهذا القول الثاني يتأكد بقوله تعالى * على ما رزقهم

من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير * ، البائس : الذي ظهر

عليه البؤس وهو ضرر المرض أو ضرر الحاجة .

* ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذرهم وليطوفوا بالبيت العتيق * ، معني

التفث لغة : قال أبو عبيد معمر بن المثنى : انه قص الأظفار وأخذ الشارب

وكل ما يحرم على المحرم الا النكاح .

وقال قطرب : تفث الرجل اذا كثر وسخه .

وقال أمية بن أبي الصلت : وأما حقيقته الشرعية : فاذا نحر الحاج أو المعتمر

هدية وحلق رأسه وأزال وسخه وتطهر وتنقى ولبس الثياب فيقتضي تفثه .

(وليوفوا نذرهم) والنذر كل ما لزم الانسان أو التزمه - من الذبائح وغيره

من أعمال الحج من الطواف وعرفة ومزدلفة ورمي الجمار وغيرها - .

(وليطوفوا بالبيت العتيق) هذا هو طواف الزيارة وطواف الافاضة ، وهو

ركن الحج باتفاق وبه يتم الحج لأنه أحد أعماله ونهاية أركانه . (١)

=====

(١) أحكام القرآن : ١٢٧٨/٣ - ١٢٨٤ .

وقال ابن كثير : وقوله تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) قال مجاهد :
يعني الطواف الواجب يوم النحر ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا
موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن أبي حمزة قال : قال لي ابن عباس : أتقرأ
سورة الحج يقول الله تعالى ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ ، فان آخر المناسك
الطواف بالبيت العتيق : قلت : وهكذا صنع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فانه لما رجع الى منى يوم النحر بدأ يرمي الجمره ، فرماها بسبع حصيات ثم نحر
هديه وحلق رأسه ثم أفاض فطاف بالبيت .

قال الامام مسلم : باب استحباب طواف الافاضة يوم النحر ثم روى عن ابن عمر
- رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفاض يوم النحر ثم رجع
فصلى الظهر بمنى (١) .

وقال الامام مسلم : باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض : ثم
روى عن ابن عباس قال : كان الناس ينصرفون في كل وجه فقال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت (٢) .

وعن طاوس عن ابن عباس قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الا
انه خفف عن المرأة الحائض - متفق عليه - (٣) .

هذه هي فريضة الحج في هدى القرآن وهدى شارحه الرسول صلى الله عليه
وسلم الأمين ، فيجب على المسلمين أن يقوموا بهذه العبادة العظيمة لله رب
العالمين كما جاءت في كتابه القرآن ، وبينها عبده ورسوله خاتم النبي يدون ميل
أو تعصب ، لأن اتباع الكتاب والسنة اتباعا كاملا هو الصراط المستقيم صراط الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والله أعلم ، وما
توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

=====

(١) صحيح مسلم : : الحج ، رقم الحديث ١٣٠٧ .

(٢) صحيح مسلم : : الحج : رقم الحديث ١٣٢٧ .

(٣) صحيح مسلم : الحج ، رقم الحديث ١٣٢٨ ، ج ٢ / ٩٦٣ ، وصحيح

البخارى : الحج ، رقم الحديث ١٦٦٨ ، ج ٢ / ٦٢٦ .

الباب الثالث

مسؤولية المسلم نحو أعضاء أسرته في القرآن الكريم

- الفصل الأول : مسؤولية الزوج نحو زوجته .
- الفصل الثاني : مسؤولية الزوجة نحو زوجها .
- الفصل الثالث : مسؤولية الوالدين نحو الأولاد .
- الفصل الرابع : مسؤولية الأولاد نحو الوالدين .
- الفصل الخامس : مسؤولية المسلم نحو جاره .

(- مدخل الباب -)

ان الاسلام دين الفطرة والعدالة فانه قد حدد واجب كل انسان بمسؤوليته نحو الآخرين ، كما بين حقوقه على غيره ليقوم كل انسان بمسؤوليته ويأخذ حقوقه المشروعة .

ومن أهم مسؤوليات المسلم الفردية نحو العباد بايجاب رب العباد مسؤوليته نحو أعضاء أسرته من الزوجة (والعكس) ونحو الأولاد والآباء والأقرباء وخاصة ذوى الأرحام والجار .

وقد بين القرآن الكريم هذه المسؤوليات أكمل بيان وشرحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتم شرح ، فأجعل الفصل الأول في بيان مسؤولية الزوج نحو زوجته ، والثاني في مسؤولية الزوجة نحو زوجها ، والثالث : مسؤولية الوالدين نحو أولادهما ، والرابع : في مسؤولية المسلم نحو الوالدين ، والخامس : في مسؤولية المسلم نحو جاره

(- مقدمة الباب -)

(١) حاجة البشرية الى نظام الأسرة الشرعي :
.....

ان البشرية تحتاج الى نظام الأسرة الشرعي لأن الله تعالى قد خلق الناس من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها ، ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء ، وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويعيشوا مرتبطين مجتمعين متعاونين .

وتؤكد هذه الحاجة حالة المجتمعات التي هي محرومة من نظام الأسرة

الشرعي الطبيعي بحيث تعمها الهمجية والفوضى والفساد .

(٢) نظام الأسرة في الاسلام هو النظام الطبيعي الفطرى :
.....

ان نظام الأسرة في الاسلام قائم على الدواعي الفطرية والهدايات الربانية

القرآنية ، وان القرآن يهدى للتي هي أقوم ، أى لأقوم الطرق والنظم وأصلحها

وأعد لها لأنه ملحوظ فيه كل خصائص فطرة البشرية وحاجاتها ومقوماتها ، وينبثق من معين الفطرة وأصل الخلقة وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعا وللمخلوقات كافة .

وتبدو هذه الحقيقة واضحة في قوله تعالى * ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * (١) .

ثم تتدرج هذه النظرية الاسلامية للانسان فتذكر النفس الأولى التي كان منها الزوجات ثم الذرية ثم البشرية جميعا ، كما قال عز وجل * يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء * (٢) ، * يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا * (٣) .

ثم كشف القرآن الكريم عن الجاذبية الفطرية بين الجنسين لالتجمع بين مطلق الذكران ومطلق الاناث ، ولكن لتتجه تلك الفطرة الى اقامة الأسر والبيوت والمجتمع بطريقة شرعية ، قال تعالى * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * (٤) .

فالدواعي الفطرية تعمل والأسرة تلبى تلك الدواعي الفطرية العميقة فسي أصل الكون وفي بنية الانسان ، ومن ثم كان نظام الأسرة في الاسلام هو النظام الطبيعي الفطرى .

(٣) أهمية الأسرة :

.....

وإذا كان بناء الأسرة وتنظيمها أمرا فطريا فانها لبنة أولى من لبنات المجتمع والأمة ، فكلما كانت اللبنة قوية ذات تماسك ومناعة كانت الأمة قوية ، ومن هنا كانت

=====

(١) سورة الذاريات : الآية ٤٩ . (٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٣ . (٤) سورة الروم : الآية ٢١ .

العناية بتقوية الأسرة ورعايتها واصلاحها من أهم ما يجب على المسلمين فرادى وجماعات ، ولا يكون ذلك الا أن تتأسس الأسرة على المبادئ الفطرية الربانية التي بينها القرآن وشرحها الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

(٤) . الحاجة الى الزواج :

.....

ان الزواج أساس بناء الأسرة ، ومقتضى الفطرة لأنه تنظيم للخريزة الفطرية التي أودعت في الانسان كما أودعت في غيره من الحيوان .

ولولا الزواج لتساوى الانسان مع غيره من الحيوان في سبيل تلبية هذه الفطرة عن طريق الفوضى وعندئذ لا يبقى الانسان ذلك المخلوق المكرم الذي أنعم الله عليه بنعمة العقل وجعله مكلفاً مسؤولاً ، ثم هياً له مبادئ الروابط السامية التي يرتفع بها عن حضيض الحيوانية البحتة ، ليعبد ربه وحده مطمئناً ، ويقوم بمهمته وهي الخلافة في الأرض باقامة شرع الله في أرضه ، والحكم بالعدل بين الناس ، وتدبير المصالح وعمارة الكون بالخير .

هذا وان الانسان مطبوع على حب البقاء وان السبيل اليه هو النسل ، فلهذا كان تنظيم الفطرة البشرية وبناء الأسرة عن طريق الزواج أمراً لا بد منه ، وقد بين الله تعالى هذه الفطرة قائلاً * والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات * (١) .

كما ان الزواج والعيش في محيط الأسرة تدريب للانسان على القيام بالمسؤوليات لأنه مخلوق مكرم ومكلف مسؤول ، وبالزواج توجد له بيئة تحضيرية وتدريبية ، فهو مربوط بها ومنها عليه مسؤولية وله عليها قوامة ، لا يستطيع بمقتضى ذلك الرباط الروحي وتلك القوامة أن يتحلل منها ، ففي جو هذه البيئة الأسرية يتلقى عملياً الدروس النافعة في تربية نفسه وتقويتها على تحمل المسؤوليات التي تجب عليه نحو ربه واخوانه ودينه وأمته .

=====

(١) سورة النحل : الآية ٧٢ .

(٥) حث الاسلام على الزواج :

.....

فتلبية لهذه الدواعي الفطرية وتلك الحاجات البشرية رغب الاسلام في الزواج وحث عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجعله من أهم سننه العظيمة فقال تعالى * وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وأماءكم ، ان يكونوا فقراء يفنهم الله من فضله ، والله واسع عليم * (١) .

قال القاضي البيضاوي : لما نهى الله عما عسى أن يفضي الى السفاح المخل بالنسب الذي يقتضي للألفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع عقبه بأمر النكاح الحافظ له (٢) .

وقال ابن كثير : اشتملت هذه الآيات من الأحكام المحكمة فقله () وأنكحوا الأيامى منكم) الى آخره هذا أمر بالتزويج وقد ذهب طائفة من العلماء الى وجوبه على كل من قدر عليه ، واحتجوا بظاهر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء (٣) .

وقد جاء في السنن من غير وجه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : تزوجوا الودود الولود فاني مباح بكم الأمم يوم القيامة (٤) .

والأيامى : جمع أيم ، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحد منهما ، حكاه الجوهرى عن أهل اللغة (٥) .

=====

- (١) سورة النور : الآية ٣٢ .
- (٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : تفسير البيضاوي ٧٨ / ٤ .
- (٣) صحيح البخارى النكاح ، رقم الحديث ٤٧٧٨ ، من حديث ابن مسعود ، وصحيح مسلم : النكاح ، رقم الحديث ١٤٠٠ .
- (٤) سنن أبي داود : النكاح ، رقم الحديث ٢٠٥٠ .
- (٥) تفسير ابن كثير ٢٨٦ / ٣ .

وقال الامام البخارى : باب الترغيب في النكاح لقوله تعالى * فانكحوا

ما طاب لكم من النساء * (١) ، ثم روى عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن

عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأيمن

نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ،

قال أحدهم : اما انا فاني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر

ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتُم كذا وكذا ؟ أما والله اني لأخشاكم لله تعالى

وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن

سنتي فليس مني (٢) .

وروى البخارى عن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نغزو مع النبي صلى الله

عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا : يا رسول الله ألا نستخصي فنهانا عن ذلك (٣) .

وفي رواية عنده عنه ، ثم قرأ علينا * يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات

ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين * (٤) (٥) .

(٦) مراحل تأسيس الأسرة :

.....

ان تأسيس الأسرة بالزواج الشرعي يقوم على الميل الفطرى النزيه والرغبة

الصادقة والثقة المتبادلة بالتعاقد السليم والميثاق الخليط الشرعي الذى جعل

الله به الترابط القوى الدائم بين الزوجين ، ليسكن كل منهما الى صاحبه ، ويوجد

بينهما المودة والتعاطف والتعاون في مجالات الحياة الهنيئة ، ويتم هذا التأسيس

=====

(١) سورة النساء : الآية ٣ .

(٢) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٧٧٦ ، وأخرجه مسلم في النكاح

رقم الحديث ١٤٠١ .

(٣) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٧٨٤ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٨٧ .

(٥) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٧٨٧ .

لبناء الأسرة في ثلاثة مراحل :

١ = الاختيار .

٢ = الخطبة .

٣ = العقد .

المرحلة الأولى هي مرحلة الاختيار والاقتناع في الدين والخلق والخلق ، فقد حض الاسلام على اختيار الزوجة لتحقيق رغبات الزوج في شريكة حياته فيكون أدعى الى حسن المعاشرة ودوام العلاقة وتحقيق السعادة ، وكذلك للزوجة حق الاختيار والاقتناع بصفات الزوج الذي يريد ها .

قال الامام البخارى : باب الى من يتكح وأى النساء خير وما يستحب/لنطفه أن يتخير من غير ايجاب ، ثم روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : خير نساء ركين الابل صالح نساء قريش احناه على ولده في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده (١) .

وقال الحافظ ابن حجر قوله (وأرعاه على زوج) أى أحفظ وأصون لماله بالامانة فيه والصيانة له وترك التبذير في الانفاق .

وفي الحديث الحث على نكاح الأشراف خصوصا على القرشيات ومقتضاه انه كلما كان نسبها أعلى تأكد الاستحباب ويؤخذ منه اعتبار الكفاءة في النسب ، وفضل الحنو والشفقة وحسن التربية والقيام على الأولاد وحفظ مال الزوج وحسن التدبير فيه (٢) .

وقال البخارى : باب الاكفاء في الدين وقوله تعالى * وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا * (٣) .

=====

(١) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٧٩٤ .

(٢) فتح البارى : ١٢٥ / ٩ .

(٣) سورة الفرقان : الآية ٥٤ .

ثم روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
تنكح المرأة لأربع ، لجمالها ولحسبها ولدينها ولجمالها ، ولدينها فاظفر بذات
الدين تربت يداك (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ا لدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا
المرأة الصالحة (٢) .

وقد رغب الاسلام في اختيار الصالحة المتدينة لأن المؤمنات الصالحات اللاتي
يقمن بواجباتهن نحو ربهن عز وجل خير قيام ، فهن مطيعات لأزواجهن كما قال
تعالى ﴿ فالصالحات قانتات ﴾ أي مطيعات ﴿ حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ (٣)
لأن الدين يهذب طباعها ويحملها على التحلي بالفضائل والقيام بالواجبات والسلوك
الحسن والعشرة الصالحة ، ويدعو الى التواضع والحلم والصبر على المشاق واحتمال
بعض المصائب ، فتكون المتدينة طيبة مرضية ، مراعية حقوق الزوج ، وقائمة
بمسئولياتها نحوه ونحو الأولاد والبيت والأمة .

وليس المراد بهذا الترغيب في اختيار الصالحة الاقتصار على الدين فقط ،
بل المراد أنه يجب أن يكون الدين في طبيعة الأسباب المرجحة والرغبات الشائقة
الى زواجها .

وهذا الترغيب ليس فقط في المرأة الصالحة ، بل في الرجل الصالح المتدين

أيضا .

=====

(١) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٠٢ ، ج ٢ / ١٩٥٨ ، وأخرجه

مسلم في الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين ، رقم ١٤٦٦ .

(٢) صحيح مسلم : الرضاع ، رقم الحديث ١٤٦٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ٣٤ .

قال الترمذى : باب ما جاء اذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه ، ثم روى

بسنده عن أبي حاتم المزني قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذا

جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد .

قال الترمذى : هذا حديث حسن (١) .

هذا وقد أجاز الاسلام لاختيار الزوجة النظر الى المرأة ، فقال الامام

البخارى : باب النظر الى المرأة قبل التزويج ، ثم روى عن عائشة - رضي الله

عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيتك في المنام يجيىء بك الملك

في سرقة من حرير فقال لي : هذه امرأتك فكشفت عن وجهك الثوب فاذا هي

أنت ، فقلت : ان يك هذا من عند الله يمضه (٢) .

وعن سهل بن سعد أن امرأة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

يا رسول الله : جئت لأهب لك نفسي ، فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فصعد النظر اليها وصوبه ثم طأطأ رأسه . . الحديث (٣) .

وقال الامام مسلم : باب ندب النظر الى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها ،

ثم روى عن أبي هريرة قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل

فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظرت

اليها قال : لا ، قال : فاذهب . فانظر اليها فان في أعين الأنصار شيئاً (٤)

وقال الترمذى : باب ما جاء في النظر الى المخطوبة ، ثم روى بسنده عن

المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انظر اليها

فانه أحرى أن يؤدم بينكما .

=====

(١) سنن الترمذى : النكاح ، رقم الحديث ١٠٨٥ ، ج ٣ / ٣٩٥ .

(٢) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٣٢ ، ج ٢ / ١٩٦٩ .

(٣) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٣٣ .

(٤) صحيح مسلم : النكاح ، رقم الحديث ١٤٢٤ .

قال الترمذى : هذا حديث حسن ، وقد ذهب أهل العلم الى هذا الحديث وقالوا : لا بأس أن ينظر اليها ما لم يرم منها محرما ، وهو قول أحمد ، واسحاق ، ومعنى قوله (أخرى أن يؤدم بينكما) قال : أخرى أن تدوم المودة بينكما (١) .

وينبغي أن يكون النظر اليها للاطلاع على صفاتها الجسمية الظاهرة بعد العلم بأوصافها المعنوية ومعرفة دينها وأخلاقها ، وبعد العزم على التزوج بها وقبل الخطبة ، وللزوجة أيضا الحق المطلق في الاختيار .
المرحلة الثانية : مرحلة الخطبة :

تجيب^٦ مرحلة الخطبة بعد اختيار المرأة والاقتناع بها دينا وخلقا وخلقا للبحث عن رضاها ورضا وليها ، .

قال الامام البخارى : باب لا يتكح الأب وغيره البكر والثيب الا برضاها ، ثم روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : لا تتكح الأيم حتى تستأمر ولا تتكح البكر حتى تستأذن قالوا يارسول الله : وكيف اذنها ؟ قال : أن تسكت (٢) .

وقال البخارى : اذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحها مردود ، ثم روى عن خنساء بنت خدام الأنصارية أن أباها زوجها وهي شيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحه (٣) .

وقال البخارى : باب من قال : لانكاح الا بولي لقوله تعالى * فلا

تعضلوهن * (٤) فدخل فيه الثيب وكذلك البكر ، وقال * ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا * (٥) ، * وأنكحوا الأيامى منكم * (٦) (٧) .

=====

(١) سنن الترمذى : النكاح ، رقم الحديث ١٠٨٧ .

(٢) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٤٣ ، وصحيح مسلم : ١٤١٩ .

(٣) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٤٥ .

(٤) جزء من الآية رقم ٢٣٢ في سورة البقرة .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٢١ .

(٦) سورة النور : الآية ٣٢ .

(٧) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الباب ٣٧ ، ج ٥ / ١٩٧٠ .

وقال أبو داود : باب في الولي ، ثم روى عن الزهري عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيما امرأة نكحت بغير إذن موليتها فنكاحها باطل ثلاث مرات ، فان دخل بها فالمهر لها بما أصاب منها ، فان تشاجروا فالسلطان ولي من لا ولي له (١) .

وقال البخاري : باب : لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع ، ثم روى عن نافع حدث أن ابن عمر رضي الله عنه كان يقول : نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يبيع بعضكم على بيع بعض ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب (٢) .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة العقد الشرعي :

فبعد الاختيار والافتناع والخطبة والعلم برضاها ورضا وليها ، تجبى مرحلة العقد الشرعي بالإيجاب والقبول أمام شاهدين عدلين بالمهر المناسب حسب الظروف والاستطاعة ، وهذا العقد برضا الطرفين أخذ ميثاق غليظ من الزوج ، ومعاهدة تعاون ومودة ورحمة بينهما في عيش مشترك وارتباط وثيق في حياة دائمة لأجل السعادة في الدارين ، وبهذا العقد والتعاهد أصبح كل واحد منهما مسؤولاً عن حقوق الآخر .

هذا وقد اهتم القرآن الكريم بشؤون المرأة وحقوقها على الرجل ومسؤولياتها في أكثر من تسع سور منها سورتان عرفت احدهما بسورة النساء الكبرى ، والثانية بسورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق ، ومن غيرهما سورة البقرة والمائدة والنور والأحزاب والمجادلة والممتحنة والتحريم ، وقد دلت هذه العناية على المكانة التي توضع فيها المرأة في نظر الاسلام ، فانها مكانة لم تحظ المرأة بمثلها في

=====

(١) سنن أبي داود : النكاح ، رقم الحديث ٢٠٨٣ ، ج ٢ / ٢٢٩ .

(٢) صحيح البخاري : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٤٨ ، وأخرجه مسلم في النكاح

رقم الحديث ١٤١٢ .

شرع سماوى سابق ولا في أى مجتمع انساني .

فان الاسلام قد منح المرأة كل خير ، وحفظها من كل شر ، وقد علمت
المرأة المسلمة الصالحة وستعلم الغربية والمستغربة متى تابت الى رشدها أنه لا منقذ
لها ولا حافظ لكرامتها وحقوقها الا الاسلام .

وفي الفصل الأول ترون صورة جميلة رسمها القرآن الكريم لمكانة المرأة وشرفها
وحقوقها وشؤونها ومسؤولية الرجل نحوها .

وفي الفصل الثاني لمسؤولية المرأة نحو الزوج والأولاد والبيت .

وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب ،،،

الفصل الأول

مسؤولية الزوج نحو زوجته

(١) حقوق الزوجات بالاجمال :

ان مسؤوليات الزوج نحو زوجته عبسارة عن حقوق الزوجة الواجبة على زوجها
ومن أهم الآيات التي تبين حقوق الزوجات على الأزواج بالاجاز قوله تعالى * ولهن
مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم * (١) .
قال أبو بكر الجصاص : باب حق الزوج على المرأة ، وحق المرأة على الزوج ،
قال تعالى * ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، والله
عزيز حكيم * .

أخبر الله تعالى في هذه الآية أن لكل واحد من الزوجين على صاحبه حقا
وان الزوج مختص بحق له عليها ، ولم يبين فيها مالكل واحد منهما على صاحبه
من الحق مفسرا وقد بينه في غيرها وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - فمما
بينه الله تعالى من حق المرأة الزوج قوله تعالى * وعاشروهن بالمعروف * (٢) وقوله
* فامسك بمعروف أو تسريح باحسان * (٣) .

وقال تعالى * الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض
وبما أنفقوا من أموالهم * (٤) .

وكانت هذه النفقة من حقوقها عليه ، وقال تعالى * وآتوا النساء صدقاتهن
نحلة * (٥) فجعل من حقها عليه أن يوفيهما صداقها ، وقال تعالى * وان أردتم
استبدال زوج مكان زوج وآتيتن احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا * (٦) .
فجعل من حقها عليه أن لا يأخذ مما أعطاهها شيئا اذا أراد فراقها ، وكان
النشوز من قبله وقال تعالى * ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة * (٧) .

=====

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ . | (٢) سورة النساء : الآية ١٩ . |
| (٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ . | (٤) سورة النساء : الآية ٣٤ . |
| (٥) سورة النساء : الآية ٤ . | (٦) سورة النساء : الآية ٢٠ . |
| (٧) سورة النساء : الآية ١٢٩ . | |

فجعل من حقها عليه ترك اظهار الميل الى غيرها ، وقد دل ذلك أن من
حقها القسم بينها وبين سائر نساءه ، وقال تعالى * ولا تعضلوهن أن ينكحن
أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف * (١) .

اذا كان الخطاب للزوج فهو يدل على أن من حقها اذا لم يمل اليها أن
لا يعضلها عن غيره بترك طلاقها ، فهذه كلها من حقوق المرأة على الزوج .

٢- مماثلة الحقوق بين الزوجين :

قال تعالى * ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن
درجة * (٢) ، قال ابن كثير : أى ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال
عليهن فليؤد كل واحد منهما الى الآخر ما يجب عليه بالمعروف ، كما ثبت في صحيح
مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته فسي
حجة الوداع : فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن
تضلوا بعده ان اعتمتم به كتاب الله (٣) .

وفي حديث بهز بن حكيم عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال : قلت
يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ ، قال : أن تطعمها
اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فسي
البيت (٤) .

وقال وكيع عن بشير بن سليمان عن عكرمة عن ابن عباس قال : اني لأحب أن
أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي المرأة لأن الله تعالى يقول * ولهن مثل الذى
عليهن بالمعروف * .

=====

- (١) سورة البقرة : الآية ٢٣٢ . (٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .
(٣) صحيح مسلم : الحج ، رقم الحديث ١٢١٨ ، ج ٢ / ٨٨٩ .
(٤) أخرجه أبو داود : سنن أبي داود ، النكاح : رقم الحديث ٢١٤٢ ،
ومسند الامام أحمد ٤ / ٤٤٦ ، وسنن ابن ماجه : رقم الحديث ١٨٥٠ .

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، .

وقوله * وللرجال عليهن درجة * أي في الفضيلة والخلق والخلق والمنزلة
وطاعة الأمر والانفاق والقيام بالمصالح كما قال تعالى * الرجال قوامون على النساء
بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم * (١) (٢) .

وروى الامام مسلم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله : ان أحق الشرط
أن يوفى به ما استحللتم به الفروج (٣) .

وقال الامام البخارى : باب : لزوجك عليك حق ، ثم روى عن عبد الله بن
عمرو بن العاص قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا عبد الله ألم
أخبر انك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ ، قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل
صم وأ فطر ، وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينيك عليك حقا ، وان
لزوجك عليك حقا (٤) .

وقال البخارى : باب الوصاة بالنساء ، ثم روى عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ، واستوصوا بالنساء خيرا ،
فانهن خلقن من ضلع ، وان اعوج شيء في الضلع اعلاه فان ذهب تقيمه كسرتة ،
وان تركته . لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء خيرا (٥) .

فهذه الآية الجليلة وهذه الأحاديث العظيمة تبين مدى اهتمام الاسلام
بحقوق النساء الواجبة على أزواجهن ، مثل ما يجب منها لهم عليهن من
الحقوق اللازمة بالمعروف ، فكل من النفقة والكسوة والمسكن والمعاشرة والوطء وغيرها
من الحقوق يجب عليه بالمعروف .

=====

(١) سورة النساء : الآية ٣٤ . (٢) تفسير ابن كثير ١ / ٢٧١ .

(٣) صحيح مسلم : النكاح ، رقم الحديث ٦٤١٨ .

(٤) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٩٠٣ ، وأخرجه مسلم في الصيام

مفصلا رقم ١١٥٩ .

(٥) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٩٠ .

* وللرجال عليهن درجة * وهي حق القوامة والرياسة ، وقال : السيد رشيد رضا في تفسير هذه الآية (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) هذه كلمة جليلة جدا ، جمعت على ايجازها مالا يؤدي بالتفصيل الا في سفر كبير ، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق الا أمرا واحدا عبر عنه بقوله (وللرجال عليهن درجة) .

وقد أحال في معرفة ما لهن وما عليهن على المعروف بين النساء في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهم وما يجري عليه عرف الناس ، فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال ، فاذا هو بمطالبتها بأمر من الأمور انه يجب عليه مثله بازاءه .

وليس المراد بالمثل ، المثل بأعيان الأشياء وانما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة وانهما أكفاء (١) فهما متماثلان في الحقوق والأعمال كما انهما متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل ، أي أن كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه وقلب يحب ما يلائمه ويسره ، ويكره ما يلائمه وينفر منه فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويتخذة عبدا يستذله ويستخذه في مصالحه ، ولا سيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة الا باحترام كل من الزوجين الآخر ، والقيام بحقوقه وهذه الدرجة التي رفع الاسلام النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل اليها أمة من الأمم قبل الاسلام ولا بعده وهذه الأمم الأوربية التي بالغت في تكريم النساء لاتزال دون هذه الدرجة التي رفع الاسلام النساء اليها ، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون اذن زوجها وغير ذلك من الحقوق التي منحها اياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف .

=====

(١) قال صاحب القاموس المحيط : هذا كفاؤه وكفيته وكفؤه ، مثله ج أكفاء وكفاء

(القاموس المحيط المرتب ج ٤ / ٦٢) .

وقد كان النساء في أوروبا منذ خمسين سنة بمنزلة الأرقاء في كل شيء كما كن في عهد الجاهلية عند العرب وأسوأ حالا .

إذا كان قد جعل للنساء على الرجال مثل ما لهم عليهن الا ما ميزهم به من الرياسة فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة أن يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن ويجعل لهن في النفوس احتراماً يعين على القيام بحقوقهن .
خاطب الله تعالى النساء بالايمان والمعرفة والأعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما خاطب الرجال وجعل لهن عليهم مثل ما جعله لهم عليهن ، وقرن أسماءهن بأسماءهم في آيات كثيرة ، وباع النبي - صلى الله عليه وسلم - المؤمنات كما بايع المؤمنين وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة ، كما أمرهم وأجمعت الأمة على ما مضى به الكتاب والسنة من أنهن مجزيات على أعمالهن في الدنيا والآخرة ، أفيجوز بعد هذا كله أن يحرم من العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولأولادهن ولذى القربى وللأمة .

والآية تدل على اعتبار العرف في حقوق كل من الزوجين على الآخر ما لم يحل العرف حراماً أو يحرم حلالاً مما عرف بالنص ، والعرف يختلف باختلاف الناس والأزمنة ، ولكن أكثر فقهاء المذاهب المعروفة يقولون أن حق الرجل على المرأة أن لاتمنعه من نفسها بغير عذر شرعي وحقها عليه النفقة والسكنى . . . الخ ، وقالوا لا يلزمها عجن ولا خبز ولا طبخ ولا غير ذلك من مصالح بيته أو ماله أو ملكه .
والأقرب الى هداية الآية ما قاله بعض المحدثين والحنابلة قال في حاشية المقنع بعد ذكر القول بأنه لا يجب عليها ما ذكر :

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : والجوزجاني : عليها ذلك واحتجا بقضية علي وفاطمة - رضي الله عنهما - فان النبي - صلى الله عليه وسلم - قضى على ابنته بخدمة البيت وعلى علي ما كان خارجاً من البيت من عمل ، رواه الجوزجاني من طرق .

وأما قوله (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب على المرأة شيئاً وعلى الرجل أشياء ، ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى * الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم * (١) .

فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ، ولا بد لكل اجتماع من رئيس ، لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور ، ولا تقوم مصالحهم الا اذا كان لهم رئيس يرجع الى رأيه في الخلاف ، لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام ، والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وحاله ، ومن ثم كان هو المطالب شرعاً بحماية المرأة والنفقة عليها ، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف ، فان نشزت عن طاعته كان له تأديبها بالوعظ . والهجر والضرب غير المبرح إن تعين تأديبها ، ويجوز ذلك لرئيس البيت لأجل مصلحة العشيرة وحسن العشرة ، كما يجوز مثله لقائد الجيش ولرئيس الأمة لأجل مصلحة الجماعة .

وأما الاعتداء على النساء لأجل التحكم أو التشفي أو شفاء الغيظ فهو من الظلم الذي لا يجوز بحال ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : كلكم راع وكلكم مسؤول فالإمام راع وهو مسؤول ، والرجل راع على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول (٢) (٣) .

وقال ابن حجر : والراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما أوتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه .

=====

(١) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٢) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٩٢ و صحيح مسلم ، الامارة ،

(٣) تفسير المنار : ٢ / ٣٧٥ - ٣٨٠ . رقم الحديث : ١٨٢٩ .

وقال الخطابي : ورعاية الرجل أهله سياسته لأمرهم وايصالهم حقوقهم (١) .

(٣) وجوب النفقة والكسوة والسكنى على الزوج لزوجته بالمعروف :

.....

قال تعالى * الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض

وبما أنفقوا من أموالهم * (٢) ، * وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف * (٣)

وقال الجصاص : هذا يقتضي وجوب النفقة والكسوة لها في حال الزوجية لشمول

الآية لسائر الوالدات من الزوجات والمطلقات ، وقوله (بالمعروف) يدل على أن

الواجب من النفقة والكسوة هو على قدر حال الرجل في اعساره وبساره (٤) .

قال الامام البخارى : باب وجوب النفقة على الأهل والعيال ، ثم روى عن

أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : أفضل الصدقة

ما ترك غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، تقول المرأة اما

أن تطعمني واما أن تطلقني ، ويقول العبد أطعمني واستعملني ، ويقول الابن

أطعمني الى من تدعني (٥) .

وقال البخارى : باب نفقة المرأة اذا غاب عنها زوجها ونفقة الولد ، ثم روى

عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت هند بنت عتبة فقالت : يا رسول الله : ان

أبا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج أن أطعم من الذي له عيالنا ؟ قال : لا الا

بالمعروف (٦) .

=====

(١) فتح البارى : ١١٣ / ١٣ . (٢) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

(٤) أحكام القرآن : لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص المتوفي سنة ٣٧٠ هـ

ج ١ / ٤٠٤ .

(٥) صحيح البخارى : النفقات ، رقم الحديث ٥٠٤٠ ، وأخرجه مسلم الى قوله

(وابدأ بمن تعول) في الزكاة ، رقم الحديث ١٠٣٤ ، ج ٢ / ٧١٧ .

(٦) صحيح البخارى : النفقات ، رقم الحديث ٥٠٤٤ .

وفي رواية عنده عنها قالت همد أم معاوية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -
ان أبا سفيان رجل شحيح فهل علي جناح أن آخذ من ماله سرا ؟ قال : خذى
أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف (١) .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - في خطبة حجة الوداع : ولهن عليكم
رزقهن وكسوتهن بالمعروف (٢) .

(٤) انقاذ الاسلام المرأة من مظالم الجاهلية واعطائه اياها حقوقها المشروعة :
.....

وقال تعالى * يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا
تعزلوهن لتذهبوا ببعض ما آتیتموهن الا أن یأتین بفاحشة مبينة ، وعاشروهن
بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ،
وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتیتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ،
أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن
منكم ميثاقا غليظا * (٣) .

ان المرأة قبل الاسلام كانت مظلومة بشتى أنواع المظالم ، فجاء الاسلام
رحمة للعالمين فأنقذ المرأة من تلك المظالم الاجتماعية ، وأكرمها وأعطاه حقوقها
المشروعة ، وقد أشار القرآن الكريم الى بعض تلك المظالم في هذه الآيات الكريمة ،
فكانوا في الجاهلية اذ امات أحد هم عن زوجته رأى قريبه كأخيه وابن عمه ونحوهما
أنه أحق بزوجه من كل أحد ، وحماها عن غيره أحبت تلك المرأة أو كرهت ، فان
أحبها تزوجها على صداق يحبه دونها ، وان لم يرضها فلا يزوجه الا من يختاره
هو ، وربما امتنع من تزويجها حتى تبذل له شيئا من ميراث قريبه أو من صداقها .

=====

(١) صحيح البخارى : البيوع ، رقم الحديث ٢٠٩٧ .

(٢) صحيح مسلم : الحج ، رقم الحديث ١٢١٨ من حديث جابر بن عبد الله .

(٣) سورة النساء : الآية ١٩ - ٢١ .

وكان الرجل أيضا يعضل زوجته التي يكون يكرهها ليأخذ بعض ماآتاها فنهي الله المؤمنين عن جميع هذه الأحوال الاحالتين اذا رضيت نكاح قريب زوجها الأول أو أوتت بفاحشة مبينة كالزنا ، والكلام الفاحش ، وأذيتها لزوجها ، فانه في هذه الحال يجوز له أن يعضلها عقوبة لها على فعلها لتفتدى منه اذا كان عضلا بالعدل .

قال ابن كثير : روى البخارى في تفسيرها عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانوا اذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شأوا زوجها وان شأوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية : * يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها * (١) .

ثم ذكر ابن كثير عدة أقوال في أوجه مظالم أهل الجاهلية مع النساء وخاصة مع المتوفي عنها زوجها ، والبنات اليتيمات ثم قال :

فلاية تعم ماكان يفعله أهل الجاهلية ، وقوله (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن) أى لا تضاروهن في العشرة لترك ماأصدقتهن أو بعضه أو حقا من حقا عليك أو شيئا من ذلك على وجه القهر لها والاضرار .

(الا أن يأتين بفاحشة مبينة) ، قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصرى ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة . . . يعني بذلك الزنا ، وقال ابن عباس وعكرمة : الفاحشة المبينة : النشوز والعصيان ، واختار ابن جرير أنه يعم ذلك كله الزنا والعصيان والنشوز وبذاعة اللسان وغير ذلك ، وهذا جيد والله أعلم .

(وعاشروهن بالمعروف) طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم ، وهياتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله .

=====

(١) صحيح البخارى : التفسير : رقم الحديث ٤٣٠٣ .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيركم خيركم لأهله ، وأنا خير لأهلي (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنساءهم خلقا (٢) .

وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقة ، ويضاحك نساءه حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - يتودد اليها بذلك .

قالت : سابقني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسبقته ، وذلك قبل أن أحمل اللحم ، ثم سابقته بعدما حملت اللحم فسبقني ، فقال : هذه بتلك (٣) .
ويجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبنيها عندها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيأكل معهم العشاء في بعض الأحيان ثم تنصرف كل واحدة الى منزلها وكان ينام مع المرأة من نساءه في شعار واحد ، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالازار وكان اذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام ويؤانسهم - صلى الله عليه وسلم - بذلك ، وقد قال تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ (٤) .

﴿ فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ ،
أى فعسى أن يكون صبركم في امساكنهن مع الكراهة فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية : هو أن يعطف عليها فيرزق منها ولدا ويكون في ذلك الولد خير كثير .

=====

- (١) سنن ابن ماجه : النكاح ، رقم الحديث ١٩٧٧ .
- (٢) سنن الترمذى : الرضاع ، رقم الحديث ١١٦٢ .
- (٣) سنن أبي داود : الجهاد ، رقم الحديث ٢٥٧٨ ، ج ٣ / ٢٩ .
- (٤) سورة الأحزاب : الآية ٢١ .

وفي الحديث الصحيح : لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضي منها
آخر (١) .

* وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتن احداهن قنطارا فلا تأخذوا
منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وانما مينا * .
أى اذا أراد أحدكم أن يفارق امرأة ويستبدل مكانها غيرها فلا يأخذ
مما كان أصدق الأولى شيئا ولو كان قنطارا من مال (وهو المال الجزيل الكثير) ،
وفي هذه الآية دلالة على جواز الإصداق بالمال الجزيل وقد كان عمر بن الخطاب
نهى عن كثرة الإصداق ثم رجع عن ذلك (٢) .

٥ (وجوب أداء المهر كاملا الى الزوجة والنهي عن أكله الا باذنها راضية :
.....

ولما كان كثير من الناس يظلمون النساء ويهضمون حقوقهن خصوصا مهورهن ،
فأمر الله تعالى بدفعها كاملة اليهن ، ونهى عن أكلها بدون اذنهن ، قال تعالى
* وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا
مرثيا * (٣) .

قال ابن كثير : قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : النحلة ، المهر ،
وقال محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عروة عن عائشة نحلة : فريضة ، وهكذا قال
مقاتل وقتادة .

ومضمون كلامهم أن الرجل يجب عليه دفع الصداق الى المرأة حتما ، وان يكون
طيب النفس كما يمنح المنيحة ويعطي النحلة طيبا بها ، فان طابت هي له به بعد
تسميته أو عن شيء منه فليأكله حلالا طيبا (٤) .

=====

(١) ، صحيح مسلم : الرضاع ، رقم الحديث ١٤٦٩ ، ومعنى : لا يفرك أى لا يبغض
والفرك : البغض .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٤٦٥ - ٤٦٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ٤ .

(٤) تفسير ابن كثير : ١ / ٤٥١ .

وقال البخارى : باب قول الله تعالى * وآتوا النساء صدقاتهن نحلة * ،
وكثرة المهر وأدنى ما يجوز من الصداق وقوله تعالى * وآتيتن أحداهن قنطارا فلا
تأخذوا منه شيئا * .

وقال سهل بن سعد الساعدي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولو
خاتما من حديد .

ثم روى عن أنس رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة على
وزن نواة (من ذهب) فرأى النبي صلى الله عليه وسلم بشاشة العرس فسأله فقال :
اني تزوجت امرأة على وزن نواة (١) .

وقال البخارى : باب التزويج على القرآن وبغير صداق ، ثم روى حديث
سهل بن سعد الساعدي الذي جاء فيه ذكر امرأة وهبت نفسها لرسول الله صلى
الله عليه وسلم واذا سكت النبي - صلى الله عليه وسلم - قام رجل فقال : أنكحنيها
قال : هل عندك من شيء ، قال : لا ، قال اذهب فاطلب ولو خاتما من حديد ،
فذهب فطلب ثم جاء فقال : ما وجدت شيئا ولا خاتما من حديد ، فقال : هل معك
من القرآن شيء ، قال : معي سورة كذا وسورة كذا ، قال : اذهب فقد أنكحتها
بما معك من القرآن (٢) .

(٦) وجوب العدل بين الزوجات بقدر الاستطاعة :

ان الاسلام قد رخص تعدد الزوجات الى أربعة (٣) عند الضرورة ولمن
يحتاج اليه ، قال تعالى * فانكحوا ما طاب لكم من النساء مشئني

=====

(١) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٥٣ ، ج ٥ / ١٩٧٧ .

(٢) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٥٤ .

(٣) جاء الاسلام فلم ينشئ تعدد الزوجات ولم يوجبه ، ولكن أباحه وفضل
عليه الاكتفاء بواحدة كما انه فضل التعدد على تعطيل الزواج في مقصده
الطبيعي والشرعي ، بقبول العقم والتعرض للغواية معا على كثير من =

وثلاث ورباع * (سورة النساء : الآية ٣) .

ولكن هذا الجواز مقيد بشرط تحقيق العدل بينهما ، والا يجب أن يكتفى
بواحدة * فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة * ، فعلى الأزواج أن يحققوا بين نساءهم
العدل بقدر الاستطاعة ، ولا يميلوا الى احداهن كل الميل حتى يتركوا غيرها
كأنها معلقة .

فقال تعالى * ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا
كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان عفورا رحيمًا * (١) .
قال الامام البخارى : باب العدل بين النساء * ولن تستطيعوا أن تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وكان الله
واسعا حكيمًا * (٢) (٣) .

=====

= النساء عند اختلال النسبة العددية بين الجنسين . (العقاد في كتابه :

المرأة في القرآن ص ٧٦) .

وقال الدكتور مصطفى السباعي : أما الضرورات الاجتماعية التي تلجىء الى
التعدد فهي كثيرة ومن أهمها حالتان :

١ = عند زيادة النساء على الرجال في الأحوال العادية كبلاد شمال أوروبا
فان النساء فيها في غير أوقات الحرب تفوق الرجال بكثير ، ففي هذه الحالة
يكون التعدد أمرا واجبا أخلاقيا واجتماعيا وهو أفضل بكثير من تسكع النساء
الزائدات عن الرجال في الطرقات لاعائل لهن ولا بيت يوويهن ، ومنذ
أوائل هذا القرن تنبه عقلاء الغربيين الى ماينشأ من منع تعدد الزوجات
من تشرذم النساء وانتشار الفاحشة وكثرة الأولد غير الشرعيين ، وأعلنوا أنه
لاعلاج الا السماح بتعدد الزوجات .

٢ = والسبب الثاني لكثرة النساء الحروب الطاحنة أو الكوارث العامة .

(المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ص ٨١ - ٨٣ .

(١) سورة النساء : الآية ١٢٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الباب ٩٨ ، ج ١٩٩٩ / ٥ .

وقال ابن كثير * : أى لن تستطيعوا أيها الناس أن تساوا بين النساء من جميع الوجوه ، فانه وإن وقع/ ^{القسم} الصورى ليلة وليلة فلا بد من التفاوت في المحيطة والشهوة والجماع كما قاله ابن عباس وغيره ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن أبي شيبه حدثنا حسين الجعفي عن زائدة ، عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة قال : نزلت هذه الآية في عائشة - رضي الله عنها - يعني أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يحبها أكثر من غيرها ، كما جاء في الحديث الذى رواه أهل السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك - يعني القلب - . (١) .

هذا لفظ أبي داود واسناده صحيح .

(فلا تميلوا كل الميل) أى فاذا ملتم الى واحدة فمنهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية .

(فتذروها كالمعلقة) أى فتبقى هذه الأخرى معلقة .

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن : معناه : لا ذات زوج ولا مطلقة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت له امرأتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة واحد شقيه ساقط . رواه أهل السنن (٢) (٣) .

(٧) تحديد الاسلام عدد الطلاق :

.....

قال تعالى * الطلاق مرتان فامسك بمعروفاً وتسريحاً باحسان * (٤) .

=====

(١) انظر : سنن أبي داود : النكاح رقم الحديث ٢١٣٤ ، ج ٢ / ٢٤٢ .

(٢) سنن أبي داود : النكاح ، رقم الحديث ٢١٣٣ ، ج ٢ / ٢٤٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

قال ابن كثير : هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الاسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وان طلقها مائة مرة مادامت في العدة ، فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله الى ثلاث طلاقات ، وأباح الرجعة في المرة وا لثنتين ، وأبانها بالكلية في الثالثة - .

فقال : (الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان) ، قال أبو داود : باب نسخ المراجعة بعد الطلقات الثلاث : حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثني علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : * والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن * . . الآية (١) ، وذلك أن الرجل كان اذا طلق امرأته فهو أحق برجعته ، وان طلقها ثلاثا فنسخ ذلك وقال * الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان * (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن اسحاق حدثنا عبدة يعني ابن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا قال لامرأته : لا أطلقك أبدا ، قالت : وكيف ذلك ، قال : أطلق حتى اذا دنا أجلك راجعتك ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل * الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان * ، وهكذا رواه ابن جرير في تفسيره .

وروى ابن مردويه بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يكن للطلاق وقت يطلق الرجل امرأته ثم يراجعها مالم تنقض العدة ، وكان بين رجل من الأنصار وبين أهله بعض ما يكون بين الناس فقال : والله لا أتركك لأيماء ولا ذات زوج ، فجعل يطلقها حتى اذا كادت العدة أن تنقضي راجعها ففعل ذلك مرارا فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

=====

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٨ .

(٢) سنن أبي داود : الطلاق ، رقم الحديث ٢١٩٥ .

فوقت الطلاق ثلاثا لارجعة فيه بعد الثالثة حتى تنكح زوجا غيره ، وهكذا روى عن قتادة مرسلا ، ذكره السدى وابن زيد وابن جرير واختار بأن هذا تفسير هذه الآية (١) .

(٨) هداية القرآن الكريم في الطلاق المسنون :
.....

قال الامام البخارى : قول الله تعالى * يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة * (٢) .

وقال : (أحصيناها) حفظناه وعدناه ، وطلاق السنة أن يطلقها طاهرا من غير جماع ويشهد شاهدين .

ثم روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأل عمر بن الخطاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم ان شاء أمسك بعد وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء (٣) .

وقال ابن كثير بعد حديث ابن عمر - رضي الله عنه - ومن هنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه طلاق سنة وطلاق بدعة ، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها ، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض ، أو في طهر قد جامعها فيه ، ولا يدرى أحملت أم لا ، وطلاق ثالث لاسنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغير والآيسة غير المدخول بها .

(وأحصوا العدة) أى احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لثلاث تطول العدة على المرأة فتمتنع من الزواج (٤) .

=====

- (١) تفسير ابن كثير ١ / ٢٧١ - ٢٧٢ . (٢) سورة الطلاق : الآية ١ .
(٣) صحيح البخارى : الطلاق ، رقم الحديث ٤٩٥٣ ، وقد ذكر البخارى هذا الحديث في كتاب التفسير أيضا في تفسيرها ، الرقم ٤٦٢٥ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٧٧ - ٣٧٨ .

(٩) تتمة الفصل :

.....

قد ثبت بهذا كله بأن الاسلام أخرج المرأة من ظلمات رسوم الجاهلية ومظالمها الى أنوار السعادة والمساواة والكرامة ، وأعطاه حقوقها المشروعة ، ، ، وحدد مسؤولية الرجل نحوها ، وحذره من التقصير فيها ، ويمكن أن نلخص مبادئ الاسلام الاصلاحية في بيان حقوق المرأة وكرامتها بما يلي :

١ = ان المرأة كالرجل في الانسانية سواء بسواء * يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة * (١) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (انما النساء شقائق الرجال) (٢) .

٢ = دفع الاسلام عن المرأة اللعنة التي كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة باسم الخطيئة الأولى ، فلم يجعل الاسلام عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئة منها وحدها بل منهما ، قال تعالى * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه * (٣) ، وقال عن توبتهما * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * (٤) .

٣ = انها أهل للتدين والعبادة والقيام بالمسؤولية نحو ربها ، ودخول الجنة ان أحسنت والمعاقبة ان أساءت كالرجل سواء بسواء ، قال تعالى * من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون * (٥) ، * فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى

=====

(١) سورة النساء : الآية ١ .

(٢) رواه أبو داود ، سنن أبي داود ، الطهارة ، رقم الحديث ٢٣٦ ، ورواه الترمذى في سننه : الطهارة ، رقم الحديث ١١٣ ، وقال أحمد محمد شاكر : اسناده صحيح ، سنن الترمذى ١٩٠/١ .

وقال الخطابي في شرح الحديث : وقوله : النساء شقائق الرجال ، أى نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطباع ، فكأنهن شققن من الرجال . (معالم السنن ١/٢٩٩ ، ورواه الامام أحمد أيضا في مسنده ٦/٢٥٦) .

(٣) سورة البقرة : الآية ٣٦ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٢٣ . (٥) سورة النحل : الآية ٩٧ .

بعضكم من بعض * (١) ، فانها مساوية للرجل في المسؤولية والجزاء * للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، وأسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما * (٢) .

* ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخالصين والخالصات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما * (٣) .

٤ = حارب التشاؤم بها والحزن لولادتها كما كان شأن العرب في الجاهلية ، ولا يزال عند كثير من الأمم ، فقال تعالى منكرًا لهذه العادة السيئة * واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألساء ما يحكمون * (٤) .

٥ = حرم الاسلام كذلك وأدها وقتلها صغيرة ^{الله تعالى} وشنع على ذلك أشد تشنيع قاتلا : * واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت * (٥) ، * قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم * (٦) ، * ولا تقتلوا أولادكم خشية اطلاق نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا * (٧) .

٦ = ورغب الاسلام في تربيتهم وتعليمهم والانفاق عليهن .

٧ = كما أعطاها حق الارث أما وزوجة وبنات كبيرة أو صغيرة .

٨ = ونظم قضية الزواج والطلاق وبين أحكامهما بما يمنع من تعسف الرجل فيهما واستبداده في أمرهما .

=====

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ٣٢ . (٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٥ .

(٤) سورة النحل : الآية ٥٨ و ٥٩ . (٥) سورة التكويد : الآية ٨ و ٩ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٤٠ . (٧) سورة الاسراء : الآية ٣١ .

٩ = كما نظم حقوق الزوجين وحدد مسؤوليتهما وجعل لها حقوقا كحقوق الرجل مع رئاسة الرجل في شؤون البيت بغير استبداد وغير ظلم .

١٠ = وحد الاسلام من تعدد الزوجات فجعله أربعاً عند الضرورة الملحة وبشرط استطاعة أداء الحقوق كاملة وتحقيق العدل .

وقد كان عند العرب قبل الاسلام وعند غيرهم من الأمم التعدد غير مقيّد بعدد معين .

١١ = جعلها قبل البلوغ تحت وصاية أولياءها وجعل ولايتهم عليها ولاية رعاية وتربية وتأديب وتنمية لمواهبها وأموالها لا ولاية تملك واستبداد وجعلها بعد البلوغ والرشد كاملة الأهلية للالتزامات المالية كالرجل سواء بسواء .

فقد أحل الاسلام المرأة بهذه المبادئ المكانة اللائقة بها في المجالات الانسانية والاجتماعية والحقوق والمسؤولية والجزاء ، ولم يفرق الاسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية بمختلف أنواعها ، الا حيث تدعو الى التفرقة ، مراعاة طبيعة كل من الجنسين وأعباءه في الحياة وما يصلح له ، ورعاية المصالح العامة للمجتمع وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها ، ولم يكن الأمر مقصوراً على بيان هذه المبادئ بل ان التاريخ يشهد أن هذه المبادئ والقواعد كانت منفذة أدق تنفيذ منذ العهد الأول للاسلام .

والله الموفق والمستعان

الفصل الثاني

مسؤولية الزوجة نحو زوجها

ان أهم ما يجب على الزوجة نحو زوجها هو احترامه وطاعته في غير معصية ،
والحفاظ على أمانته في نفسها وماله وأولاده .

وقد بين القرآن الكريم أن الزوجات الصالحات المطيعات لله ولرسوله هسن
مطيعات لأزواجهنّ وقائمت بمسؤولياتهن نحوهم ، والحافظات لأماناتهم وأسرارهم
بحفظ الله تعالى وتوفيقه عز وجل .

(١) قال تعالى * الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض
وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله * (١) (٢)
قال ابن المنصور : القيام نقيض الجلوس ، قام يقوم قوما وقياما ، ومعنى
القيام العزم كقوله تعالى * وأنه لما قام عبد الله يدعوه * (٣) ، أى : لما عزم
وقد يجيىء القيام بمعنى المحافظة والاصلاح ، ومنه قوله تعالى * الرجال
قوامون على النساء * (٤) ، فقد جعل الله الرجال قوامين أى قائمين برعايتهن
وحفظهن والانفاق عليهن والتوجيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يقوم
الولاية على الرعية ، لأن الرجل راع للبيت ولمن فيه ومسؤول عنهم بسبب ما منحه
الله من العقل والتدبير والقوة والكسب ، فعلى الرجال أن يقوموا على النساء
بالرعاية والحفظ والانفاق والتذكير والتأديب ، فقال الامام البخارى :

باب * يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا * (٥) ثم روى عن نافع
عن عبد الله ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : كلكم راع وكلكم مسؤول ،
فالامام راع وهو مسؤول ، والرجل راع على أهله وهو مسؤول . . الحديث (٦) .

=====

(١) (حفظ الله) قرأ أبو جعفر من العشرة بنصب هاء لفظ الجلالة ، والباقون
برفعها .

(٢) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٣) سورة الجن : الآية ١٩ . (٤) لسان العرب : ٤٩٦ / ١٢ .

(٥) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٦) صحيح البخارى : النكاح رقم الباب ٨١ ، رقم الحديث ٤٨٩٢ ، ج ٥ / ١٩٨٨
وصحيح مسلم : الامارة ، رقم ١٨٢٩ .

وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى * الرجال قوامون على النساء * . الآية
الرجال أهل قيام على نساءهم في تأديبهن والأخذ على أيديهن ، فيما يجب
عليهن لله تعالى ولأنفسهم * بما فضل الله بعضهم على بعض * يعني بما فضل
الله الرجال على أزواجهم من سوقهم اليهن مهورهن وانفاقهم عليهن أموالهم وكفايتهم
اياهن مؤنتهن ، وذلك تفضيل الله تعالى اياهم عليهن ، ولذلك صاروا قوامين
عليهن ، ثم روى عن ابن عباس يعني أمراء عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به ،
من طاعته ، وطاعته أن تكون محسنة الى أهله حافظة لماله ، وفضل الزوج عليها
بنفقتة وسعيه ، وذكر أن هذه الآية نزلت في رجل لطم امرأته فخوصم الى النبي
- صلى الله عليه وسلم ففضى بالقصاص (فنزلت الآية ورجع رسول الله عن القصاص) .
(٢) * فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله * ، (فالصالحات) ،
المستقيمات الدين العاملات بالخير ، وقال عبد الله بن المبارك : قال سمعت
سفيان يقول : فالصالحات يعملن بالخير .

وقوله (قانتات) يعني مطيعات لله ولأزواجهن ومعنى القنوت : الطاعة .
(حافظات للغيب) أى حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن عنهن في
فروجهن وأموالهم ، وللواجب عليهن من حق الله في ذلك وغيره .

حدثني المثنى قال : حدثنا أبو صالح قال : حدثنا أبو معشر قال :
حدثنا سعيد عن أبي سعيد المقبرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك ، واذا
أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك ، قال ثم قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم * الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض
وبما أنفقوا من أموالهم . . * الآية (١) .

=====

(١) مسند الامام أحمد ٢ / ٢٥١ ، وسنن ابن ماجه : النكاح ، رقم الحديث

وقراءة عامة القراء (بما حفظ الله) برفع اسم الله ، على معنى : بحفظ الله
اياهن اذا صيرهن كذلك ، وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (بما حفظ
الله) بالنصب ، يعني : بحفظهن في طاعته وأداء حقه بما أمرهن من حفظ
غيب أزواجهن ، كقول الرجل للرجل : ما حفظت الله في كذا وكذا ؟ .

وقال ابن عباس : قوله (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله)
يعني اذا كن هكذا فأصلحو اليهن (١) .

وقال ابن العربي : قوله (قوامون) يقال : قوام وقيم من قام : المعنى
هو أمين عليها يتولى أمرها ويصلحها في حالها قاله ابن عباس ، وعليها له الطاعة ،
والزوجان مشتركان في الحقوق كما قال تعالى ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
واللرجال عليهن درجة ﴾ (٢) .

بفضل القوامية فعليه أن يبذل المهر والنفقة ويحسن العشرة ويحجبها ،
ويأمرها بطاعة الله تعالى وينهى اليها شعائر الاسلام من صلاة وصيام اذا وجبا على
المسلمين ، وعليها الحفظ لماله والاحسان الى أهله والالتزام لأمره في الحبيسة
وغيرها الا باذنه وقبول قوله في الطاعات .

(بما فضل الله بعضهم على بعض) المعنى : اني جعلت القوامية على المرأة
للرجل لأجل تفضيلي له عليها ، وذلك لثلاثة أشياء :

١ - كمال العقل والتمييز .

٢ - كمال الدين والطاعة في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على

العموم وغير ذلك ، وهذا الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم فسي

الحديث الصحيح ، روى الامام مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يامعشر النساء تصدقن

=====

(١) تفسير ابن جرير الطبري ج ٥ / ٥٧ - ٦٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

وأكثرن الاستغفار فاني رأيتكن أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن
 جزلة (١) : ومالنا يارسول الله أكثر أهل النار ، قال : تكثرن اللعن
 وتكفرن العشير وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن
 قالت : يارسول الله : وما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نقصان
 العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ،
 وتمكث الليالي ماتصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين (٢) .
 ٣ - بذل الرجل لها المال من الصداق والنفقة ، وقد نص الله تعالى عليها
 ها هنا .

(فالصالحات قانتات) يعني مطيعات وهو أحد أنواع القنوت .

(حافظات للغيب) يعني غيبة زوجها .

(لاتأتي في مغيبه بما يكره أن يراه منها في حضوره .

وقد قال الشعبي : ان شريحا تزوج امرأة من بني تميم يقال لها زينب قال :
 فلما تزوجتها ندمت حتى أردت أن أرسل اليها بطلاقها فقلت : لأعجل حتى
 يجاء بها قال : فلما جيبى بها تشهدت ثم قالت : أما بعد فقد نزلنا منزلا ،
 لاندري متى نظعن (٣) منه فانظر الذي تكره ، هل تكره زيارة الأختان ؟ (٤) ،
 فقلت : أما بعد فاني شيخ كبير لا أكره المرافقة واني لأكره ملال الأختان ، قال :
 فما شرطت شيئا الا وقت به ، قال : فأقامت سنة ثم جئت يوما ومعها في الحجلة
 إنس فقلت : انا لله . . ؟ فقالت : أبا أمية انها أمي فسلم عليها ، فقالت :
 انظر فان رابك شيئا منها فأوجع رأسها قال : فصحبتني ثم هلكت قبلي ، قال :

=====

(١) (جزلة) ذات عقل ورأى ، الجزالة : العقل والوقار .

(٢) صحيح مسلم : الايمان ، رقم الحديث ٧٩ .

(٣) أى نذهب ، ظعن : أى ذهبوسار ، انظر (اللسان :

(٤) الختن : كل من كان من قبل المرأة ، جمع أختان .

فوددت أني قاسمتها عمرى أو مت أنا وهي في يوم واحد ، وقال شريح* : فشلت
يميني يوم أضرب زينبا (١) .

(٣) * واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن
فان أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا * (٢) .

قال ابن العربي : (نشوزهن) : يعني امتناعهن منكم ، عبر عنه بالنشوز
وهو من النشز : المرتفع من الأرض ، وان كل ما امتنع عليك فقد نشز عنك .

(فعظوهن) وهو التذكير بالله في الترغيب لما عنده من ثواب ، والتخويف

لما لديه من عقاب الى ما يتبع ذلك مما يعرفها به من حسن الأدب في اجتمعال
العشرة والوفاء بدمام الصحة ، والقيام بحقوق الطاعة للزوج ، والاعتراف بالدرجة
التي له عليها ، فان النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : لو كنت آما أحدا أن
يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن ، لما جعل الله عليهن من
الحق (٣) .

(٤) * واهجروهن في المضاجع * فيه أربعة أقوال :

١ = يوليها ظهره في فراشه : قاله ابن عباس .

٢ = لا يكلمها وان وطئها : قاله عكرمة .

=====

(١) أحكام القرآن : لأبي محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المتوفي سنة

٥٤٣ هـ ، ١ / ٤١٥ - ٤١٢ .

(انظر ترجمة ابن العربي في تذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ١٢٩٤ ، رقم ١٠٨١) .

(٢) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٣) أخرجه أبو داود في باب حق الزوج على المرأة ، النكاح : رقم الحديث

٢١٤٠ ، ج ٢ / ٢٤٤ ، وأخرجه الترمذى في الرضاع وقال : وفي الباب عن

معاذ بن جبل وسراقة بن مالك بن جعشم وعائشة وابن عباس وعبد الله بن

أبي أوفى وطلق بن علي وأم سلمة وأنس وابن عمر وحديث أبي هريرة هذا

حديث حسن (سنن الترمذى : الرضاع ، رقم الحديث ١١٥٩ ، ج ٣ / ٤٦٥) .

* رأيت رجالا يضربون نساءهم .

٣ = لا يجمعها واياها فراش ولا وطاء ، حتى ترجع الى الذي يريد : قاله ابراهيم والشعبي وقتادة والحسن البصرى .

٤ = يكلمها ويجامعها ولكن بقول فيه غلظ وشدة اذا قال لها : تعالي : قاله سفيان (١) .

وقال البخارى : باب اذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ، ثم روى عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت أن تجيبى لعنتها الملائكة حتى ترجع (٢) .

وقال البخارى : باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد الا باذنه ، ثم روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد الا باذنه ، ولا تأذن في بيته الا باذنه ، وما أنفقت من نفقة عن غير امره فانه يؤدى اليه شطره (٣) .

(٥) * واضربوهن * ، ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال : فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح (٤) ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف (٥) .

=====

(١) أحكام القرآن : ٤١٧/١ - ٤١٨ .

(٢) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٩٧ ، وصحيح مسلم : النكاح رقم الحديث ١٤٣٦ .

(٣) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٩٩ ، وصحيح مسلم : الزكاة رقم الحديث ١٠٢٦ .

(٤) قال ابن منظور : ضربا مبرحا : شديدا وفي الحديث (ضربا غير مبرح) أى غير شاق ، وهذا أبرح عليّ من ذاك أى أشق وأشد (لسان العرب : (٤١٠/٢) .

(٥) صحيح مسلم : الحج ، رقم الحديث ١٢١٨ ، من حديث جابر بن عبد الله .

وقال الامام البخارى : باب ما يكره من ضرب النساء وقول الله تعالى :

* واضربوهن * ثم روى عن عبد الله بن زمعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم (١) .

وروى الامام أبو داود عن اياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : لا تضربوا ماء الله ، فجاء عمر - رضي الله عنه - الى

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ذئرن (٢) النساء على أزواجهن فرخص

في ضربهن فأطاف بآل رسول الله نساء كثير يشكون أزواجهن ، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم (٣) .

وعلى الزوجة ألا تطيع زوجها في معصية لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية

الخالق ، وقال الامام البخارى : باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية ، ثم روى

عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها (٤)

فجاءت الى النبي فذكرت ذلك له فقالت : ان زوجها أمرني أن أصل فـي

شعرها (٥) ، فقال : لا انه قد لعن الموصلات (٦) .

وقال القاضي البيضاوى : قوله (واللاتي تخافون نشوزهن) أى عصيانهن

وترفعهن عن مطاوعة الأزواج (فعظوهن) واهجروهن في المضاجع (أى

في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع ، وقيل :

المضاجع المبيت أى لا تباشروهن .

=====

- (١) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٩٠٨ ، ج ٥ / ١٩٩٧ .
- (٢) (ذئرن) أى اجتران ونشزن وغلبن .
- (٣) سنن أبي داود : النكاح ، رقم الحديث ٢١٤٦ ، ج ٢ / ٢٤٥ .
- (٤) أى سقط من داء عرض لها (انظر اللسان ٤٠٥ / ٧) .
- (٥) قال ابن المنظور : الواصلة من النساء : التي تصل شعرها بشعر غيرها ، والمستوصلة : الطالبة لذلك ، (اللسان ٧٢٧ / ١١) ، والموصلة التي تصل شعر امرأة بشعر امرأة أخرى .
- (٦) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٩٠٩ ، ج ٥ / ١٩٩٧ .

(واضربوهن) يعني ضربا غير مبرح ولا شائن ، والأمور الثلاثة مرتبة ينبغي أن يتدرج فيها .

(فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء والمعنى : فأزِيلُوا عنهن التعرض واجعلوا ماكان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (١).

(٦) وقال ابن كثير : وقوله تعالى ﴿ فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾ أي اذا أطاعت المرأة زوجها في جميع مايريد منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك وليس له ضربها ولا هجرانها .

(ان الله كان عليا كبيرا) تهديد للرجال اذا بغوا على النساء من غير سبب فان الله العلي الكبير وليهن وهو منتقم من ظلمهن وبغى عليهن (٢) .
وروى الترمذى عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال : حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال : ألا واستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن ذلك فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ألا ان لكم على نساءكم حقا ولنساءكم عليكم حقا ، فأما حقكم على نساءكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن ، قال الترمذى : هذا حديث حسن ، ، ومعنى (عوان عندكم) يعني أسرى في أيديكم (٣) .

=====

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٨٥/٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٩٢/١ .

(٣) سنن الترمذى : الرضاع ، رقم الحديث ١١٦٣ ، ج ٣/٤٦٢ ، وسنن ابن

ماجه : النكاح ، رقم الحديث ١٨٥١ ، ج ١/٥٩٤ .

خاتمة الفصل :

=====

قد ثبت بهذا أن لكل من الزوجين حقوقا على الآخر ، وعلى كل منهما واجبات ومسؤوليات نحو الآخر ، والواجبات مشتركة بينهما وخاصة :

١ = من الواجبات المشتركة بين الزوجين الاخلاص والأمانة :

=====

ان من أهم الواجبات المشتركة بينهما الاخلاص والأمانة ، فكل منهما مطالب بالأمانة التي هي روح الزواج وعماده رأس السعادة النفسية ، وضمان للمودة والرحمة والاحترام ، فكل واحد منهما راع وكل راع مسؤول عن رعيته .

فلقد أحل الله بالزواج الشرعي ما أحل ليصرف النفس الى أمرها الطبيعي

بمقتضى القانون الفطرى والشرعي ، فكل خيانة تصدر من أحدهما تكون شر خروج على هذا القانون الفطرى والميثاق الغليظ ، فانها قد تفسد النسل وتكدر صفو المنزل وتدعو الى الشقاء والفرق والضياح ، فعلى كل منهما الالتزام بالأمانة في كل شيء ولقد نهى الله تعالى عن الخيانة قائلا * يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * (١) .

٢ = وجوب وجود الثقة المتبادلة بين الزوجين :

=====

هذا وان الثقة المتبادلة بينهما أيضا من الواجبات المشتركة التي تزيد حبا وتقاربا وارتياحا ، ومما يزيدهما ثقة مطارحة الأفكار فيما بينهما على سبيل التشاور والاعلام والتعليم والتربية ، وخاصة ما يفيد المرأة في مسؤولياتها وما يفضي الى تشجيع الرجل في مهمته ، لأن قلة الكلام وعدم المشاورة والمداعبة يضيع الثقة ويفضي الى الكراهة والبعد ، وان التشاور والمداعبة لتقوية الثقة والاعتماد لا ينافي

=====

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٧ .

- كما يتوهم بعض الناس - الاحترام بين الزوجين ، بل هو يزيد في الاحترام بقدر ما يزيد في الثقة والمحبة والارتباط ، واذا كانت الغلظة في الكلام والسباب والنشوز والشجار في الحياة الاجتماعية من أقيح ما يتصف به انسان ، فان أمرها في الحياة الأسرية أخطر وأشد ضررا .

٣ = وجوب التعاون المشترك بين الزوجين في شؤون البيت :
 ::::::::::::::::::::::::::::::::::::::

ومن ألزم الواجبات المشتركة التعاون المشترك في أمور البيت والشؤون الاجتماعية بقدر الامكان ، وفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة لجميع المؤمنين والمؤمنات ، فقال الامام البخارى : باب خدمة الرجل في أهله ، ثم روى عن الأسود بن يزيد قال : سألت عائشة رضي الله عنها : ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم يصنع في البيت ؟ قالت : كان في مهنة أهله ، فاذا سمع الأذان خرج (١) .

وفي رواية عنده : قالت كان في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فاذا حضرت الصلاة خرج الى الصلاة (٢) .

وليس التعاون مقصورا على المساعدات المادية ، بل ان كليهما مطالب بالتعاون الأدبي والعقلي ، فيجب أن يكون للمرأة رأى في معيشة بيتها ، وهذا بابدأء الرأى والارشاد المعقول بدون اصرار ، وقال تعالى * وأمرهم شورى بينهم * (٣) ، * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * (٤)
 وبجانب الارشاد والتعاون والاشترك في ادارة البيت ، يجب أن تراعى المرأة حق القوامة للرجل ، فتعتبره صاحب الكلمة الأخيرة عند الاختلاف ، فعمل

=====

- (١) صحيح البخارى : النفقات ، رقم الحديث ٥٠٤٨ .
 (٢) صحيح البخارى : الجماعة والأمانة ، رقم الحديث ٦٤٤ .
 (٣) سورة الشورى : الآية ٣٨ .
 (٤) سورة المائدة : الآية ٢ .

ليستعينا به وقت الحاجة ، ففي الاقتصاد مصالح لهما ولأولادهما .

٧ = من نصيحة الأب الصالح لابنته الصالحة :
 ::::::::::::::::::::

وينبغي للوالد أن ينصح ابنته بتقوى الله تعالى وطاعته سبحانه ، وطاعة
 الزوج واحترامه وأداء حقوقه والحفاظ على أمانته ، وعدم النشوز عليه والعيش
 معه مع القناعة بالموجود والصبر والشكر .

قال الامام البخارى : باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، ثم روى عن
 ابن عباس - رضي الله عنه - حديثا طويلا جاء فيه : قول عمر بن الخطاب : كنت
 أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة ، وكنا
 نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم ، فينزل يوما وأنزل يوما ، فاذا
 نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره ، واذا نزل فعل مثل
 ذلك ، وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قد منا على الأنصار اذا قوم تغلبهم
 نساءهم فطفق نساءنا يأخذن من أدب نساء الأنصار ، فصخبت (١) على امرأتي
 فراجعتني فأنكرت أن تراجعني قالت : ولم تنكر أن أراجعك ؟ فوالله ان أزواج
 النبي - صلى الله عليه وسلم - ليراجعنه ، وان احداهن لتهجره اليوم حتى
 الليل ، فأفزعتني ذلك وقلت لها : قد خاب من فعل ذلك منهم ، ثم جمعت علي
 ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة - رضي الله عنها - فقلت لها : أي حفصة ،
 أتغاضب احداكن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل ؟ قالت : نعم ،
 فقلت : قد خبت وخسرت أفأتمنين أن يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه
 وسلم فتهلكي ؟ لا تستكثري النبي صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه في شيء ،
 ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك أوضأ منك وأحب الي
 النبي - يريد عائشة رضي الله عنها - (٢) .

=====

(١) قال ابن منظور : الصخب : الصياح والجلية وشدة الصوت واختلاطه ،
 (اللسان ١ / ٥٢١) .

(٢) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٩٥ ، ج ٥ / ١٩٩١ .

٨ = من وصية الأم لابنتها :

====

وينبغي أن تقول الأم المؤمنة لابنتها معلمة حقوق الزوج وآداب المعاشرة
الحسنة معه :

اسمعي وأطيعي للقيمِّ عليك ، ورفيق حياتك ، وتعهدى لموقع عينيه فلا
تقع عينه على قبيح منك ، ولا يشم منك الا طيبا ، ولا حظي وقت طعامه واستراحته
واهتمي بالهدوء عند منامه ، وحافظي على أمانته عند غيابه ، وأخلصي لأولاده ،
وأكرمي أهله ولا تفشي له سرا ولا تعصي له أمرا ، اتقي الفرح ان كان حزينا ،
والاكتئاب عنده ان كان فرحا ، ولا تطلبي منه ما لا يستطيع ، واشكريه على الموجود
وكوني له معظمة يكون لك مكرما ، واعلمي أنك لا تصلين الى ماتحبين حتى تؤثري
رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت أو كرهت ، فاذا فعلت ذلك
تكونين سعيدة في الدنيا والآخرة .

٩ = واجب الزوج تجاه زوجته الصالحة :

====

وإذا أطاعت المرأة الله تعالى / زوجها ، وأطاعت
اليها ويعاشرها معاشرة حسنة ، ويقدر صلاحها وطاعتها ، لأن المرأة الصالحة
المطبعة خير متاع الحياة الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) ، وانها
خير كنز كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بخير ما يـكـنـز
المرأة ؟ المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته ، واذا غاب عنها
حفظته (٢) .

والله الموفق والمستعان ،،

=====

(١) صحيح مسلم : الرضاع ، رقم الحديث ١٤٦٧ ، ج ٢ / ١٠٩٠ .

(٢) سنن أبي داود : الزكاة ، رقم الحديث ١٦٦٥ ، ج ٢ / ١٢٦ .

الفصل الثالث

مسؤولية الوالدين نحو الأولاد

القراءات :

(لاتضار والدة) قرأه ابن كثير وأبو عمرو بالرفع وفتحه الباقون ، ووجه القراءة بالرفع أنه جعله نفيا لانها ، وانه اتبعه ما قبله من قوله (لا تكلف نفس الا وسمعها) وأيضا فان النفي خبر والخبر قد يأتي في موضع الأمر نحو قوله : * والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء * ، فكذلك هذا أتى بلفظ الخبر ، ومعناه النهي فذلك شائع في كلام العرب .

ووجه القراءة بالفتح أنه جعله نهيا على ظاهر الخطاب فهو مجزوم ، لكن تفتح الراء لالتقاء الساكنين لسكونها وسكون أول المشدد ، وخصها بالفتح دون الكسر لتكون حركتها موافقة لما قبلها وهو الألف .

(ما آتيتم بالمعروف) قرأه ابن كثير بغير مد من باب المجبيء ، والباقيون بالمد من باب الاعطاء (١) .

وقال الامام البخارى : باب وقال الله تعالى * والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة * الآية ، وقال تعالى : * وحمله وفصاله ثلاثون شهرا * (٢) ، وان تعاسرتم فسترضع له أخرى ، لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا * (٣) .

وقال يونس عن الزهري : نهى الله أن تضار والدة بولدها وذلك أن تقول الوالدة : لست مرضعته وهي أمثل له غذا ١٤ وأشفق عليه وأرفق به من غيرها ، فليس لها أن تأبى بعد أن يعطيها من نفسه ما جعل الله عليه وليس للمولود له أن يضار بولده والدته فيمنعها أن ترضعه ضرارا لها الى غيرها ، فلا جناح عليهما أن يسترضعا عن طيب نفس الوالد والوالدة * فان أرادا فصلا عن تراض

=====

(١) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٩٧/١ .

(٢) سورة الأحقاف : الآية ١٥ . (٣) سورة الطلاق : الآية ٦ و ٧ .

منهما وتشاور فلا جناح عليهما * بعد أن يكون ذلك عن تراض منهما وتشاور (١) .

وقال ابن حجر هنا : قيل : دلت الآية الأولى على ايجاب الانفاق على

المرضعة من أجل ارضاعها الولد كانت في العصمة أم لا .

وفي الثانية اشارة الى قدر المدة التي يجب ذلك فيها .

وفي الثالثة : الاشارة الى مقدار الانفاق وانه بالنظر لحال المنفق ، وفيها

أيضا الاشارة الى أن الارضاع لا يتحتم على الأم (٢) .

وقال ابن العربي في تفسير الآية * والوالدات يرضعن أولادهن * ، اختلف

الناس : هل هولها أم عليهما ؟ واللفظ محتمل ، لكن هو عليها في حال الزوجية

وهو عليها ان لم يقبل غيرها ، وهو عليها اذا عدم الأب لاختصاصها به .

* وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها *

دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لعجزه وضعفه ، فجعل الله تعالى ذلك

على يدى أبيه لقربته منه وشفقته عليه ، وسمى الله تعالى الأم لأن الغذاء يصل

اليه بوساطتها في الرضاعة كما قال تعالى * وان كن أولات حمل فأنفقوا

عليهن * (٣) لأن الغذاء لا يصل الى الحمل الا بوساطتهن ، وقد جاء في

صحيح البخارى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : تقول المرأة لك اما

أن تطعمني واما أن تطلقني ويقول العبد : أطعمني واستعملني ، ويقول الابن

أطعمني الى من تدعني (٤) .

* لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده * أى لاتأبى الأم أن ترضعه

اضرارا بأبيه ولا يحل للأب أن يمنع الأم من ذلك .

* وعلى الوارث مثل ذلك * اشارة الى ماتقدم ، فمن الناس من رده الى

جميعه من ايجاب النفقة وتحريم الاضرار .

(١) صحيح البخارى : النفقات : رقم الباب ٤ ، ج ٥ / ٢٠٥٠ .

(٢) فتح البارى : النفقات ، رقم الباب ٤ ، ج ٩ / ٥٠٤ .

(٣) سورة الطلاق : الآية ٦ .

(٤) صحيح البخارى : النفقات ، رقم الحديث ٥٠٤ .

وقالت طائفة من العلماء : انه لا يرجع الى جميع ما تقدم كله وانما يرجع الى

تحريم الاضرار أى وعلى الوارث من تحريم الاضرار بالأم ماعلى الأب .

* فان أراد ا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما * ، المعنى :

ان الله تعالى لما جعل مدة الرضاع حولين بين أن فطامها هو الفطام ، وفصالها

هو الفصال ليس لأحد عنه منزع الا أن يتفق الأبوان على أقل من ذلك العدد من

غير مضارة بالولد ، فذلك جائز بهذا البيان .

كما يدل هذا على جواز الاجتهاد في أحكام الشريعة لأن الله تعالى جعل

للوالدين التشاور والتراضي في الفطام .

* وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم

مآتيتهم بالمعروف * هذا عند خيفة الضيعة على الولد عند الأم ، والتقصير أو

الاضرار بالوالد في اشتغال الأم عن حقه بولدها ، أو الاضرار بالولد في الاغتيا

ونحوه ، فان اختلفوا نظر للصبي ، فان أوجب النظر أن يسترضع له استرضع اذا

أعطى المرضع حقه من أم أو ظئر (١) .

* الأم أحق بحضانة الولد :

وقال أبو داود : باب من أحق بالولد ، حدثنا محمد بن خالد السلمي ،

حدثنا الوليد عن أبي عمرو الأوزاعي حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد

الله بن عمرو أن امرأة قالت : يا رسول الله ان ابني هذا كان بطني له وعاء ،

وثدي له سقاء ، وحجرى له وعاء وان أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني ، فقال

لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت أحق به مالم تنكحي (٢) .

وروى أبو داود عن علي رضي الله عنه قال : خرج زيد بن حارثة الى مكة

فقدم بابنة حمزة فقال جعفر : أنا آخذها أنا أحق بها ابنة عمي وعندى خالتها

=====

(١) أحكام القرآن ١/٢٠٣ - ٢٠٦ .

(٢) سنن أبي داود : الطلاق ، رقم الحديث ٢٢٧٦ ، ج ٢/٢٨٣ .

وانما الخالة أم ، فقال علي : أنا أحق بها ابنة عمي وعندى ابنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي أحق بها ، فقال زيد : أنا أحق بها أنا خرجت اليها وسافرت وقدمت بها ، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر حديثا ، قال : وأما الجارية فاقضي بها لجعفر تكون مع خالتها وانما الخالة أم (١) .

وقال ابن العربي : واذا كانت الحضانة للأم في الولد تمادت الى البلوغ في الغلام والى النكاح في الجارية ، وذلك حق لها وبه قال أبو حنيفة .

وقال الشافعي : اذا عقل وميز خير بين أبويه لما رواه أبو داود عن أبي

هريرة - رضي الله عنه - أن امرأة جاءت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ،

وأنا قاعد عنده فقالت : يارسول الله ان زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني

من بئر أبي عتبة وقد نفعني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استهما عليه

فقال زوجها : من يحاقني في ولدي ؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : هذا

أبوك وهذه أمك ، فخذ بيد أيهما شئت ، فأخذ بيد أمه فانطلقت به (٢) (٣) .

وقال ابن كثير * والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن

يتم الرضاعة * هذا ارشاد من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال

الرضاعة وهي سنتان فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك ولهذا قال : لمن أراد أن يتم

الرضاعة ، وذهب أكثر الأئمة الى أنه لا يحرم من الرضاعة الا ما كان دون الحولين .

قال الترمذى : باب ماجاء أن الرضاعة لا تحرم الا في الصغر دون الحولين

حدثنا قتيبة حدثنا أبو عوانة عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أم سلمة

قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يحرم من الرضاعة الا ما فتق الأمعاء في

الثدى وكان قبل الفطام . هذا حديث حسن صحيح .

=====

(١) سنن أبي داود : الطلاق ، رقم الحديث ٢٢٧٨ .

(٢) سنن أبي داود : الطلاق ، رقم الحديث ٢٢٧٧ ، ج ٢ / ٢٨٤ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢٠٦ / ١ .

كأن الله تعالى يقول : يامن من الله عليهم بالايمان قوموا بشروطه ولوازمه
فقوا أنفسكم أى احفظوها نارا موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة ، ووقاية الانسان
نفسه من النار بالتزامه طاعة الله عز وجل وامثال أوامره واجتناب نواهيه ، والتوبة
عما يسخط الله ويوجب عذابه ، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتربيتهم وتعليمهم
واجبارهم على امتثال ما أمر الله به فلا يسلم العبد الا اذا قام بما أمر الله به في
نفسه وفيمن تحت رعايته وولايته ، من الأولاد والأزواج والأقارب وغيرهم .

وقال الامام البخارى : باب * يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم
نارا * ، ثم روى عن نافع عن عبد الله قال النبي - صلى الله عليه وسلم - كلكم راع
وكلكم مسؤول فالامام راع وهو مسؤول والرجل راع على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية
في بيت زوجها وهي مسؤولة ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول ، ألا فكلكم
راع وكلكم مسؤول (١) .

وقال الامام البخارى : قال مجاهد * قوا أنفسكم وأهليكم نارا * : أوصوا
أنفسكم وأهليكم وأدبوهم (٢) .

وقال الحافظ ابن حجر : وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد
وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : مروهم بطاعة الله وانهموم عن معصيته .
وروى الحاكم من طريق ربيعي بن حراش عن علي قال : علموا أهليكم
خيرا ، ورواته ثقات (٣) ، ورواه ابن جرير بسنده عن علي بن أبي طالب بلفظ :
علموهم أدبوهم .

وروى ابن جرير عن ابن عباس قال : اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله
ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار .

=====

(١) صحيح البخارى : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٩٢ ، ج ٥ / ١٩٨٨ / ١٨٢٩ ومسلم رقم

(٢) صحيح البخارى : مع فتح البارى : التفسير - تفسير سورة التحريم ، رقم

الباب ٤ .

(٣) فتح البارى : بشرح صحيح البخارى ٦٥٩ / ٨ .

وعن قتادة قال : يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها (١) .

وقال أبو بكر الجصاص في تفسيرها : قال الحسن (تعلمهم وتأمرهم وتنهاهم) .

وهذا يدل على أن علينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الآداب وهو مثل قوله تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ (٢) ، ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (٣) .

ويدل على أن الأقرب فالأقرب منا منزلة في لزومنا تعليمهم وأمرهم بطاعة الله تعالى ويشهد له قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) (٤) .

ومعلوم أن الراعي كما عليه حفظ من استرعى وحمايته والتماس مصالحه ، فكذلك عليه تأديبه وتعليمه .

وحدثنا عبد الباقي بن قانع بسنده عن سالم عن أبيه عن النبي قال : مانحل والد ولدا خيرا من أدب حسن (٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع (٦) (٧) .

=====

(١) تفسير ابن جرير الطبري : المجلد الحادي عشر ج ٢٨ / ١٦٦ .

(٢) سورة طه : الآية ١٣٢ . (٣) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

(٤) صحيح البخاري : النكاح ، رقم الحديث ٤٨٩٢ ، ج ٥ / ١٩٨٨ .

(٥) رواه الترمذي مرفوعا ثم قال : هذا عندي مرسل ، سنن الترمذي : السير

والصلة رقم الحديث ١٩٥٢ .

(٦) رواه أبو داود في سننه : الصلاة رقم الحديث ٤٩٥ .

(٧) أحكام القرآن للجصاص : ٣ / ٤٦٦ - ٤٦٧ .

وقال ابن كثير في تفسير الآية : وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أبو داود وغيره من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مروا الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين واذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها (١) .

مثل ذلك قال الفقهاء وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعاصي وترك المنكر والله الموفق (٢) .
ويجب على الآباء أن يبادروا بايقاظ فطرة التوحيد والاسلام للولد بتلقين كلمته ، لأن كل مولود يولد على الفطرة ، والفطرة الاسلام والتوحيد كما قال تعالى * فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * (٣) .

قال الامام البخارى في تفسيرها : باب * لا تبديل لخلق الله * لدين الله، خلق الأولين : دين الأولين ، والفطرة الاسلام ، ثم روى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول : فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم * (٤) .

فيعلم الولد أركان الاسلام بالاجمال أولا واذا بلغ السابعة من عمره يؤمر بالصلاة كما جاء في الحديث ، وفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة للآباء والأمهات والمربين ، فلقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يربي ويؤدب ويعلم بحكمة ورحمة .

=====

- (١) سنن أبي داود : الصلاة رقم الحديث ٤٩٤ .
(٢) تفسير ابن كثير : ٣٩١ / ٤ . (٣) سورة الروم : الآية ٣٠ .
(٤) صحيح البخارى : التفسير رقم الحديث ٤٤٩٧ ، وصحيح مسلم : القدر رقم الحديث ٢٦٥٨ ، ج ٤ / ٢٠٤٧ .

فروى البخارى عن عمر بن أبى سلمة يقول : كنت غلاما في حجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك ، فما زالت تلك طعمتي بعد (١) .

وروى الترمذى عن ابن عباس قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال : يا غلام : انى أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقالم وجفت الصحف .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح (٢) .

وما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فظا غليظ القلب بل كان بالمؤمنين رؤوفا رحيمًا ، لأن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين ، وروى الشيخان واللفظ للبخارى عن أنس - رضي الله عنه - قال : خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي : أف ولا : لم صنعت ؟ ولا ألا صنعت (٣) .

وروى الامام مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله

=====

(١) صحيح البخارى : الأطعمة ، رقم الحديث ٥٠٦١ ، وأخرجه مسلم في

الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب ، رقم الحديث ٢٠٢٢ .

(٢) سنن الترمذى : صفة القيامة ، رقم الحديث ٢٥١٦ ، ج ٤ / ٦٦٧ .

(٣) صحيح البخارى : الأدب ، رقم الباب ٣٩ ورقم الحديث ٥٦٩١ ، وأخرجه

مسلم في الفضائل باب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس

خلقا ، رقم الحديث ٢٣٠٩ .

فرماني القوم بأبصارهم فقلت : واشكل أمياه ماشأنكم تنظرون الي ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي هو وأمي ، مارأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما نهزني ولا ضربني ولا شتمني قال : ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس انما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن (١) .

وقال الامام مالك انه بلغه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : بعثت لأتمم حسن الأخلق (٢) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : وانما يرحم الله من عباده الرحماء (٣) .

وقال البخارى : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانته : ثم روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا ، فقال الأقرع : ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر اليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : من لا يرحم لا يرحم (٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا (٥) .

=====

- (١) صحيح مسلم : المساجد ، رقم الباب ٧ ، رقم الحديث ٥٣٧ .
- (٢) موطأ الامام مالك رقم الحديث ١٦٣٤ ، باب حسن الخلق .
- (٣) متفق عليه : صحيح البخارى ، الجنائز رقم الحديث ١٢٢٤ ، وصحيح مسلم الجنائز : رقم الحديث ٩٢٣ .
- (٤) متفق عليه : صحيح البخارى ، الأدب رقم الحديث ٥٦٥١ ، وصحيح مسلم الفضائل : باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال ، رقم الحديث ١٣١٨ .
- (٥) سنن أبي داود : الأدب ، رقم الحديث ٤٩٤٣ ، وسنن الترمذى : البر والصلة ، رقم الحديث ، ١٩٢٠ .

فان تربية الأولاد الايمانية والأخلاقية ومسؤولية تأديبهم وتعليمهم ،
مسؤولية كبيرة على الآباء والأمهات ، لأنها توظف فطرة الولد على التوحيد وتثبته
على الايمان والاسلام ، وتزرع فيه الفضائل وتبعده عن الرذائل ، وتوجهه الى
طاعة الله عز وجل وترشده الى البر بالوالدين والأقربين ، وبدون هذه التربية
على أسس الكتاب والسنة لا يتجه الولد الى الصراط المستقيم ولا يعرف حق الخالق
عز وجل ، ولا حقوق الوالدين والأقرباء ، ولا حقوق المجتمع ، ولا يتصف بالفضائل
ولا يميز بين الخير والشر ولا يعمل لمثل أعلى ولا لهدف نبيل ، بل تفسده عوامل
الافساد من البيئة الفاسدة ، وجلساء السوء فينطلق وراء الشهوات ويعيش عيشة
البهائم ويصاحب الفساق والمجرمين حتى يكون أحدهم ، فيكفر أو يفسق ويضل ثم
يضل فيشقى ويضيع .

ولا عجب في ذلك لأن للمصاحبة تأثيرا قويا فالولد يتأثر من الجلساء ويأخذ
أفكارهم وعاداتهم وورغياتهم ، فلو كان الجليس سيء الأفكار وفساد الأخلاق ،
وخبيث الرغبات فيضيع الولد كما ضاع ولد نوح عليه السلام الذي قال الله تعالى
فيه * يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم
اني أعظك أن تكون من الجاهلين * (١) .

هذا وقد أشار القرآن الكريم الى تأثير جلساء السوء تحذيرا عنهم فقال
تعالى * ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ،
يا ليتني ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلني عن الذكر بعد ان جاءني ، وكان
الشیطان للانسان خذولا * (٢) .

وقال الامام مسلم باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ،
ثم روى حديث أبي موسى الأشعري المتفق عليه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

=====

(١) سورة هود : الآية ٤٦ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٢٧ - ٢٩ .

وفي رواية عند مسلم : فقال صلى الله عليه وسلم : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟
قال : لا ، قال : فلا تشهدني اذا فاني لأشهد على جور (١) .
وفي أخرى : فقال : أكل بنيك قد نحلته مثل ما نحلته النعمان ؟ قال :
لا ، قال : فأشهد على هذا غيري ، ثم قال : أيسرك أن يكونوا اليك في السر
سواء ؟ قال : بلى ، قال : فلا اذا (٢) .

وبعد أن ذكر الامام ابن القيم حديث النعمان بن بشير قال : ومن العجب
أن يحمل قوله - صلى الله عليه وسلم - (اعدلوا بين أولادكم) على ^{غير} الوجوب ، وهو
أمر مطلق مؤكد ثلاث مرات ، وقد أخبر الأمر به أن خلافه جور وأنه لا يصلح وأنه
ليس بحق وما بعد الحق الا الباطل ، هذا والعدل واجب في كل حال ، فلو كان
الأمر به مطلقا لوجب حمله على الوجوب فكيف وقد اقترن به عشرة أشياء تؤكد وجوبه ؟ .
وقد ذكر البيهقي من حديث أبي أحمد بن عدى حدثنا القاسم بن مهدي
حدثنا يعقوب بن كاسب حدثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري عن أنس :
أن رجلا كان جالسا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فجاء بني له فقيله وأجلسه
في حجره ثم جاءت بنته فأخذها فأجلسها الى جنبه فقال النبي - صلى الله عليه
وسلم - فما عدلت بينهما .

وكان السلف يستحبون أن يعدلوا بين الأولاد في الصلاة ، وقال بعض أهل
العلم : ان الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن
والده فانه كما أن للأب على ابنه حقا فلا ين على أبيه حق فكما قال تعالى :
﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ (٣) ، قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا
أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ (٤) .

=====

(١) صحيح مسلم : الهبات ، رقم الحديث ١٦٢٣ ، ج ٣ / ١٢٤٤ .

(٢) صحيح مسلم : الهبات ، رقم الحديث ١٦٢٣ ، ج ٣ / ١٢٤٤ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٨ . (٤) سورة التحريم : الآية ٦ .

ويجب على الآباء أن يجتنبوا مما فيه شبهة الحرام أيضا حتى لا يقعوا في الحرام من حيث لا يعلمون ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها ألا وان لكل ملك حمى ألا ان حمى الله في أرضه محارمه ، ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب (١) .

وقال البخارى : باب تفسير المشبهات ، وقال حسان بن أبي سنان : ما رأيت شيئا أهون من الورع ، دع ما يريبك الى ما لا يريبك (٢) .

وهذا التنبيه لأن فتنة الأولاد فتنة عظيمة وخطيرة ، لأنهم مما زين للناس حبه فتنة لهم ، كما قال تعالى * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * (٣) .

فان الأولاد أفلان الأكيار وقررة العيون وفتنة العقول ، ولكنهم من متاع الحياة الدنيا وفتنة واختبار ، فعلى المؤمن أن يتقى الله فيهم وفي الكسب لهم ، ولا يقع لأجلهم في الحرام والخيانة فقال تعالى * يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم * (٤) .

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية : قال عبد الرزاق بن أبي قتادة والزهرى : أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستشاروه فسي

=====

- (١) متفق عليه : صحيح البخارى الايمان ، رقم الحديث ٥٢ ، وأخرجه مسلم في المساقاة ، رقم الحديث ١٥٩٩ .
- (٢) صحيح البخارى : البيوع ، رقم الباب ٣ ، ج ٢ / ٧٢٤ .
- (٣) سورة آل عمران : الآية ١٤ .
- (٤) سورة الأنفال : الآية ٢٧ و ٢٨ .

ذلك فأشار عليهم بذلك ، وأشار بيده الى حلقه أى أنه الذبح ، ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله القصة .

وفي الصحيحين قصة حاطب بن أبي بلتعة الذى كتب الى قريش مكة بعض أسرار المسلمين وقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما حملك يا حاطب على ما صنعت : ؟ قال : ما بي الا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله وما غيرت ولا بدلت ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس من أصحابك هناك الا وله من يدفع الله به عن أهله وماله ، قال - صلى الله عليه وسلم - : صدق ، فلا تقولوا له الا خيرا ، قال فقال عمر بن الخطاب : انه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فاضرب عنقه ؟ قال : فقال صلى الله عليه وسلم : يا عمر : ما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، قال : فدعنا عمر رضي الله وقال : الله ورسوله أعلم (١) .

وقال ابن كثير بعد ذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة : والصحيح أن الآية عامة وان صح أنها وردت على سبب خاص فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء والخيانة ، الذنوب الصغار والكبار ، اللازمة والمتعدية * واعلموا : : إنما أموالكم وأولادكم فتنة * أى : اختبار وامتحان منه تعالى لكم ، اذا أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه أو تشتغلون بها عنه عزوجل ، وتعتاضون بها منه كما قال تعالى :

* إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم * (٢) .

* يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل

ذلك فأولئك هم الخاسرون * (٣) .

=====

(١) صحيح البخارى : الاستئذان رقم الحديث ٥٩٠٤ ، وأخرجه مسلم فى

الفضائل : فضائل أهل بدر رقم الحديث ٢٤٩٤ .

(٢) سورة التغابن : الآية ١٥ . (٣) سورة المنافقون : الآية ٩ .

- * يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم * (١)(٢) .
- * المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك
ثوابا وخير أملا * (٣) .
- * لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون
بصير * (٤) .

=====

=====

- (١) سورة التغابن : الآية ١٤ .
- (٢) تفسير ابن كثير : ٣٠٠ / ٢ - ٣٠١ .
- (٣) سورة الكهف : الآية ٤٦ .
- (٤) سورة الممتحنة : الآية ٣ .

الفصل الرابع

مسؤولية الأُولاد نحو الوالدين

(١) ان حق الوالدين على الأولاد كبير وعظيم لأنه يلي حق الله الخالق المنعم :

فقال تعالى * وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما
يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا
كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا* (١)
قال الجوهري : القضاء ، الحكم ، وقضى أى حكم ، ومنه قوله تعالى :

* وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * (٢) .

وقال ابن المنظور : القضاء الحتم والأمر ، وقضى أى حكم ، ومنه القضاء
والقدر ، وقوله تعالى * وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه * أى أمر ربك وحتم وهو أمر
قاطع حتم (٣) .

وقال الفراء : * وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه * كقولك أمر ربك ، وقوله
(وبالوالدين احسانا) معناه : وأوصى بالوالدين احسانا ، والعرب تقول :
أوصيك به خيرا وآمرك به خيرا ، ومعناه : آمرك أن تفعل به خيرا ، ثم تحذف
(أن) فتوصل الخير بالوصية ويسال الأمر (٤) .

* اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما * ، (يبلغن) قرأه حمزة
والكسائي بألف ونون مكسورة مشددة بعد الألف ، والباقون بنون مشددة مفتوحة
من غير ألف قبلها .

وحجة من قرأ بألف أنه شئ الفعل لتقدم ذكر الوالدين وأعاد الضمير في
(أحدهما) على طريق التأكيد كما قال تعالى * أموات غير أحياء * (٥) .

=====

(١) سورة الاسراء : الآية ٢٣ و ٢٤ .

(٢) الصحاح للجوهري : ٢٤٦٣ / ٦ .

(٣) لسان العرب : ١٨٧ / ١٥ .

(٤) معاني القرآن لأبي زكريا بن زياد الفراء المتوفي ٢٠٧ هـ ، ج ٢ / ١٢٠ .

(٥) سورة النحل : الآية ٢١ .

ويجوز أن يكون وقعت التثنية في (ييلغان) لتقدم ذكر الوالدين ، ثم
أبدل (أحدهما أو كلاهما) من الضمير في (ييلغان) في قراءة التثنية (١) .
(فلا تقل لهما أف) قال الجوهري : (أف) يقال : أفا له ، أى قدرا
له ، والتنوين للتكثير وأفة وتفة ، وقد أفأفيا إذا قال : أف ، قال تعالى :
(فلا تقل لهما أف) وفيه ست لغاتحكاها الأخص :
أف ، أف ، أف ، أف ، أف ، أف ، ويقال : أفا وتفا وهو اتباع له
(الصحاح ٤ / ١٣٣١) .

وقال ابن المنظور : أف : الأف الوسخ الذى حول الظفر ، والتف الذى فيه
وقيل : الأف وسخ الأذن ، والتف وسخ الأظفار ، يقال ذلك عند استقذار الشيء ثم
استعمل ذلك عند كل شيء يضجر منه ويتأذى به ، والأف : الضجر .
وأف : كلمة تضجر وفيها عشرة أوجه ، ثم ذكر الستة التي ذكرها الجوهري
وأضاف - وأفي ممال ، وأفي وأفه وأف ، خفيفة من أف مشددة ، وقد جمع جمال الدين
ابن مالك هذه العشر لغات في بيت واحد وهو قوله :

فأف ثلث ونون ان أردت وقل أفى أفى وأف وأفة تصب .

وقال القتيبي : في قوله عز وجل (ولا تقل لهما أف) أى لا تستثقل
شيئا من أمرهما وتضق صدرا به ولا تغلظ لهما ، قال : والناس يقولون : لما
يكرهون ويستثقلون أف له ، .

وقال الزجاج : معنى أف النتن ، ومعنى الآية : لا تقل لهما ما فيه أدنى
تبرم إذا كبرا أو أسنا بل تولّ خدمتهما .

وقال ابن الأثير : معناه الاستقذار لما شم وقيل معناه الاحتقار (٢) .

وقال مكّي بن أبي طالب : قوله (فلا تقل لهما أف) قرأ نافع وحفص بكسر

الفاء والتنوين .

=====

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٤٤ .

(٢) لسان العرب : ٦ / ٩ و ٧ .

وقرأ ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين ، وقرأ الباقون بكسر الفاء من غير تنوين . وهي لغات كلها ، وأصل (أف) المصدر من قوله (أفه وتفه) ، أى نتنا ودفرا ، وهو اسم سمي به الفعل فبنى على فتح أو على كسر أو على ضم منون ، وغير منون ، ذلك جائز فيه لأن فيه لغات مشهورة ، فمن نونه قدر فيه التنكير ، ومن لم ينونه قدر فيه التعريف ومعناه لا يقع منك لهما تكره وتضجر ، وموضع (أف) نصب بالقول كما تقول : لا تقل لهما شتما (١) .

معنى الآية بايجاز :

لما نهى الله تعالى عن الشرك به بقوله * لا تجعل مع الله الها آخر فتتعد مذموما مخذولا * (٢) أمر بالتوحيد و إخلاص العبادة له سبحانه فقال :

* وقضى ربك * قضاء دينيا وحكم وأمر أمرا شرعيا .

(أن لا تعبدوا) أحدا من أهل الأرض والسموات الأحياء والأموات .

(الا اياه) عز وجل لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى له كل صفة

كمال وهو المنعم الحقيقي بالنعمة الظاهرة والباطنة ، الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور ، واذا كان هو المتفرد بذلك كله فله العبادة وحده لا شريك له ، .

ثم ذكر الله عز وجل بعد حقه الذى هو أعظم الحقوق وجوب القيام بحق الوالدين

فقال (وبالوالدين احسانا) أى أحسنوا اليهما بجميع وجوه الاحسان القولي والفعلي ، لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والاحسان اليه ، والقرب ما يؤكد حقهم عليه ووجوب البر بهم .

(اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) أى اذا وصلا الى هذا

السن الذى تضعف فيه قواهما ويحتاجان الى اللطف والاحسان والخدمة .

=====

(١) الكشف عن القراءات السبع ٢ / ٤٤ .

(٢) سورة الاسراء : الآية ٢٢ .

(فلا تقل لهما أف) وهذا أدنى مراتب الأذى نبه الله تعالى به على مساواه فالمعنى لا تؤذهما أدنى أذية .

(ولا تنهرهما) أى تزجرهما .

(وقل لهما قولاً كريماً) أى تأدب معهما وتلطف حتى فى الكلام ، فلا

تكلمهما الا بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما وتطمئن به نفوسهما .

(واحفظ لهما جناح الذل من الرحمة) أى تواضع لهما ذلاً لهما ورحمة

واحتساباً الأجر لا لأجل الخوف منهما أو من المجتمع أو الرجاء لما لهما ، ونحو

ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد ، بل طاعة لأمر الله تعالى وتقرباً اليه

سبحانه وجزاء لاحسانهما اليه وحباً فيهما .

(وقل رب ارحمهما) أى ادع الله لهما بالرحمة أحياء وأمواتاً ، جزاءً

على تربيتهما تربية حسنة اياك صغيراً واحسانهما اليك وأنت طفل عاجز .

وقال ابن العربي : * وقضى ربك * أى أمر ، فأمر الله سبحانه بعبادته

وبر الوالدين كما قرن شكرهما بشكره . .

وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه - رضي الله عنه -

قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى

يارسول الله ، قال : الاشرار بالله وعقوق الوالدين (١) .

وقال البخارى : باب عقوق الوالدين من الكبائر ، ثم روى عن المغيرة عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعها وهات ،

وواد البنات وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال واضاعة المال (٢) .

=====

(١) صحيح البخارى : الأدب ، رقم الحديث ٥٦٣١ ، وصحيح مسلم : الايمان

باب بيان أكبر الكبائر ، رقم الحديث ٨٧ .

(٢) صحيح البخارى : الأدب ، رقم الحديث ٥٦٣٠ ، وصحيح مسلم : الأفضية

رقم الباب ٥ ، ورقم حديث الباب ١٢ ، ورقم الحديث =

ومن البر والاحسان اليهما ألا نتعرض لسيهما ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل : يارسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه (١) .

(اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) خص حالة الكبر (في الذكر) لأنها بطول المدى توجب الاستثقال عادة ، ويحصل الملل ويكثر الضجر ، فيظهر غضبه على أبويه وتنتفخ لهما أوداجه ويستطيل عليهما ، وأقل المكروه أن يوقف لهما وهو ما يظهره بتنفسه المردد من الضجر ، وأمر بأن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة وهو السالم عن كل عيب ومكروه .

(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) معناه : تذلل لهما تذلل الرعية للأمر ، والعبيد للسلادة ، وضرب خفض الجناح ونصبه مثلا لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده أو لغيره من شدة الاقبال والذل هو اللين واليهون في الشيء . (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أى ادع لهما في حياتهما وبعد مماتهما بأن يكون البارئ يرحمهما كما رحماك ويرفق بهما كما رفق بك ، فان الله هو الذى يجزى الوالد عن الولد اذ لا يستطيع الولد كفاً على نعمة والده أبداً .

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يجزى ولد والدا الا أن يجده مملوكا فيشتره فيعتقه (٢) .

=====

١٧١٥ ، وقال النووي في شرح (منع وهات) : أنه نهى أن يمنع الرجل ما توجه عليه من الحقوق أو يطلب ما لا يستحقه (شرح صحيح مسلم للامام النووي ١٢/١٢) .

(١) صحيح البخارى : الأدب ، رقم الحديث ٥٦٢٨ ، وصحيح مسلم : الايمان رقم الحديث ٩٠ .

(٢) صحيح مسلم : العتق ، رقم الحديث ١٥١٠ ، ج ٢ / ١١٤٨ .

وينبغي للولد أن يعلم أنهما ولياه صغيرا جاهلا محتاجا ، فأشراه على
أنفسهما وسهرا ليلهما وأناماه وجاعا وأشبعاه ، وتعريا وكسواه ، فلا يجزيهما
الا أن يبلغا من الكبر الى الحد الذي كان هو فيه من الصغر ، فيلي منهما ما
ولياه منه ، ويكون لهما حينئذ عليه فضل التقدم بالنعمة على المكافئ عليها (١) .
وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية : يقول تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا
الا اياه ﴾ أما بعبادته وحده لا شريك له فان القضاء هاهنا بمعنى الأمر ، قال
مجاهد : (وقضى) يعني وصى ، ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال :
(وبالوالدين احسانا) أى وأمر بالوالدين احسانا كقوله تعالى ﴿ أن اشكر لي
ولوالديك الي المصير ﴾ (٢) .

(اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أى لا تسمعهما
قولا سيئا حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب القول السيئ .

(ولا تنهرهما) أى ولا يصدر منك اليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن
أبي رباح : أى لا تنفض يدك عليهما .

ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل
الحسن فقال : (وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل
رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أى في كبرهما وعند وفاتهما .

وروى الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال : رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف ، قيل : من يارسول الله ؟ قال من أدرك
أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة (٣) (٤) .

=====

(١) أحكام القرآن ٣ / ١١٩٧ - ١٩٩ ، لابن العربي وهو أبو بكر محمد بن عبد
الله (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي رقم
الترجمة ١٠٨١ ، ج ٤ / ١٢٩٤ .

(٢) هذا جزء من قوله تعالى ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن
وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير) سورة لقمان : ١٤ .

(٣) صحيح مسلم : البر والصلة ، رقم الحديث ٢٥٥١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٤ .

٢ / حقوق الوالدين عظيمة ، ولكن حق الأم أعظم :

قال تعالى * ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير ، وان جاهدك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الي ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * (١) .

قال ابن جرير : يقول تعالى : وأمرنا الانسان ببر والديه (حملته أمه وهنا على وهن) أي ضعفا على ضعف وشدة على شدة .

ثم روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال : شدة على شدة ، وخلقاً بعد خلق .

وعن الضحاك قال : ضعفا على ضعف .

وعن قتادة : أي جهدا على جهد .

(وفصاله في عامين) أي وفطامه في انقضاء عامين .

(أن اشكر لي ولوالديك) أي عهدنا اليه أن اشكر لي على نعمتي عليك

ولوالديك على تربيتهما اياك وعلاجهما فيك ماعالجا من المشقة حتى استحکم قواك .

(الي المصير) الي الله مصيرك أيها الانسان وهو سائلك عما كان ممن

شكرك لوالديك وبرك بهما على ما لقي منك من العناية والمشقة في حال طفوليتك وصباك (٢) .

وقال البخارى : من أحق الناس بحسن الصحبة : ثم روى عن أبي هريرة

رضي الله عنه قال : جاء رجل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول

الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك ،

=====

(١) سننورة لقمان : الآية ١٤ و ١٥ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى : المجلد التاسع ج ٢١ / ٦٩ و ٧٠ .

قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك ، قال ثم من : قال ثم أبوك (١) .

وفي رواية عند مسلم : قال ثم أبوك ، ثم أدناك ، ثم أدناك (٢) .

٣ / طاعة الوالدين واجبة ما لم تكن معصية لله رب العالمين ، لأنه لاطاعة . .

. . لمخلوق في معصية الخالق .

قال تعالى * وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الي ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * .

أي لو أجبرك على الشرك بالله وعلى أن تتابعهما على دينهما الباطل فلا تقبل منهما ذلك أبدا ، وهذا لا يمنعك أن تحسن اليهما في أمور الدنيا ، وتخدمهما فيما يحتاجان اليك .

(واتبع سبيل من أناب الي) يعني المؤمنين ، وروى الامام مسلم عن مصعب ابن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال : حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمت أن الله وصىك بوالديك وأنا أمك وأنا أمرك بهذا ، قال : مكث ثلاثا حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية * ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * (٣) .

وفيها * وصاحبهما في الدنيا معروفا * (٤) .

=====

(١) صحيح البخارى : الأدب ، رقم الحديث ٥٦٢٦ ، وأخرجه مسلم في البر

والصلة رقم الحديث ٢٥٤٨ .

(٢) صحيح مسلم : البر والصلة ، رقم الحديث ٢٥٤٨ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٨ . (٤) من الآية رقم ١٥ في سورة لقمان .

فهذه توصية الله عز وجل للأولاد بالبر والاحسان الى الوالدين بأسلوب بليغ مؤكد ، وقد تكررت الوصية للأولاد بالوالدين في القرآن الكريم وفي وصايا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم ترد وصية الوالدين بالأولاد الا قليلا ، لأن الفطرة مدفوعة الى رعاية الجيل الناشئ ، وان الوالدين لبيذلان لوليدهما كل ما يملكون من عزيز وغال عادة من غير تأفف ولا زجر ، ولا شكوى ، بل بغير انتباه ولا شعور بل في نشاط وفرح وسرور .

وأما الوليد فهو في حاجة الى الوصية المتكررة بمسؤوليته نحو الوالدين ، الجيل المضحي الذاهب في اديار الحياة بعدما سكب عصارة عمره وطاقاته للجيل المتجه الى مستقبل الحياة .

ومما يرسم صورة جميلة لذلك البذل الجميل قوله تعالى ﴿ حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ﴾ ، فالأم بطبيعة الحال تحتل النصيب الأوفر ، وتجود به في انعطاف أصعب وأشد وأحنى وأرفق ، .

فلهذا يجب على الولد أن يشكر الله المنعم الأول الحقيقي أولا ، ثم يشكر الوالدين المنعمين التاليين في ظاهر الأسباب فيرتب الشكر والواجبات ، فيجيب شكر الله وطاعته أولا ثم شكر الوالدين وطاعتها ، ولا تزال طاعة الله الخالق تكون مقدمة على طاعة الوالدين ، فمهما بذل الوالدان أو أحدهما من جهد واجبار ومغالبة واقناع بأن يشرك الولد بالله الأحد أو يعصيه ، فهو أمور بعدم الطاعة هنا للوالدين من الله عز وجل صاحب الحق الأول .

ولكن الاختلاف في العقيدة والدين والمسلك لا يسقط حق الوالدين في الاحسان اليهما في أمور الدنيا من المعاملة الطيبة والصحة الكريمة ، لقوله تعالى ﴿ وصاحبهما في الدنيا معروفا ﴾ .

٤ / جزاء المؤمنین الصالحین الشاکرین لربهم ، البارین بالوالدین . . .

.....
 . . . المحسنین الی الأولاد ، التائبین الی الله الثابتین علی دینهم
 الاسلام .

ان الذین یطیعون الله تعالی ویطیعون رسوله صلی الله علیه وسلم ،
 ویشکرون ربهم الخالق ، ویحسنون الی الوالدین ویدعون لهم بالرحمة والمغفرة
 یربون أولادهم تربية حسنة ویدعون لأولادهم وذریتهم بالصلاح والتوفیق ،
 یتوبون الی ربهم ولا یخافون فی الله لومة لائم ، أولئك الذین یتقبل الله عنهم
 أحسن ما عملوا ویتجاوز عن سیئاتهم ویدخلهم الجنة كما قال تعالی :

﴿ووصینا الانسان بوالديه احسانا ، حملته أمه کرها ووضعتہ کرها ، وحمله
 وفصاله ثلاثون شهرا ، حتی اذا بلغ أشده وبلغ أربعین سنة قال رب أوزعنی أن
 أشکر نعمتك الی أنعمت علی وعلی والدی ، وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأصلح لی
 فی ذریتی انی تبت الیک وانی من المسلمین ، أولئك الذین نتقبل عنهم أحسن
 ما عملوا ونتجاوز عن سیئاتهم فی أصحاب الجنة وعد الصدق الذی كانوا یوعدون﴾ (١) .
 قال ابن المنطور : قال الفراء : کره بالضم المشقة ، قمت علی مشقة علی
 کره أی علی مشقة .

(أشده) الشدة الصلابة تكون فی الجواهر والأعراض ، وقال ابن سید
 الناس : وبلغ الرجل أشده اذا اکتهل ، وقال الزجاج : هو من نحو سبع عشرة سنة .
 وقال مرة : هو ما بین الثلاثین والأربعین (٢) .

وقال الفراء فی تفسیر (أشده) ، یقال : ان الأشد هاهنا هو الأربعون
 وسمعت بعض المشیخة یذكر باسناد له فی الأشد : ثلاث وثلاثون وفي الاستواء :
 أربعون ، ونزلت هذه الآیة كما قال ابن عباس فی أبی بکر رضی الله عنه الی
 قوله ﴿ أولئك الذین نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ﴾ الآیة (٣) .

(١) سورة الأحقاف : الآیة ١٥ و ١٦ .

(٢) اللسان ج ١٣ / ٥٣٤ ، وج ٣ / ٢٣٢ - ٢٣٥ .

(٣) معانی القرآن : لأبی زکریا یحیی بن زیاد الفراء ، ج ٣ / ٥٢ - ٥٣ .

القراءات :

قال مكّي بن أبي طالب : قوله (بوالديه احسانا) قرأه الكوفيون وهم
عاصم وحمزة والكسائي (احسانا) على وزن افعالا مثل اكرام .
وقرأ الباقر (حسنا) على وزن فعل ، مثل قفل وحجة من قرأ على وزن
افعال أنه جعله مصدرا لأحسن ، على تقدير : أن يحسن اليهما احسانا .
وحجة من قرأ على فعل أنه على تقدير حذف مضاف وحذف موصوف تقديره :
ووصينا الانسان بوالديه امرأ ذا حسن ، أي : ليأت الحسن في أمرهما فحذف
المنعوت وقام النعت مقامه وهو (ذا) ثم حذف المضاف وقام المضاف اليه مقامه وهو
حسن .

(كرها) قرأه الكوفيون وابن زكوان بالضم في الكاف ، وقرأه الباقر بالفتح
وهما لغتان .

وقوله (نتقبل - ونتجاوز) قرأ ذلك حفص وحمزة والكسائي بالنون فيهما وهي
مفتوحة ، وينصب (أحسن) .

وقرأ الباقر بياء مضمومة منهما ورفع (أحسن) (١) .

معنى الآية بايجاز :

من لطف الله عز وجل أن وصّى الأولاد وعهد اليهم أن يحسنوا الى والديهم
بالقول اللطيف الجميل ، وبذل المال والخدمة . وغيرها من وجوه الاحسان ، ثم
نبه تعالى على بعض السبب الموجب لذلك ، فذكر ما تحملته الأم من ولدها وما قاسته
من المكارة وقت حملها ثم مشقة ولادتها ، المشقة الكبيرة ثم مشقة الرضاعة وخدمة
الحضانة ، وليس ذلك مدة يسيرة وانما (حمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا
بلغ أشده * أي نهاية قوته وشبابه وكمال عقله * وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني *

=====

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع : ج ٢ / ٢٧٢ .

أى ألهمني ووفقني * أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ، وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي * ، لما دعا لنفسه بالصلاح دعا لذريته أن يصلح الله أحوالهم ويجعلهم مؤمنين صالحين ، لأن صلاح الأولاد يعود نفعه على والديهم أيضا ، وهذا كقوله تعالى * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما * (١) .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله

الا من ثلاثة : الا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوه (٢) .

(اني تبت اليك واني من المسلمين) أى تبت اليك من الذنوب ورجعت

الى طاعتك واني من عبادك المؤمنين الموحدين المطيعين لأوامرك والمجتنبين عن نواهيك ، وهذا ارشاد من الله عز وجل لمن بلغ أشده واستوى وبلغ الأربعين أن يكثر من التوبة الى ربه عز وجل والانابة اليه بكثرة الطاعات والاستغفار والدعاء ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، اللهم اني أعوذ بعزتك لا اله الا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والانس يمشون (٣) .

وأيا كان يقول : اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمرى وأصلح لي

دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادى ، واجعل الحياة

زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر (٤) .

=====

(١) سورة الفرقان : الآية ٧٤ .

(٢) صحيح مسلم : الوصية ، رقم الحديث ١٦٣١ .

(٣) صحيح مسلم : الذكر والدعاء ، رقم الحديث ٢٧١٧ .

(٤) صحيح مسلم : الذكر والدعاء ، رقم الحديث ٢٧٢٠ .

وأيضاً كان يقول : اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي جدى وهزلي وخطئي وعمدى ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير (١) .

وأيضاً كان يقول : اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى (٢) .

وأيضاً كان يقول : اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكها وأنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها (٣) .

وأيضاً كان يقول : اللهم اني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر ، وفتنة الدنيا وعذاب القبر (٤) .

(أولئك الذين) تقدمت صفاتهم .

(نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) وهي الطاعات ، لأنهم يعملون غيرها أيضاً

(ونتجاوز عن سيئاتهم في) جملة (أصحاب الجنة وعد الصدق الذى

كانوا يوعدون) .

٥ / ويهد القرآن الكريم للأشقياء العاقين للوالدين العاصين لربهم :

قال تعالى * والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق ، فيقول : ما هذا الا أساطير الأولين ، أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من

=====

(١) متفق عليه : صحيح مسلم : الذكر والدعاء رقم الحديث ٢٧١٩ ، وصحيح

البخارى : الدعوات ، رقم الحديث ٦٠٣٥ .

(٢) صحيح مسلم : الذكر والدعاء ، رقم الحديث ٢٧٢١ .

(٣) صحيح مسلم : الذكر والدعاء ، رقم الحديث ٢٧٢٢ .

(٤) صحيح مسلم : الذكر والدعاء ، رقم الحديث ٢٧٢٣ .

الجن والانس انهم كانوا خاسرين ، ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون * (١) .

القراءات :

(أف) تقدم بيان القراءات فيها في آية الاسراء .

(وليوفيهم) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وهشام بالياء ، والباقيون بالنون (٢) .

وقال ابن كثير : لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما ومالهم عنده من الفوز والنجاة عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال : (والذي قنال للوالديه أف لكما) وهذا عام في كل من قال هذا ، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه فقوله ضعيف لأن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وكان من خيار أهل زمانه .

وقد نفت عائشة - رضي الله عنها - هذا الاتهام ، فروى البخارى في تفسير هذه الآية مسندا عن يوسف بن ماهك قال : كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - فخطب وجعل يذكر يزيد بن معاوية لكسي بياع له بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه شيئا فقال : خذوه فدخل بيت عائشة رضي الله عنها فلم يقدروا عليه فقال : مروان : ان هذا الذي أنزل فيه (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خللت القرون من قبلي) ، فقالت عائشة رضي الله عنها من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن الا أن الله تعالى أنزل عذري (٣) .

=====

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٧ - ١٩ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع : ٢٧٢ / ٢ - ٢٧٣ .

(٣) صحيح البخارى : التفسير : رقم الحديث ٤٥٥٠ ، ج ٤ / ١٨٢٧ .

وقوله (أتعداني أن أخرج) أى أبعث .

(وقد خلت القرون من قبلي) أى قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر .

(وهما يستغيثان الله) أى يسألان الله فيه أن يهديه ويقولان لولده :

(ويلك آمن ان وعد الله حق ، فيقول ما هذا الا أساطير الأولين) .

قال تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من

الجن والانس انهم كانوا خاسرين) أى دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من

الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة .

وقوله (أولئك) بعد قوله (والذي قال) دليل على ما ذكرناه من أنه

جنس يعم كل من كان كذلك .

وقال الحسن وقتادة : هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث .

وقوله (ولكل درجات مما عملوا) أى لكل عذاب بحسب عمله (وليوفيهم أعمالهم

وهم لا يظلمون) أى لا يظلمهم مشقال ذرة فما دونها (١) .

٦ / وجوب صلة الرحم :

ان الله عز وجل أوجب صلة الرحم بالاحسان الى الوالدين والأقرباء ،

ذوى الأرحام ، وقد ذم الله تعالى الذين يقطعونها ويفسدون في الأرض ،

ولعنهم ، قال تعالى * فهل عسيتم ^{ان توليتم} أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ،

أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * (٢) .

قال ابن كثير : قوله (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا

أرحامكم) أى تعودوا الى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون

=====

(١) تفسير ابن كثير : ١٥٨ / ٤ - ١٥٩ .

(٢) سورة محمد : الآية ٢٢ و ٢٣ .

الأرحام ، ولهذا قال تعالى (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) .

وهذا نهى عن الافساد في الأرض عموماً ، وعن قطع الأرحام خصوصاً ، بل قد أمر الله تعالى بالاصلاح في الأرض وصلة الأرحام وهو الاحسان الى الأقارب في المقال والأفعال ، وبذل الأموال وقد وردت الصحاح بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فروى البخارى في تفسير هذه الآية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال له : مه ، قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب ، قال : فذاك ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : اقرؤوا ان شئتم * فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * (١) (٢) .

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يدخل الجنة قاطع (٣) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه (٤) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها (٥) .

والله أعلم ،،،،

=====

- (١) صحيح البخارى : التفسير : رقم الحديث ٤٥٥٢ ، وأخرجه مسلم فى البر والصلة باب : صلة الرحم وتحريم قطعها ، رقم الحديث ٢٥٥٤ .
- (٢) تفسير ابن كثير ٤ / ١٧٨ .
- (٣) صحيح البخارى : الأدب ، رقم الحديث ٥٦٣٨ ، وصحيح مسلم ٢٥٥٦ .
- (٤) صحيح البخارى : الأدب رقم الحديث ٥٦٣٩ ، وصحيح مسلم برقم ٢٥٥٧ .
- (٥) صحيح البخارى : الأدب ، رقم الحديث ٥٦٤٥ .

الفصل الخامس

مسؤولية المسلم نحو جاره

قال تعالى * واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا * (١) .

قال ابن المنصور : (الجنب) الجانبشق الانسان وغيره ، تقول : قعدت الى جنب فلان والى جانبه بمعنى والجمع جنوب وجوانب ، وقال الفراء : الجنب القرب ،

وقوله (على ما فرطت في جنب الله) * أى في قرب الله وجواره .

وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) يعني الذى يقرب منك ويكون الى جنبك وكذلك جار الجنب أى اللازم بك الى جنبك ، وقيل : الصاحب بالجنب صاحبك فى السفر (٢) .

القراءات :

(بالبخل) قرأه حمزة والكسائي بفتحيتين والباقون بضم الباء واسكان الخاء وكلها مصادر مسموعة (٣) .

ان الله عز وجل فى هذه الآية أمر ألا بعبادته وحده ، ونهى عن الشرك به شيئا لا ملكا ولا نبيا ولا وليا ولا شمسا ولا قمرا ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

فالسواجب اللازم هو اخلاص العبادة لله وحده الذى له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وله الخلق والأمر والتدبير والحياة والموت والبعث والسؤال والجزاء والخلق كله فقير اليه وهو الغنى الحميد .

=====

(١) سورة النساء : الآية ٣٦ .

(٢) اللسان : ٢٧٦ / ١ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٣٨٩ .

* سورة الزمر : الآية ٥٦ .

ثم أمر تعالى بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب ، فقال تعالى :
 (وبالوالدين احسانا) ، أى أحسنوا إليهم بالقول الكريم والخطاب اللطيف
 والفعل الجميل بطاعة أمرهما والقيام بخدمتهما والانفاق عليهما .
 (وبذى القربى) أى أحسنوا الى ذى القربى أيضا ويشمل ذلك جميع
 الأقارب .

(واليتامى) : الذين فقدوا آباءهم وهم صغار فلهم حق على المسلمين
 سواء كانوا أقارب أو غيرهم بكفالتهم وبرهم وجبر خواطرهم وتأديبهم وتربيتهم
 وتعليمهم .

(والمساكين) وهم الذين أسكنتهم الحاجة والفقير فما عندهم الكفاية ولا
 كفاية من يكفلون ، فأمر الله بالاحسان إليهم بسد خلتهم ودفع فاقتهم والحض على
 ذلك .

(والجار ذى القربى) أى الجار القريب الذى له حقان ، حق الجوار ،
 وحق القرابة ، فله على جاره حق واحسان .

(والجار الجنب) أى وكذلك أحسنوا الى الجار الذى ليس له قرابة ، وكلما
 كان لجار أقرب بابا كان أكد حقا ، فينبغي للمسلم أن يتعاهد جاره بالهدية
 والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل .

(والصاحب بالجنب) قيل : الجار البعيد وقيل الرفيق في السفر ، وقيل :
 الرفيق في الحياة وهي الزوجة ، وقيل : الصاحب مطلقا ، ولعله أولى فانه يشمل
 جميع الأصحاب ، فعلى الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد اسلامه من مساعدته
 على أمور دينه ودنياه والنصح له ، والوفاء معه في اليسر والعسر والمنشط والمكره
 وأن يحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، وكلما زادت الصحبة وقربت
 وقويت تأكد الحق .

(وابن السبيل) وهو الغريب الذى احتاج في بلد الغربية ، فله حق على

المسلمين وتجب عليهم مساعدته فيما يحتاج اليه واکرامه وتأنيسه .

(وما ملكت أيمانكم) أى أحسنوا الى ما ملكت أيمانكم أيضا من الآدميين

والبهائم بالقيام بكفائيتهم وعدم تحميلهم ما يشق عليهم واعانتهم على ما تحملوا وتأديبهم
لما فيه مصلحتهم .

فمن قام بهذه الأمور فهو المؤمن بالله حقا ، المتبع المتواضع المستحق

للثواب والاکرام ومحبوب عند ربه تعالى ، ومن لم يقم بها فانه متكبر فخور ، ومعرض

عن أمر ربه وذكره وغير محبوب عند الله عز وجل كما قال تعالى ﴿ ان الله لا يحب من

كان مختالا فخورا ﴾ .

وقال الامام البخارى : باب الوصاءة بالجار وقول الله تعالى (واعبدوا الله

ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى

القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب . . .) الآية ، ثم روى عن عائشة رضي الله

عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مازال يوصيني جبريل^٤ بالجار حتى

ظننت أنه سيورثه (١) .

وقال البخارى : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ثم روى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن

بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ،

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (٢) ، وقالت عائشة رضي الله

عنها : قلت يا رسول الله : ان لي جارين فالى أيهما أهدى ؟ قال : الى أقربهما منك

بابا (٣) .

والله أعلم ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ، وآخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين .

=====

(١) صحيح البخارى : الأدب رقم الحديث ٥٦٦٨ ، ج ٥ / ٢٢٣٩ ، وصحيح مسلم

البر والصلة باب الوصية بالجار والاحسان اليه ، رقم الحديث ٢٦٢٤ .

(٢) صحيح البخارى : الأدب ، رقم الحديث ٥٦٧٢ ، وصحيح مسلم : الايمان

رقم الحديث ٤٧ .

(٣) صحيح البخارى : الأدب ، رقم الحديث ٥٦٧٤ .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

#####

خاتمة البحث

الحمد لله الذي لا إله إلا هو ، له الحمد في الأولى و الآخرة ، و له الحكم و إليه نرجع ، و الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، و الصلاة و السلام على عباده الذين اصطفى .
و بعد :

١ - البحث بالإجمال :

فإن الله عز و جل خالق الكون و مالكه و رب العالمين ، خلق الإنسان و أكرمه و انعم عليه ليبتليه ، و جعله سميعا بصيرا ، و بين له الهداية من الضلالة ، ثم خيره بين أن يكون عبدا مؤمنا شكورا لربه تعالى أو يكون عاميا كفورا له عز و جل .

فهذا الإنسان المخلوق المكرم المختار كلفه الله تعالى بحمل أمانة التكليف بطاعته باتباع ما أنزل الله على رسوله ، فإنه مسؤول أمام الله الحاكم السائل قبل كل شيء . و هذا الذي بيّنته بالتفصيل في الباب الأول " مبادئ المسؤولية و أسسها في الإسلام " .

هذا ... و إن أهمّ المسؤوليات للإنسان نحو الله ربّ العالمين الإيمان به عز و جل و عبادته وحده و اتباع ما أنزله في كتابه و على لسان رسوله صلى الله عليه و سلّم اتباعا كاملا و القيام بما فرض الله على عباده المؤمنين من الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج . و قد بينت هذه المسؤوليات من القرآن الكريم في الباب الثاني " المسؤولية الفردية. نحو اللسسه ربّ العالمين " .

ومن أهمّ مسؤوليات المسلم الفردية نحو العباد من ربّ العباد مسؤوليته نحو أعضاء أسرته مثل مسؤولية الزوج نحو زوجته و مسؤولية الزوجة نحو زوجها ، و مسؤولية الوالدين نحو الأولاد و مسؤولية الأولاد نحو الوالدين و ذوي الأرحام ، و مسؤولية المسلم نحو جاره ، و قد بينت هذه المسؤوليات للمسلم من القرآن الكريم في الباب الثالث " مسؤولية المسلم نحو أعضاء أسرته " .

هذا . . . و إنّ أساس قيام الإنسان بجميع هذه المسؤوليات صلاح أعضاء نفسه السبعة التي يجب عليه حفظها و رعايتها ، فإنه يسأل عنها و يحاسب حسابا دقيقا .

٢ - مسؤولية المسلم نحو أعضاء نفسه :

فإنّ مسؤولية المسلم نحو أعضاء نفسه أيضا مسؤولية كبيرة و إنّ الأعضاء التي يسأل عنها سبعة ، و هي القلب ، و اللسان ، و السمع و البصر ، و الفرج ، و اليد ، و الرجل .

قال تعالى : " و لا تقف ما ليس لك به علم إنّ السمع و البصر و الفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولا " (١) أي و لا تقف ما ليس لك به علم ، بل تثبت في كلّ ما تقوله و تفعله ، فلا تظنّ أنّ ذلك يذهب ، لا لك و لا عليك ، بل اعلم أنك تسأل و تحاسب في جميع أعضاءك حسابا دقيقا ، و خاصة في القلب ، لأنه أساس كلّ تصرفات الإنسان ، و هو الملك و الأعضاء الأخرى جنوده ، فإذا صلح الملك صلح كلّ من تحت رعايته فلهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم : " ألا و إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، و إذا فسدت فسد الجسد كلّّه ، ألا و هي القلب " . (٢)

(١) سورة الإسراء - ٣٦ .

(٢) صحيح البخاري ، الإيمان - رقم الحديث : ٥٢ ج ١ / ٢٨ .

و صحيح مسلم ، المساقاة - رقم الحديث : ١٥٩٩ .

فاتق الله ايها المسلم في أعضائك ، و احذر ، و انتبه ، وأصلحها
و لا تستعملها إلا في طاعة الله تعالى ، و فيما أباحه عزّ و جلّ
و لا تشهد شهادة الزور ، و اجتنب كثيرا من الظن ، قال تعالى : " يا أيها
الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم و لا تجسسوا و لا يغتب
بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه و اتقوا الله
إنّ الله تواب رحيم " . (١)

و قال الامام البخاري : باب " يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيرا من الظنّ انّ بعض الظنّ إثم و لا تجسسوا " ، ثم روى عن أبي هريرة
رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " إياكم
و الظنّ فإنّ الظنّ أكذب الحديث و لا تحسسوا و لا تجسسوا و لا تناجسوا
و لا تحاسدوا و لا تباغضوا و لا تدابروا ، و كونوا عباد الله إخوانا . (٢)
و عند الإمام مسلم زيادة على هذا في هذا الحديث ، قال صلى
الله عليه و سلم : المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يخذله ، و لا يحقره
التقوى ههنا - و يشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر
أن يحقر أخاه المسلم ، كلّ المسلم على المسلم حرام ، دمه ، و ماله
و عرضه . (٣)

و قال الإمام البخاري : " باب حفظ اللسان " ، قال تعالى
" ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " (٤) ، ثم روى عن أبي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من كان
يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ، و من كان

(١) سورة الحجرات ، ١٢ .

(٢) صحيح البخاري ، الأدب ، رقم الحديث : ٥٧١٩ ، ج ٥ / ٢٢٥٣ .

(٣) صحيح مسلم ، البر و الصلة ، رقم الحديث : ٢٥٦٤ ، ج ٤ / ١٩٨٦ .

(٤) سورة " ق " - ١٨ .

يؤمن بالله و اليوم الآخر ، فلا يؤذ جاره ، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر ، فليكرم ضيفه . (١)

و روى البخاري عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " من يضمن لي ما بين لحييه و ما بين رجليه ، أضمن له الجنة " (٢)

و روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده " . (٣)

و عندهما عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق " . (٤)

و قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قسولا سديدا يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما " . (٥)

و قال الإمام الترمذي : حدثنا ابن أبي عمير ، حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعائي عن معمر بن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه و سلم في سفر ، فاصبحت يوما قريبا منه و نحن نسير ، فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة و يباعدي من النار . قال : لقد سألتني عن عظيم ، و إنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله و لا تشرك به شيئا ، و تقم الصلاة و تؤتي الزكاة ، تصوم رمضان ، و تحج البيت ،

(١) صحيح البخاري ، الرقاق - رقم الحديث : ٦١١٠ ، ج ٥ / ٢٣٧٦ .

(٢) صحيح البخاري ، الرقاق - رقم الحديث : ٦١٠٩ ، ج ٥ / ٢٣٧٦ .

(٣) صحيح البخاري ، الإيمان - رقم الحديث : ١٠ .

و صحيح مسلم ، الإيمان - رقم الحديث : ٤٠ .

(٤) صحيح البخاري ، الرقاق ، رقم الحديث : ٦١١٢ . و صحيح مسلم

الزهد و الرقائق - رقم الحديث : ٢٩٨٨ .

(٥) ، سورة الأحزاب - ٧٠ ، ٧١ .

ثمّ قال : ألا أدلّك على أبواب الخير ، الصوم جنة ، و الصدقة تطفيّ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، و صلاة الرجل من جوف الليل ، قال : ثمّ تلا قوله تعالى : " تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعا و مما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قسرة أعين جزاء بما كانوا يعملون " . (١) ثمّ قال : ألا أخبرك برأس الأمر كله و عموده و ذروة سنامه ؟ ، قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، و عموده الصلاة و ذروة سنامه الجهاد . ثمّ قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا نبيّ الله ، فأخذ بلسانه قال : كفّ عليك ذلك ، فقلت : يا نبيّ الله و انا لمؤاخذون بما نتسكّم به ؟ ، فقال ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم .

و قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . (٢)

و في حفظ البصر و الفرج قال تعالى : " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبير بما يصنعون و قل للمؤمنات يغضن من أبصارهنّ و يحفظن فروجهنّ و لا يبدين زينتهنّ إلاّ ما ظهر منها " الآية . (٣)

٣ - مسؤولية المسلم في محاسبة النفس و استعداده

لحساب اليوم الأكبر و عدم الإغترار بالدنيا و زينتها :

قال الله تعالى :

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد و

(١) سورة السجدة ، ١٦ - ١٧ .

(٢) سنن الترمذي ، الإيمان ، رقم الحديث ٦٦١٦ - ج ٥ / ١١ و

مسند الإمام أحمد ٥ / ٢٣١ .

(٣) سورة النور ، الآية ٣٠ - ٣١ .

اتقوا الله إِنْ الله خبير بما تعملون و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم
أنفسهم أولئك هم الفاسقون " (١) .

فعلى كلِّ إنسان أن يحاسب نفسه و أعماله ، و ينظر ماذا قدم
ليوم القيامة و الحساب ، يوم معاده و عرضه على ربّه ، "يوم لا ينفع
مال و لا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم" . (٢)

و قال تعالى : " يا أيها الناس اتقوا ربّكم و اخشوا يوماً
لا يجزي والد عن ولده و لا مولود هو جاز عن والده شيئاً إِنْ وعد الله
حقّ فلا تغرنكم الحياة الدنيا و لا يغرنكم بالله الغرور " (٣) .
و قال تعالى :

" يا أيها الناس إِنْ وعد الله حقّ فلا تغرنكم الحياة الدنيا
و لا يغرنكم بالله الغرور إِنْ الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً إنّما يدعو
حزبه ليكونوا من أصحاب السعير " . (٤)
و قال تعالى :

" استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله مالكم
من ملجأ يومئذ و ما لكم من نكير " (٥) .
و قال تعالى :

" فأما من طفئ و آثر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم هي المأوى و
أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هي المأوى " (٦)

(١) سورة الحشر ، ١٨ - ١٩ .

(٢) سورة الشعراء ، ٨٨ - ٨٩ .

(٣) سورة لقمان ، ٣٣ .

(٤) سورة فاطر ، ٦ .

(٥) سورة الشورى ، ٤٧ .

(٦) سورة النازعات ، ٣٧ - ٤١ .

و قال الإمام البخاري :

" باب مثل الدنيا في الآخرة ، و قوله تعالى : " إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما و في الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان .
و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " . (١) و قول الله تعالى :
" كلّ نفس ذائقة الموت و إنّما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار و أدخل الجنة فقد فاز و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " . (٢) " ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلهمهم الأمل فسوف يعلمون " . (٣) (٤)

و روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضی الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بمنكبي ، فقال : " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " و كان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، و إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، و خذ من صحتك لمرضك و من حياتك لموتك . (٥)

و روى الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي : - و اللفظ للبخاري - قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلّم في الخندق ، و هو يحفر و نحن ننقل التراب ، فقال : " اللهم لا عيش إلاّ عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار و المهاجرة " . (٦)

-
- (١) سورة الحديد ، ٢٠ .
(٢) سورة آل عمران ، ١٨٥ .
(٣) سورة الحجر ، ٣ .
(٤) صحيح البخاري ، الرقاق - ٥ / ٢٣٥٧ ، ٢٣٥٨ ، ٢٣٥٩ .
(٥) صحيح البخاري ، الرقاق - رقم الحديث ٦٠٥٣ ج ٥ / ٢٣٥٨ .
(٦) صحيح البخاري ، الرقاق - رقم الحديث ٦٠٥١ .
و صحيح مسلم ، الجهاد و السير ، رقم : ١٨٠٤ .

و قال الإمام البخاري :

قال علي بن أبي طالب : " ارتحلت الدنيا مدبرة و ارتحلت الآخرة مقبلة ، و لكلّ واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإنّ اليوم عمل و لا حساب ، و غدا حساب و لا عمل " (١) .

و روى البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه ، كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا " . (٢)

و روى الشيخان عن أنس بن مالك رضى الله عنه - واللفظ للبخاري - قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم " يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع منه اثنان ، و يبقى معه واحد ، يتبعه أهله و ماله و عمله ، فيرجع أهله و ماله ، ويبقى عمله " . (٣)

و قال تعالى : " ألهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر ، كلاً سوف تعلمون ، ثمّ كلاً سوف تعلمون ، كلاً لو تعلمون علم اليقين ، لترونّ الجحيم ثمّ لترونّها عين اليقين ، ثمّ لتسألنّ يومئذ عن النعيم " . (٤)

و روى البخاري عن ابن عباس معلقاً أنه قال : " التكاثر " من الأموال و الأولاد " (٥) أي : شغلكم أيها الناس التفاخر بكثرة الأموال

(١) صحيح البخاري ، الرقاق ، باب - ٤ ج ٥ / ٢٣٥٩ .

(٢) صحيح البخاري ، الرقاق ، رقم الحديث ٦١٢٠ ، ج ٥ / ٢٣٧٩ .

(٣) صحيح البخاري ، الرقاق ، رقم الحديث : ٦١٤٩ ج ٥ / ٢٣٨٨ .

و صحيح مسلم ، الزهد و الرقائق ، رقم الحديث : ٢٩٦٠ .

(٤) سورة التكاثر ، ١ - إلى - ٨ .

(٥) صحيح البخاري ، التفسير ج ٤ / ١٨٩٨ .

و الأولاد عن طاعة الله تعالى ، و عن الإستعداد للآخرة ، حتى أدرككم الموت و دفنتم في المقابر . و هذا للوعظ و التوبيخ ، ليرتدع الناس ، و ينجسوا عن الإستغال بالدنيا عن الآخرة .

وروى البخاري عن ابن عباس مسندا ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، و يتوب الله على من تاب " . (١)
و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " فوالله لا أفقر أخشى عليكم و لكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، و تهلككم كما أهلكتهم " . (٢)

و روى الامام مسلم عن مطرف عن ابيه - عبد الله بن الشخير قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم و هو يقرأ : " أهلكم التكاثر " قال : يقول ابن آدم : مالي ، مالي ، قال : و هل لك يا ابن آدم ممن مالك الا ما اكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ (٣)
و يقال من الله تعالى للانسان يوم القيامة ، " إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " (٤) .

و روى الامام مسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فضحك ، فقال : هل تدرون مم أضحك ؟ قال : قلنا : الله و رسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربّه ، يقول : يا ربّ ألم تجرني من الظلم ؟ ، قال : يقول بلى ، قال : فيقول : فإني لا أجيز عليّ الا شاهدا مني ، قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، و بالكرام الكاتبين شهودا ، قال فيختم على فيه ،

(١) صحيح البخاري ، الرقاق ، رقم الحديث : ٦٠٧٢ .

(٢) صحيح مسلم ، الزهد و الرقائق ، رقم الحديث : ٢٩٦١ - ج ٤ / ٢٢٧٣

(٣) صحيح مسلم ، الزهد و الرقائق ، رقم الحديث : ٢٩٥٨ ج ٤ / ٢٢٧٣ .

(٤) سورة الإسراء ، ١٤ .

فيقال لأركانه (أي : جوارحه و أعضائه) ، انطقي ، قال : فتنسطق بأعماله ، قال : ثم يخلى بينه و بين الكلام ، قال ، فيقول : " بعدا لكن ، و سحقا ، فعنكنّ أناضل " . (١)

و قال تعالى :

" فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، و من يعمل مثقال ذرة شرا يره " . (٢) — " يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضرا و ما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها و بينه أمدا بعيدا و يحذركم الله نفسه و الله رؤف بالعباد " . (٣) — " و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون يا و يلتنا ما لهذا الكتاب لا ينادر منيرة و لا كبيرة الا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضرا و لا يظلم ربك أحدا " . (٤) — " و ما ظلمناهم و لكن كانوا هم الظالمين " . (٥)

و روى الامام الترمذي عن ابي برزة الاسلمي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، و عن علمه فيم فعل ، و عن ماله ، من أين اكتسبه ؟ ، و فيم أنفقه ؟ ، و عن جسمه فيم ابلاه " .
قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . (٦)

و قال الامام البخاري : " باب القصاص يوم القيامة " ، ثم روى عن ابي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " من

(١) صحيح مسلم ، الزهد و الرقائق رقم الحديث : ٢٩٦٩ ج ٤ / ٢٢٨٠ .

(٢) سورة الزلزلة ، ٧ - ٨ .

(٣) سورة آل عمران ، ٣٠ .

(٤) سورة الكهف ، ٤٩ .

(٥) سورة الزخرف ، ٧٦ .

(٦) سنن الترمذي ، صفة القيامة ، رقم الحديث : ٦١٦٩ ج ٤ / ٦١٢ .

كانت عنده مظلمة لأخيه ، فليتحلله منها ، فانه ليس ثمّ دينارو لا درهم من قبل ان يؤخذ لآخيه من حسناته ، فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات اخيه فطرحت عليه " . (١)

وروى الإمام الترمذي في هذا الباب ، عن ابي هريرة رضى الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون ما المفلس ؟ قالوا المفلس فينا يارسول الله ! من لا درهم له و لا متاع ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاته و صيامه و زكاته ، و يأتي قد شتم هذا ، و قذف هذا ، و أكل مال هذا ، و سفك دم هذا ، و ضرب هذا ، فيقعد ، فيقتصّ هذا من حسناته و هذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقنصّ ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ، ثمّ طرح في النار " .

و قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . (٢)

و روى الترمذي عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : الكبّس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت ، و العاجز من اتبع نفسه هواها و تمنى على الله " . قال : هذا حديث حسن .
و قال : و معنى قوله : " من دان نفسه " ، يقول : حاسب نفسه في الدنيا قبل ان يحاسب يوم القيامة . (٣)

و قال الترمذي : و يروى عن عمر بن الخطاب قال : " حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ، و تزينوا للعرض الأكبر ، و إنّما يخفّ الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا " . و يروى عن ميمون بن

(١) صحيح البخاري ، الرقاق ، رقم الحديث : ٦١٦٩ ج ٥ / ٢٣٩٤ .

(٢) سنن الترمذي ، صفة القيامة ، رقم الحديث : ٢٤١٨ ج ٥ / ٦١٣ .

(٣) سنن الترمذي ، صفة القيامة ، رقم الحديث : ٢٤٥٩ ج ٥ / ٦٢٨ .

مهراڻ قال : " لا يكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه
من أين مطعمه و ملبسه " . (١)

فغَيِّرُوا أيها المسلمون حالكم و اعبدوا ربكم

وحده و استقيموا إليه :

ان الله عز وجل قد نصر الذين آمنوا به سبحانه حقا و عبده
وحده ، و استقاموا على الطريقة التي بينها لعباده في كتابه ، و على
لسان رسوله صلى الله عليه و سلم ، و أعزّهم و أنعم عليهم .
و ما زال نصر الله معهم و رحمته بهم ما داموا مستقيمين
باعتمادهم كتاب الله القرآن ، و سنة نبيه خاتم النبيين صلى الله عليه
و سلم .

و لكنه منذ ان غيّر معظم المسلمين حالهم هذه ، و غرّتهم
الحياة الدنيا ، و زين لهم الشيطان أعمالهم ، و حبّب إليهم تقليد أعداء
دين الله الاسلام ، و انساهم الآخرة ، و الوقوف أمام الله رب العالمين ،
فغيّر الله العزيز الجبار حالهم .

لأنّ الله القادر على كلّ شيء ، لا يغيّر حال قوم ، حتى يغيّروا
حالهم من الطاعة الى المعصية أو بالعكس : كما قال تعالى : " إنّ الله
لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بانفسهم ، و اذا اراد الله بقوم سوءا
فلا مردّ له ، و ما لهم من دونه من وال " . (٢) أي : لا يزيل الله
تعالى نعمته عن قوم إلاّ إذا بدلوا احوالهم الجميلة ، و اعمالهم الحسنة
باحوال قبيحة و اعمال سيئة .

(١) سنن الترمذي ، صفة القيامة ، ج ٤ / ٦٣٨ .

(٢) سورة الرعد - ١١ .

و هذه من سنن الله تعالى الاجتماعية انه تعالى لا يغير ما بقوم من نعمة و رحمة و عافية و أمن و عزة إلا إذا كفروا تلك النعم ، و ارتكبوا المعاصي .

و إذا أراد الله تعالى هلاك قوم أو عذابهم ، فلا يقدر على ردّ ذلك أحد ، و ليس لهم من دون الله وليّ يدفع عنهم العذاب والبلاء .
فغيّروا ايها المسلمون حالكم من معصية الى طاعته تعالى ، و من هجران كتاب الله تعالى القرآن الى الاعتصام به ، و اتباعه ، و من اهمال سنة رسول الله الى اتباعها ، و من التفرق بينكم ، و العداوة و الاختلاف الى الاتحاد و الأخوة و التعاون .

كونوا مؤمنين بالله حقا بأن تعبدوه وحده ، و تتبعوا ما أنزل اليكم من ربّكم ، و لا تتبعوا من دونه أولياء ، و تعتصموا بحبل الله جميعا ، و لا تفرّقوا ، و كونوا عباد الله إخوانا ، تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر ، و قوموا بما يجب عليكم من المسؤوليات نحو ربّكم ، و إخوانكم ، و دينكم ، و أمّتكم خير قيام ، ليغفر الله لكم ، و ينصركم ، و يثبت أقدامكم .

قال الله تعالى :

" يا أيّها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم و الذين كفروا فتعسا لهم و أضلّ أعمالهم" . (١)
" و أطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و اصبروا إنّ الله مع الصابرين " . (٢)
" هذا بيان للناس و هدى و موعظة للمتّقين و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلىون إن كنتم مؤمنين " . (٣)

(١) سورة محمد ، ٧ - ٨ .

(٢) سورة الأنفال ، ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران ، ١٣٨ - ١٣٩ .

" و إن تتولّوا يستبدل قوما غيركم ، ثمّ لا يكونوا أمثالكم " (١)
 فاستقيموا أيها المسلمون على الطريقة التي بيّنها لكم في كتابه
 و سنة نبيّه ، و لا تنحرفوا عنها ، و استغفروا ربّكم ، و توبوا اليه .
 قال الله تعالى : " فاستقم كما أمرت و من تاب معك و لا تطغوا
 إنّّه بما تعملون بصير " (٢) .
 " قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهم إله واحد
 فاستقيموا إليه و استغفروه " . (٣)
 فهذا أمر من الله عزّ و جلّ لعباده المؤمنين بالثبات و الدوام
 على الدين ، و الاستقامة عليه باتباع ما أنزل الله على رسوله اتباعا كاملا .
 و قال الإمام مسلم : جامع أوصاف الإسلام ، ثمّ روى عن سفيان
 ابن عبد الله الثقفى ، قال :
 قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا
 بعدك ، قال : قل آمننت بالله فاستقم . (٤)
 و روى البخاري عن حذيفة بن اليمان ، قال :
 "يا معشر القراء استقيموا ، فقد سبقتم سبقا بعيدا ، فان أخذتم
 يميناً و شمالاً ، لقد ضلّتم ضلالاً بعيداً " . (٥)
 المراد بالقراء علماء الكتاب و السنة ، و الخطاب مباشرة للعلماء
 و تبعاً لجميع المسلمين . (استقيموا) أي : اسلكوا طريق الاستقامة ، و
 هي كناية عن اتباع كتاب الله تعالى اتباعاً كاملاً و الاقتداء بسنن رسول
 الله صلى الله عليه و سلم فعلاً و تركاً .

(١) سورة محمد ، ٣٨ .

(٢) سورة هود ، ١١٢ .

(٣) سورة فصلت ، ٦ .

(٤) صحيح مسلم ، الإيمان ، رقم الحديث : ٣٨ .

(٥) صحيح البخاري ، الاعتماد بالكتب و السنة ، رقم الحديث ٦٨٥٣ ج ٢٦٥٦/٦ .

و قال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا

تُخَافُوا وَلَا تُحْزِنُوا وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ " . (١)

" و سارعوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السموات و الأرض أعدت

للمتقين ، الذين ينفقون في السرّاء و الضرّاء و الكاظمين الغيظ و العسافين

عن الناس ، و الله يحبّ المحسنين ، و الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا

أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، و من يغفر الذنوب إلاّ الله و

لم يصروا على ما فعلوا و هم يعلمون ، أولئك جزاءهم مغفرة من ربهم

و جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و نعم أجراً

العاملين " . (٢)

و قال تعالى في صفة المؤمنين بالله حقاً و جزاءهم عنده تعالى :

" إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم

خوفًا و طمعًا و مما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من

قرّة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون " . (٣)

و روى البخاري في تفسير هذه الآية ، عن أبي هريرة رضی الله عنه

عن رسول الله صلى الله عليه و سلّم قال :

" يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و

لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ذخرا " ثم قرأ " فلا تعلم

نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون " (٤) .

(١) سورة فصلت ، ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران ، ١٣٣ إلى ١٣٦ .

(٣) سورة السجدة ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(٤) صحيح البخاري ، التفسير ، رقم الحديث : ٤٥٠٢ ج ٤ / ١٧٩٤ .

التوصيات و العزم

قبل كل شيء أوصي نفسي بتقوى الله عزّ و جلّ ، و طاعته
 باتباع ما أنزل الله على رسوله و جميع المسلمين .
 و خاصة إخواني الذين أكرمهم الله بشرف العلم ، و أراد بهم
 خيرا بأن فقههم في الدين ، (١) و نور قلوبهم بأنوار علوم القرآن
 العظيم و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم .
 و لقد زاد الله علماء الإسلام العاملين المخلصين شرفا ، و أكّد
 مسؤوليتهم بقوله : " إنّما يخشى الله من عباده العلماء ، إنّ الله عزيز
 غفور " . (٢)
 فإنّ مسؤولية علماء الإسلام الذين هم ورثة الأنبياء (٣) و حملة

(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيرا يفقهه في
 الدين " . (متفق عليه ، صحيح البخاري : العلم رقم الحديث : ٧١ و
 صحيح مسلم : الزكاة : رقم الحديث : ١٠٣٧ .
 (٢) سورة فاطر ، ٢٩ .
 (٣) قال أبوالدرداء رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 " إنّ العلماء ورثة الأنبياء ، وإنّ الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما ، إنّما
 ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ، " (رواه ابو داود و الترمذي
 و ابن ماجه ، سنن ابي داؤد ، العلم ، رقم الحديث : ٣٦٤١ ج ٣ / ٣١٧ ،
 سنن الترمذي ، العلم ، رقم الحديث : ٢٦٨٢ ج ٥ / ٤٨ . و سنن ابن ماجه
 المقدمة ، رقم الباب ١٧ رقم الحديث : ٢٢٣ .

و ذكره الامام البخاري في ترجمة الباب ولكن بغير نسبة الى رسول
 الله صلى الله عليه و سلم ، و قال الحافظ ابن حجر : طرف من حديث أخرجه
 ابوداؤد و الترمذي و ابن حبان و الحاكم مصححا من حديث ابي الدرداء و حسنه
 حمزة الكنعاني و ضعف عندهم سنده لكن له شواهد يتقوى بها و لم يفصح المصنف
 - اي البخاري - بكونه حديثا فلهدا لا يعد في تعاليقه لكن إيراده له في ترجمة

الباب يشعر بأن له أصلا و شاهده القرآن ، قوله تعالى " ثم أورثنا الكتاب

الذين اصطفينا من عبادنا " (سورة فاطر ، الآية : ٣٢) .
 مع فتح الباري

(صحيح البخاري ، العلم ، رقم الباب : ١ ج ١ / ١٦٠) .

أمانة علوم الكتاب و السنة مسؤولية كبيرة ، لأنهم قلب الأمة و حياتها ، و أساس منطلقها الى الخير ، و الإهداء إلى ربهم و القيام بالمسؤوليات نحو الله رب العالمين ، و نحو دينهم و أمّتهم ، فيجب علينا نحن أمناء الإسلام و دعائه أن نقوم بكلّ ما يجب علينا من المسؤوليات خير قيام حتى لا نكون من الذين قال الله تعالى فيهم : " يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ " . (١) ، " أتأمرون الناس بالبرّ و تنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون . " (٢)

و روى الشيخان عن أسامة بن زيد رضى الله عنه - و اللفظ للبخاري -

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :

" يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار ، فتندلق أقطابه في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : أي فلان ! ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف و تنهانا عن المنكر قال : آمركم بالمعروف و لا آتية ، و أنهاكم عن المنكر و آتية " (٣) .

و روى الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" ما من نبيٍّ بعثه الله إلّا كان له من أمته حواريون ، و اصحاب يأخذون بسنته ، و يقتدون بأمره ، ثمّ انها تخلف خلوف يقولون ما لا يفعلون و يفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده ، فهو مؤمن ، و من جاهدهم بلسانه فهو مؤمن و من جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، و ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " . (٤)

(١) سورة الصف ، ٢ - ٣ .

(٢) سورة البقرة ، ٤٤ .

(٣) صحيح البخاري - بدء الخلق ، رقم الحديث : ٣٠٩٤ ج ٣ / ١١٩١ .

و صحيح مسلم ، الزهد و الرقائق ، رقم الحديث : ٢٩٨٩ ج ٤ / ٢٢٩٠ .

(٤) صحيح مسلم ، الإيمان ، رقم الحديث : ٥٠ ج ١ / ٧٠ .

هذا و يجب على دعاة الإسلام أن يهتموا في الدعوة بالقرآن الكريم و تفسيره بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم الصحيحة الثابتة ، و آثار أصحابه ، و أقوال التابعين على المنهج السلفي ، و ان طريقة التفسير الموضوعي في مجال الدعوة و تبليغ نداء القرآن الكريم الى الناس عامة ، و الى المسلمين خاصة ، و تذكيرهم بما يجب عليهم من المسؤوليات مؤثرة و مفيدة جدا .

فعلى الدعاة أن يهتموا بالتفسير الموضوعي بجانب طريقة تفسير القرآن الكريم المعروفة من قديم .

و علوم القرآن الكريم و موضوعاته كثيرة لا نهاية لها ، فعلىنا ان نجعل أساس كل موضوع من موضوعات الدعوة و الارشاد القرآن الكريم بقدر الامكان ، ثم نفسره بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم القولية و الفعلية الصحيحة و آثار الصحابة و أقوال التابعين لهم بإحسان ، كما كان يفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و التابعون و المحدثون الفقهاء ، لأن القرآن الكريم أصل و كتاب هداية للمتقين ، و السنة شارحة له .

و من الأسف أن بعض العلماء يقلبون الوضع بحيث يقدمون بعض الأحاديث في الموضوع ثم يشرحونها بآيات من القرآن الكريم ، و بعض آخر يقدم آية و يبدأ في شرحها من نفسه ، و بأقوال الناس ، و يتغافل عن عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تفسر تلك الآية خير تفسير . و من المعلوم أن المنهجين خارجان من الصواب .

و إنني حاولت في هذا البحث أن أسلك مسلك السلف الصالح الصحيح في تفسير القرآن بالقرآن ، و بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و الاهتداء بهما ، و ابراز هديهما لعباد الله المتقين . فما كان فيه صوابا فمن الله الرحمن ، و ما كان خطأ فمني و من الشيطان .

و هذه بفضل الله تعالى خطوة أولى في طريق تدوين تفسير كلّ القرآن الكريم حسب الموضوعات على نفس هذا المنهج الذي سلكته في هذا البحث .

و تكون الخطوة الثانية - إن شاء الله تعالى - الكتابة حول موضوع " المسؤولية الجماعية في القرآن الكريم " .

و أخيرا أدعو الله السميع العليم مجيب الدعوات ان يرّد المسلمين الى دينهم الاسلام كما نزل ردّا جميلا ، و يوفقهم باتباع كتابه و سنّة نبيّه اتباعا كاملا ، و يجمع كلمتهم على الحق ، و ينصرهم على أعداء دينهم ، و يجعل عملي هذا خالما لوجهه الكريم ، و يغفر لي خطيئتي ، و يرحمني ، و يحاسبني يوم القيامة حسابا يسيرا .

و ما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت و إليه أنيب
و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دليل المراجع

-
- (١) التفسير و علوم القرآن .
 - (٢) القراءات و توجيهاتها و إعراب القرآن و القراء الكبار .
 - (٣) الحديث الشريف .
 - (٤) العقيدة و أصول الدين .
 - (٥) أصول الفقه .
 - (٦) الفقه و
- التشريع الإسلامي و تاريخه و حكمه و خصائصه
و وجوب تطبيقه ، و تاريخ الفقه في الإسلام .
- (٧) التاريخ ، و السيرة ، و الرجال .
 - (٨) اللغة .
 - (٩) من المراجع العامة .
-

التفسير و علوم القرآن

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب	
دار الكتب العلمية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م	الامام محمد بن إدريس الشافعي ، ت ٢٠٤ هـ	١	٢	أحكام القرآن	١
دار الكتاب العربي - بيروت	الامام ابوبكر احمد بن علي الرازي الجصاص ، ت ٣٧٠ هـ	٣	٣	أحكام القرآن	٢
دار المعرفة ، بيروت ، لبنان	ابوبكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت / ٥٤٣ هـ	٤	٤	أحكام القرآن	٣
دار احياء التراث العربي .	ابو السعود محمد بن محمد العمالي ، ت / ٩٨٢ هـ .	٤	٩	ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم .	٤
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء والدعوة و الإرشاد ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م	محمد الأمين الشنقيطي ت / ١٣٩٣ هـ	١٠	١٠	أضواء البيان	٥
مؤسسة شعبان ، بيروت ١٣٣٠ هـ .	ابو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ، ت / ٦٨٥ هـ	٢	٥	أنوار التنزيل و أسرار التأويل	٦
مكتبة و مطابع النصر الحديثة الرياض .	الامام محمد بن يوسف بن علي الاندلسي ابوحيان ت / ٧٥٤ هـ .	٨	٨	البحر المحيط	٧
دار المعرفة ، بيروت .	الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ت / ٧٩٤ هـ	٤	٤	البرهان في علوم القرآن	٨

المطبوعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب
المكتبة العلمية ، بيروت .	عبدالله بن محمد بن احمد الأنصاري القرطبي صاحب التفسيرت / ٦٧١ هـ			٩ التذكار في أفضل الأذكار في فضل القرآن وقارئه و مستمعه والعامليه
دار العربية ، بيروت .	للجلالين المحلي و السيوطي	١	١	١٠ تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم
دار الكتب العلمية ، بيروت . ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م	(الاجزاء : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) من مجموع الفتاوى .			١١ تفسير شيخ الاسلام احمد بن تيمية ت / ٧٢٨ هـ .
دار المعرفه ، بيروت . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .	الحافظ عماد الدين ابن كثير ت / ٧٧٤ هـ .	٤	٤	١٢ تفسير القرآن العظيم
	الامام ابن القيم الجوزية ت / ٧٥١ هـ	١	١	١٣ التفسير القيم
دار الفكر ط / اولى ١٤٠١ / ١٩٨١ م	الامام محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين ت / ٦٠٤ هـ .	١٥	٣٠	١٤ التفسير الكبير
دار المعرفة ط / ثانية .	السيد محمد رشيد رضا (١٢٨٢ هـ - ١٣٥٤ هـ)	١٢	١٢	١٥ تفسير المنار
مؤسسة مكة للطباعة و الاعلام (١٣٩٨ هـ)	الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي	٤	٨	١٦ تيسير كريم الرحمن في تفسير كلام المنان
مصطفى الحلبي بمصر ط / ثالثة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .	ابوجعفر محمد بن جرير الطبري . ت / ٣١٠ هـ .	١٢	٣٠	١٧ جامع البيان عن تأويل آي القرآن
دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .	ابوعبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ، ت / ٦٧١ هـ .	٢٠	٢٠	١٨ الجامع لأحكام القرآن
دار الفكر ، ط / أولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م	الامام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي ت / ٩١١ هـ .	٨	٨	١٩ الدر المنثور في التفسير المأثور

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب	
دار إحياء التراث العربي بيروت .	ابوالفضل شهاب الدين محمود الآلوسي ت / ١٢٧٠ هـ	١٥	٣٠	روح المعاني	٢٠
المكتب الاسلامي ، ط / ثالثة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .	ابوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي البغدادي ت / ٥٩٧ هـ .	٩	٩	زاد المسير في علم التفسير	٢١
مصطفى الحلبي مصر ط / ثانية ١٢٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .	محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت / ١٢٥٠ هـ	٥	٥	فتح القدير	٢٢
دار الفكر .	سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، ت / ١٢٠٤ هـ	٤	٤	الفتوحات الإلهية	٢٣
دار الشروق ط / تاسعة ١٤٠٠ / ١٩٨٠ م	سيد قطب الشهيد	٦	٦	في ظلال القرآن	٢٤
الكتبة التجارية الكبرى ، مصر	الحسين محمد البيهقي ت / ٥١٦ هـ			معالم التنزيل (بهامش تفسير علي ابن محمد الخازن ت / ٧٢٥ هـ .	٢٥
دار العلم للملايين ط / عاشرة ١٩٨٢ م .	الدكتور صبحي صالح .			مباحث في علوم القرآن	٢٦
مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ م .	مكي بن ابي طالب القيسي ت / ٤٣٧ هـ .	٢	٢	مشكل إعراب القرآن	٢٧
عالم الكتب ، بيروت ، ط / ثالثة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م	ابوزكريا يحيى بن زياد الفراء ت / ٢٠٧ هـ .	٣	٣	معاني القرآن	٢٨

القراءات و توجيهاتها و إعراب

القرآن و القراء الكبار

#####

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب
مكتبة و مطبعة المشهد الحسيني ١٣٥٩ هـ .	الشيخ احمد بن محمد الدمياطي ت / ١١١٧ هـ .	١	١	١ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر .
تحقيق الدكتور محمد نفش ، من مطبوعات المجلس العلمي للجامعة الاسلامية ، الكتاب التاسع ط/أولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .	عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ت / ٧٦١ هـ .	١	١	٢ أسئلة و أجوبة في إعراب القرآن
دار الكتب العلمية ، بيروت ط / أولى ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م	ابو البقاء عبد الله بن الحسن العكبري . ت / ٦١٦ هـ	٢	٢	٣ املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب و القراءات في جميع القرآن .
مطبعة مصطفى الباي الحلبي مصر ، ط / أولى ١٣٧٥ / ١٩٥٥ م	الشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي ت / ١٤٠٣ هـ .	١	١	٤ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة
الدار السلفية ، بومباي ، الهند . ١٩٨٢ م .	مكي بن ابي طالب القيسي ت / ٤٢٧ هـ	١	١	٥ التبصرة في القراءات السبع
دار الشروق ، بيروت ط / ثانية .	الحسين بن أحمد بن خالويه ت / ٢٧٠ هـ .			٦ الحجة في القراءات السبع و توجيهاتها

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب	
مكتبة الخانجي	شمس الدين محمد بن محمد		٢	غاية النهاية في طبقات القراء	٧
ط / أولى - ١٩٣٢ م .	ابن الجزري ت / ٨٣٣ هـ .				
تحقيق د / محي الدين رمضان	مكي بن أبي طالب القيسي	٢	٢	الكشف عن وجوه القراءات السبع	٨
مؤسسة الرسالة ، بيروت	ت / ٤٣٧ هـ .			و عللها و حججها	
ط / ثالثة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م	الامام شمس الدين محمد بن	٢	٢	معرفة القراء الكبار على الطبقات و الاعمار	٩
(محقق) مؤسسة الرسالة	أحمد الذهبي ت / ٧٤٨ هـ .				
ط / أولى ، ١٩٨٤ م .	الحافظ ابوالخير محمد بن محمد	٢	٢	النشر في القراءات العشر	١٠
دار الكتب العلمية ، بيروت .	ابن الجزري دمشقي ت / ٨٣٣ هـ				
مكتبة الدار ، المدينة المنورة	الامام عبد الفتاح عبد الغني	١	١	الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع	١١
ط / أولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م	القاضي ، ت / ١٤٠٣ هـ .				

الحديث الشريف

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلد (د)	الأجزاء	الكتاب	
نشر و توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الارشاد ط/أولى ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م	ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشافعي الشهير بابن الاثير ، ت / ٦٠٦ هـ .	١٢	١٢	١ جامع الأصول من أحاديث الرسول	
المكتبة السلفية المدينة المنورة ط / ثانية ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .	الامام ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ، ت / ٤٦٣ هـ .	١	١	٢ جامع بيان العلم و فضله .	
دار المعرفة ، بيروت .	ابوالفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن احمد بن رجب الحنبلي ت / ٧٩٥ هـ .	١	١	٣ جامع العلوم و الحكم .	
دار الفكر .	الامام ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ت / ٢٧٥ هـ .	٢	٢	٤ سنن ابن ماجه تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي	
دار الكتب العلمية ، بيروت .	الامام ابو داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت / ٢٧٥ هـ .	٤	٤	٥ سنن ابي داؤد تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد	
دار احياء التراث العربي ، بيروت	الامام ابو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي ، ت / ٢٧٩ هـ .	٥	٥	٦ سنن الترمذي بتحقيق احمد محمد شاكر .	
دار الكتب العلمية .	الامام ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، ت / ٢٥٥ هـ .	٢	٢	٧ سنن الدارمي ، طبعة محمد احمد درهمان	
دار الكتب العلمية ، بيروت .	الامام ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي ، ت / ٣٠٣ هـ .	٤	٨	٨ سنن النسائي	

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب
نشر و توزيع الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية و الافتاء والدعوة و الارشاد . ١٣٤٩ هـ .	الامام يحيى بن شرف النووي ت / ٦٧٦ هـ .	٩	١٨	٩ شرح صحيح مسلم
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / أولى ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م	الامام ابو جعفر احمد بن محمد ابن سلامة الطحاوي ت / ٣٢١ هـ .	٤	٤	١٠ شرح معاني الآثار .
دار القلم ، ط / أولى . ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .	الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري . (١٩٤ هـ - ٢٥٦ هـ)	٦	٦	١١ صحيح البخاري بتحقيق د/مصطفى ديب البغا .
دار احياء التراث العربي ، بيروت	الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ت / ٢٦١ هـ .	٥	٥	١٢ صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
دار احياء التراث العربي ، بيروت	العلامة بدرالدين ابو محمد محمود ابن احمد العيني ت / ٨٥٥ هـ .	١٢	٢٥	١٣ عمدة القاري
دار الفكر .	الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت / ٨٥٢ هـ .		١٤	١٤ فتح الباري بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . وتحقيق المقد
دار المعرفة ، بيروت .	من أمالي الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ، ت / ١٣٥٢ هـ .		٤	١٥ فيض الباري على صحيح البخاري .
دار المعرفة ، ط / ثانية . ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .	العلامة عبد الرؤف المناوي ت / ١٠٢٩ هـ .	٦	٦	١٦ فيض القدير شرح الجامع الصغير .
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط / الثالثة ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م	الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي ت / ٨٠٧ هـ .	٥	١٠	١٧ مجمع الزوائد و منبع الفوائد

المطبعة أو الناشر	المؤلف	الجلدات	الأجزاء	الكتاب	
الطبعة الهندية ، تصوير : دار الكتب العلمية .	الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري . ت / ٤٠٥ هـ .	٤	٤	المستدرک علی المحیحین	١٨
دار صادر ، بیروت .	الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ هـ - ٢٤١ هـ)	٦	٦	المسند	١٩
المكتب الاسلامي ، ط / ثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .	محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، المتوفى بعام ٧٣٧ هـ .	٣	٣	مشكاة المصابيح بتحقيق : الشيخ الألباني .	٢٠
المكتبة العلمية ، ط / ثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .	الإمام ابو سليمان حمد بن محمد الخطابي ، ت / ٣٨٨ هـ	٤	٤	معالم السنن بشرح سنن الامام ابي داؤد .	٢١
دار الكتب العلمية ، ط / أولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .	إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس بن مالك . ت / ١٧٩ هـ	١	١	مؤطا الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي .	٢٢
دار الكتب العلمية ، بيروت ط / أولى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م	محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ت / ١٣٥٠ هـ .	٤	٨	نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار	٢٣

العقيدة و أصول الدين

المجلدات	الأجزاء	الكتاب	المؤلف	المطبعة أو الناشر
١	١	١ الإبانة عن أصول الديانة	ابو الحسن الأشعري ت / ٣٢٤ هـ .	دار الأنصار .
		٢ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية	الامام محمد بن ابي بكر المعروف بابن القيم الجوزية ، ت / ٧٥١ هـ . المنسورة .	المكتبة السلفية ، المدينة
٢	٢	٣ الإستقامة	شيخ الاسلام ابن تيمية ت / ٧٢٨ هـ	مطابع جامعة الامام محمد بن سعود ط / أولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م
٢	٢	٤ الإعتصام	ابو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي ت / ٧٠٩ هـ .	دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
٢	٢	٥ اغاثة اللفان من مصائد الشيطان	الامام ابن قيم الجوزية ت / ٧٥١ هـ .	دار المعرفة ، بيروت .
		٦ ايثار الحق على الخلق في ردّ الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد	محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير . (٧٧٥ هـ - ٨٤٠ هـ)	دار الكتب العلمية ، بيروت ط / أولى ، ١٩٧٣ م .
١	١	٧ الإيمان	شيخ الاسلام احمد بن تيمية	المكتب الاسلامي ، ط / ثالثة ١٣٩٩ هـ .
١	١	٨ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد	الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب ت / ١٢٣٣ هـ .	المكتبة السلفية .
		٩		

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب	
مطابع جامعة الامام محمد بن سعود بدئ في طبعه في ١٣٩٩ هـ وانتهى منه في ١٤٠٣ هـ . دار الكتب العلمية .	شيخ الاسلام ابن تيمية	١١	١١	درء تعارض العقل و النقل	٩
دار الكتب العلمية .	الامام عبد الله بن احمد بن حنبل (٢١٣ هـ - ٢٩٠ هـ) .	١	١	السنة	١٠
دار طيبة للنشر و التوزيع الرياض .	ابو القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور الطبري ت / ٤١٨ هـ .	٢	٤	شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة تحقيق د / احمد سعد حمدان .	١١
مكتبة الرياض الحديثة الرياض .	علي بن علي بن محمد بن ابي العز الحنفي (٧٣١ هـ - ٧٩٢ هـ) . بتحقيق : احمد محمد شاكر			شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية .	١٢
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / أولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .	الإمام ابوبكر محمد بن الحسين الآجري ت / ٣٦٠ هـ .	١	١	الشريعة	١٣
دار المعرفة ، بيروت ط / أولى ، ١٣٢٣ هـ .	الامام ابن قيم الجوزية .	١	١	شفاء العليل في مسائل القضاء و القدر و التعليل الصوارم و الأسنة في الذبّ عن السنة	١٤
من مطبوعات وزارة الاوقاف المملكة المغربية .	محمد بن ابي مدين الشنقيطي			الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع و الزندقة .	١٥
دار الكتب العلمية ، بيروت ط / أولى : ١٩٨٣ م .	ومعه تطهير الجنان و اللسان عن الخطور و التفوه بثلب سيدنا معاوية بن ابي سفيان ، كلاهما لأحمد بن حجر الهيثمي المكي ت / ٩٧٤ هـ			طريق الهجرتين و باب السعادتين	١٦
دار الكتب العلمية ، بيروت ط / أولى ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .	الامام ابن قيم الجوزية .				١٧

المجلد الجزء	الكتاب	الأجزاء	المؤلف	المطبعة أو الناشر
١	١	١	للأئمة أحمد بن حنبل و البخاري و ابن قتيبة و عثمان الدارمي .	شركة الأسكندرية ، ١٩٧١ م .
	١٩		القاضي ابوبكر محمد بن عبد الله بن العربي ت / ٥٤٣ هـ .	مكتبة أسامة ، بيروت .
١	١	١	الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ .	رئاسة ادارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الارشاد . ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
٢	٢	٢	ابوبكر عمرو بن ابي عاصم الشيبياني ، ت / ٢٨٧ هـ .	المكتب الاسلامي ، ط / أولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
٣	٣	٣	الامام ابو عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي ت / ٤٠٣ هـ .	دار الفکر .
١	١	١	شيخ الاسلام ابن تيمية	دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
٢	٤	٢	لجماعة من الأئمة .	دار احياء التراث العربي ، بيروت ط / أولى ، ١٣٤٣ هـ .
٢	٥	٢	شيخ الاسلام ابن تيمية .	دار الكتب العلمية ، بيروت ط / أولى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
١	١	١	لجماعة من كبار العلماء .	مطبعة الكيلاني ، ١٩٨٢ م .
٣٧	٣٧	٣٧	جمع و ترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .	من مطبوعات الرئاسة العامة لشؤون الحرمين ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ .
	٢٤		مجموعة الرسائل المنيرية	
	٢٥		مجموعة الرسائل و المسائل	
	٢٦		مجموع الرسائل المفيدة المهمة في أصول الدين و فروعه .	
	٢٧		مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد ابن تيمية .	

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب	
دار الفكر	الامام ابن قيم الجوزية .	١	٢	مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة	٢٨
دار الكتب العلمية ، بيروت .	الامام ابن قيم الجوزية .	١	٢	مفتاح دار السعادة .	٢٩
دار الكتب العلمية ، بيروت .	شيخ الاسلام ابن تيمية	٢	٤	منهاج السنّة النبويّة	٣٠
دار الكتب العلمية بيروت .	شيخ الاسلام ابن تيمية .	١	١	نقض المنطق	٣١
دار طيبة ، الرياض ، ط / أولى .	محمد بن سعيد بن سالم القحطاني			الولاء و البراء في الاسلام من مفاهيم عقيدة السلف .	٣٢
المكتبة الأموية ، بيروت ١٢٩٠ هـ - ١٩٧١ م .	شمس الدين محمد عثمان الذهبي ، ت / ٧٤٨ هـ .			الكبائر	٣٣

—***# أصول الفقه ***#—

المطبعة أو الناشر	المؤلف	الجزء	الأجزاء	الكتاب	الترتيب
دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م .	الامام سيف الدين ابوالحسن علي ابن ابي علي الآمدي ت / ٦٣١ هـ .	٤	٤	الإحكام في أصول الأحكام	١
دار المعرفة ، بيروت .	محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ت / ١٢٥٠ هـ .	١	١	ارشاد الفحول الي تحقيق الحق من علم الأصول .	٢٠
دار الفكر العربي .	محمد ابو زهرة	١	١	أصول الفقه	٣
دار الجيل ، بيروت .	الامام ابن قيم الجوزية ت/ ٧٥١ هـ .	٤	٤	اعلام الموقعين	٤
	الامام محمد بن ادريس الشافعي ت / ٢٠٤ هـ .	١	١	الرسالة (بتحقيق أحمد محمد شاكر)	٥
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط / اولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .	موفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي ت / ٦٢٠ هـ .	١	١	روضة الناظر و جنة المناظر	٦
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ثانية ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م	ابوبكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ت / ٤٦٣ هـ .	١	١	الفقيه و المتفقه	٧
دار الكتب العلمية ، بيروت .	سلطان العلماء عزالدين عبدالعزيز ابن عبدالسلام السلمي ت/ ٦٦٠ هـ .	١	٢	قواعد الأحكام في مصالح الأنعام	٨
دار الكتاب العربي ، بيروت .	علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري ت/ ٧٣٠ هـ .	٢	٤	كشف الأسرار عن اصول فخر الاسلام علي بن محمد البزدوي ت / ٤٨٢ هـ .	٩
المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر ط / اولى ، ١٣٢٢ هـ .	الامام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، ت / ٥٠٥ هـ .	٢	٢	المستشفى من علم الأصول	١٠
دار الكتاب العربي ، بيروت .	تصنيف ثلاثة من آل تيمية ، و جمع شهاب الدين ابي العباس احمد بن محمد الحراني الدمشقي ت/ ٧٤٥ هـ	١	١	المسودة في اصول الفقه	١١
المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .	ابو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي ت / ٧٩٠ هـ .	٤	٤	الموافقات في اصول الشريعة	١٢

الفقه و التشريع الإسلامي و تاريخه و خصائصه ###
و حكمه و وجوب تطبيقه

المطبعة أو الناشر	المؤلف	العدد	الأجزاء	الكتاب
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط / ثانية ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م	ملك العلماء علاء الدين ابوبكر ابن مسعود الكاساني الحنفي ت / ٥٨٢ هـ .	٤	٧	١ بدائع المنافع في ترتيب الشرائع
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / اولى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .	ابن قيم الجوزية ت / ٧٥١ هـ .	١	١	٢ تحفة المودود بأحكام المولود
دار الكتاب العربي ، بيروت .	الأستاذ عبد القادر عودة الشهيد	٢	٢	٣ التشريع الجنائي الإسلامي
مؤسسة الرسالة ، بيروت .	الشيخ مناع القطان .	١	١	٤ التشريع و الفقه في الإسلام تاريخا و منهجا
دار المعرفة ، بيروت .	الامام ولي الله احمد بن عبد الرحيم الدهلوي ت / ١١٧٦ هـ	١	٢	٥ حجة الله البالغة
مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .	الدكتور / فتحي الدريني	١	١	٦ خصائص التشريع الإسلامي في السياسة و الحكم
مؤسسة الرسالة ، ط / الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م	الامام ابن قيم الجوزية .	٥	٥	٧ زاد المعاد في هدي خير العباد (محقق)

المجلدات	الأجزاء	الكتاب	المؤلف	المطبعة أو الناشر
٢	٢	٨ فقه الزكاة	الدكتور يوسف القرضاوي	مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط / سادسة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
٢	٢	٩ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي	محمد بن الحسن الثعالبي ت / ١٣٧٦ هـ . بتحقيق : الدكتور / عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري .	المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .
١	١	١٠ القواعد النورانية الفقهية	شيخ الاسلام ابن تيمية . تحقيق : محمد حامد الفقي	دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
١	١	١١ كتاب الأموال	الامام ابو عبيد القاسم بن سلام ، ت / ٢٢٤ هـ . بتحقيق : محمد خليل هراس .	دار الفكر ، ط / ثانية . ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
١	١	١٢ كتاب الصلاة و حكم تاركها	الامام ابن قيم الجوزية ت / ٧٥١ هـ .	دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / اولي ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
١	١	١٣ المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية	الدكتور عبد الكريم زيدان .	مؤسسة الرسالة . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
١	١	١٤ مسائل الامام احمد رواية ابنه عبدالله	بتحقيق : زهير الشاويش .	المكتب الاسلامي ، ط / اولي . ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
٩	٩	١٥ المنفني	ابو محمد عبد الله بن احمد ابن محمد بن قدامة ، ت / ٦٢٠ هـ	مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض . ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
١	١	١٦ موسوعة الخراج	لجماعة من الأئمة . ومنهم القاضي ابويوسف يعقوب بن ابراهيم ت / ١٩٢ هـ جماعة من العلماء الباحثين	دار المعرفة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م . مطابع جامعة الامام محمد
		١٧ وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية و دفع الشبهات التي تثار حول تطبيقها .	الذين قدموا بحوثهم لمؤتمر الفقه الاسلامي الذي عقده جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦ هـ .	ابن سعود الاسلامية ، الرياض . ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

التاريخ و السيرة و الرجال

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب
مطابع دار الثقافة مكة المكرمة ط / رابعة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .	ابوالوليد محمد بن عبدالله بن احمد الازرققي ت / ٢٤٤ هـ .	١	٢	١ اخبار مكة ، تحقيق رشدي الصالح
دار الكتاب العربي ، بيروت .	الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت / ٨٥٢ هـ	٤	٤	٢ الاصابة في تمييز الصحابه (وبذيله الاستيعاب للعلامة ابن عبد البرّ ت / ٤٦٣ هـ .)
دارالعلم للملايين بيروت ط / خامسة ، ١٩٨٠ م .	خيرالدين الزركلي ت / ١٣٩٦ هـ .	٨	٨	٣ الأعلام
مؤسسة الحلبي ، القاهرة .	الامام عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (٢١٣ هـ - ٢٧٦ هـ .) بتحقيق د / طه محمد الزيني .	١	٢	٤ الامامة و السياسة المعروف بتاريخ الخلفاء
مكتبة المعارف ، بيروت ط / رابعة ١٩٨٢ م .	الحافظ عمادالدين ابن كثير ت / ٧٧٤ هـ .	٧	١٤	٥ البداية و النهاية
ط/اولى مطبعة السعادة ١٣٤٨ هـ دار المعرفة ، بيروت .	محمد بن علي الشوكاني ت/١٢٥٠ هـ	١	٢	٦ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
دار الفكر ، ط / ثانية . ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .	جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت / ٩١١ هـ .	٢	٢	٧ بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة .

المطبوعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب	
دار سويدان، بيروت ط / ثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م	ابوجعفر محمد بن جرير الطبري ت / ٣١٠ هـ .	١١	١١	٨ تاريخ الأمم والملوك تحقيق : محمد ابوالفضل ابراهيم	
دار الكتاب العربي .	ابوبكر احمد بن علي الخطيب البغدادى ت / ٤٦٣ هـ .	١٤	١٤	٩ تاريخ بغداد	
	جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت / ٩١١ هـ .	١	١	١٠ تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد	
دار طبية، الرياض، ط / الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٨٥ م .	ابو عمرو خليفة بن خياط الليثي، ت / ٢٤٠ هـ .	١	١	١١ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق : د اكرم ضياء العمري	
دار الاصفهاني، جدة، ط / اولى، ١٣٩٢ هـ .	ابوزيد عمر بن شبه النميري البحري (١٧٣ هـ - ٢٦٢ هـ) .	٤	٤	١٢ تاريخ المدينة المنورة، تحقيق : فهيم محمد شلتوت	
دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، ١٣٧٧ هـ .	الامام ابو عبد الله شمس الدين الذهبي، ت / ٧٤٨ هـ .	٢	٤	١٣ تذكرة الحفاظ	
دار احياء التراث العربي .	للحسيني و المكي و السيوطي .	١	١	١٤ ذيل تذكرة الحفاظ	
دار المعرفة، بيروت، ط/ثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .	الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت / ٨٥٢ هـ .	٢	٢	١٥ تقريب التهذيب تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف	
حيدرآباد، الهند ط/اولى ١٣٢٥ هـ	= = = =	١٢	١٢	١٦ تهذيب التهذيب	
دار الفكر العربي، بيروت .	لوثروب ستودارد الأمريكي (LOTHROP STODDARD)	٢	٢	١٧ حاضر العالم الإسلامي .	
ط / رابعة، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٣ م	و الامير شكيب ارسلان . الامام شمس الدين محمد بن احمد ابن عثمان الذهبي ت / ٧٤٨ هـ .	٢٣	٢٣	١٨ سير اعلام النبلاء	
مؤسسة الرسالة، ط / اولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٧٥ م .					

المطبعة أو الناشر	المؤلف	الجزء	الأجزاء	الكتاب
دار احياء التراث العربي ، بيروت	ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت / ١٠٨٩ هـ .	٤	٨	١٩ شذرات الذهب في أخبار من ذهب
دار صادر ، بيروت .	محمد بن سعد ت / ٢٢٠ هـ .	٩	٩	٢٠ الطبقات الكبرى
مطابع الجامعة الاسلامية ، ط / اولي ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .	= = = =	١	١	٢١ القسم المتمم للطبقات الكبرى دراسة و تحقيق : زياد منصور
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / اولي ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م	شمس الدين محمد بن علي بن احمد الداؤدي ، ت / ٩٤٥ هـ .	٢	٢	٢٢ طبقات المفسرين
دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط / ثالثة ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .	ابوالفتح محمد بن محمد بن سيّد الناس البيعمرى ت / ٧٣٤ هـ .	١	٢	٢٣ عيون الاثر في فنون المغازي و الشمائل و السير .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .	الامام ابوالحسن البلاذري ت / ٢٧٩ هـ .	١	١	٢٤ فتوح البلدان
دار المعرفة ، بيروت .	محمد بن اسحاق النسيديم البغدادي ت / ٣٧٨ هـ .	١	١	٢٥ الفهرست
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط / رابعة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م	عزّ الدين ابن الأثير الجزري ت / ٦٣٠ هـ .	٩	٩	٢٦ الكامل في التاريخ
دار طيبة ، ط / ثانيّة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .	ابوعمر و خليفة بن خيّا ط الليثي ، ت / ٢٤٠ هـ .	١	١	٢٧ كتاب الطبقات
مؤسسة الرسالة ، بيروت ط / ثانية ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .	ابو يوسف يعقوب بن سفيان البوي ، ت / ٢٧٧ هـ .	٣	٣	٢٨ كتاب المعرفة و التاريخ ، تحقيق : الدكتور أكرم ضياء العمري

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب	
دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .	عز الدين ابن الاثير الجزري (٥٥٥ هـ - ٦٣٠ هـ)	٣	٣	اللباب في تهذيب الأنساب	٢٩
دار النفائس ، بيروت ، ط / رابعة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .	الدكتور / محمد حميد الله .	١	١	مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة	٣٠
دار احياء التراث العربي .	عمر رضا كحالة .	٨	١٥	معجم المؤلفين	٣١
دار الآفاق الجديدة ، ط/ثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .	ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت / ٥٩٧ هـ .	١	١	مناقب الإمام احمد بن حنبل	٣٢
دار احياء التراث العربي ط / رابعة ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م .	نور الدين علي بن احمد السمهودي ، ت / ٩١١ هـ .	٢	٤	وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .	٣٣
دار صادر ، بيروت .	ابو العباس احمد بن محمد ابن ابي بكر بن خلكان ت / ٦٨١ هـ .	٨	٨	وفيات الأعيان	٣٤

*** اللغة العربية ***

المطبعة أو الناشر	المؤلف	المجلدات	الأجزاء	الكتاب
طبعة حسن عباس شربتلي ط / ثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م	اسماعيل بن حماد الجوهري ت ٣٩٣ ترجمته في " معجم الادباء " لياقوت الحموي (ت / ٦٢٦ هـ) ١٥١ / ٦ ، رقم الترجمة : ٢٢ .	٧	٧	١ المصاح
الدار العربية للكتاب ، ط / الثالثة ١٩٨٠ م . (انظر ترجمة صاحب القاموس في بغية الوعاة للسيوطي ١ / ٢٧٢ هـ ، رقم الترجمة ٥٠٦	محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت / ٨١٧ هـ . بترتيب الاستاذ الطاهر احمد الزاوي .	٤	٤	٢ القاموس المحيط المرتب على طريقة المصباح المنير
دار صادر ، بيروت .	ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ) انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ١ / ٣٨٩ رقم الترجمة : ٤٥٧ .	١٥	١٥	٣ لسان العرب
المكتبة العلمية ، بيروت .	احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ت / ٧٧٠ هـ . (انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ١ / ٣٨٩ رقم الترجمة : ٧٦٤ .	١	٢	٤ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي
دار المعرفة ، بيروت .	ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ت / ٥٠٢ هـ .			٥ المفردات في غريب القرآن

من المرجع العامّة

المطبعة أو الناشر	المؤلف	الكتاب	
دار نهضة، مصر، ط/سابعة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.	الدكتور علي عبد الواحد وافي .	الأسرة و المجتمع	١
مؤسسة الرسالة، بيروت، ط / خامسة، ١٩٨٢ م .	الدكتور محمد محمد حسين	الاسلام و الحضارة الغربية	٢
دار الشروق، القاهرة، ط / عشرة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م	الشيخ محمود شلتوت	الاسلام عقيدة و شريعة	٣
المكتب الاسلامي، بيروت، ط / اولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .	أنور الجندي	اطار اسلامي للفكر المعاصر	٤
دار الشروق، بيروت، ط / سابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م	محمد قطب	الإنسان بين المادية و الإسلام	٥
المكتبة العصرية، بيروت .	الاستاذ عباس محمود العقاد	الانسان في القرآن	٦
مكتبة الخانجي، مصر ط / اولى، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .	الدكتور مقداد ياسجن	التربية الاخلاقية الاسلامية (رسالة دكتوراة)	٧
دار الكتاب اللبناني .	أنور الجندي	التربية و بناء الأجيال	٨
دار السلام، حلب .	عبد الله ناصح علوان	تربية الأولاد في الإسلام	٩
دار الشروق، بيروت .	الاستاذ محمد قطب	التطور و الثبات في حياة البشر	١٠
ط / رابعة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م	الاستاذ عباس محمود	حقائق الاسلام و اباطيل خصومه	١١
دار الكتاب العربي، بيروت، ط / ثالثة، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .	العقاد		
دار نهضة، مصر، ط / خامسة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٩ م .	الدكتور علي عبد الواحد وافي	حقوق الانسان في الاسلام	١٢

المطبعة أو الناشر	المؤلف	الكتاب
دار الشروق ، بيروت ، ط / ثالثة ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م	الاستاذ محمد قطب	١٣ دراسات قرآنية
دار القلم الكويت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .	الدكتور محمد عبد الله دراز	١٤ الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأدبان)
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / اولى ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م	الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ت/٥٠٢ هـ	١٥ الذريعة الى مكارم الشريعة
دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط / ثانية ، ١٩٨٠ م .	الاستاذ أنور الجندي	١٦ سقوط العلمانية
رسالة جامعية من مطبوعات جامعة أم القرى ، الكتاب الخامس و العشرون ، ط / اولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .	الاستاذ سفر بن عبد الرحمن	١٧ " العلمانية " : نشأتها وتطورها و آثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة
من بحوث مؤتمر الفقيه الاسلامي المنعقد في ١٣٩٦ هـ تحت إشراف جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ط / اولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .	الدكتور علي عبد الحليم محمود	١٨ الغزو الفكري و التيارات المعادية للإسلام
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / اولى .	الامام عبد الله بن المبارك المروزي ت / ١٨١ هـ ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي الهندي .	١٩ كتاب الزهد و الرقائق
دار القلم ، الكويت ، ط / عشرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .	الشيخ ابو الحسن علي الندوي	٢٠ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟

المطبوعة أو الناشر	المؤلف	الكتاب	
المكتب الإسلامي، بيروت، ط / خامسة .	الدكتور مصطفى السباعي	المرأة بين الفقه و القانون .	٢١
دار الأرقم، ط / ثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .	الدكتور محمد أمين المصري	المسؤولية	٢٢
دار احياء الكتب العربية القاهرة، ط / ثانية .	الدكتور علي عبد الواحد وافي	المسؤولية والجزاء	٢٣
مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٨١ م .	الدكتور مصطفى ابراهيم .	المسؤولية الجنائية في الشريعة الاسلامية (الجزء الأول)	٢٤
الدار السعودية .	محمد زكي الدين حجازي	المسؤولية في الإسلام	٢٥
من مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية .	الدكتور حسن عناني	المسؤولية في الاسلام و التنمية الذاتية .	٢٦
دار الكتاب العربي ط / اولي ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .	عبد الكريم الخطيب	المسلمون و رسالتهم في الحياة .	٢٧
مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .	محمد شديد	منهج القرآن في التربية .	٢٨
مكتبة الخانجي ، ط / اولي ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .	الدكتور عبد الفتاح عاشور	منهج القرآن في تربية المجتمع . (رسالة دكتوراة)	٢٩
من مطبوعات جامعة أم القرى ، ط / اولي ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .	الاستاذ / أحمد عوايشة	موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ . (رسالة جامعية)	٣٠

فهرس الموضوعات

رقم المفحة	الموضوع	
	" مقدمة البحث "	
ا	منة الله رب العالمين على الناس أجمعين	١
ب	أرسل خاتم النبيين (صلى الله عليه و سلم) بهذا القرآن ليهتدي به جميع الناس إلى ربهم و يعبدوه وحده	٢
د	تبليغ رسول الله (صلى الله عليه و سلم) السيدين بكماله كما نزل و بيانه	٣
هـ	إكمال الله عزّ و جلّ دين المسلمين الإسلام يوم عرفة في حجة الوداع و شهادة المسلمين بتبليغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام بوجه أكمل و وصية النبي صلى الله عليه وسلم أمته باعتصام كتاب الله - القرآن -	٤
و	جميع العباد مأمورون باتباع ما أنزل الله على رسوله (صلى الله عليه و سلم)	٥
ز	الأنبياء و الأمم جميعا يسألون عما كلفوا به من المسؤوليات	٦
ز	المسؤولية في الإسلام شخمية و ليست متعددة	٧
ح	اتمام الحجة من الله تعالى على عباده بإرسال الرسل و انزال الكتب	٨

رقم الصفحة	الموضوع	
ط	لايسأل الإنسان سؤال توبيخ إلاّ بعد ابلاغه بالواجب و لا مسؤولية بدون إلزام	٩
ط	لا إكراه في الدين	١٠
ى	عود على بدء	١١
ك	فتوبوا أيها المسلمون الى ربكم و اتبعوا كتابه القرآن و سنة نبيّه صلى الله عليه و سلم اتباعا كاملا ، ليرضى عنكم و ينصركم و يغفر لكم	١٢
ل	لن يصلح آخر هذه الأمة إلاّ ما أصلح أولها	١٣
م	وجه اختيار هذا الموضوع	١٤
ن	خطّة البحث	١٥
س	منهجي في البحث	١٦
ع	المراجع الأساسية	١٧
ف	الشكر الواجب على المعروف	١٨
<hr/> <p>## الباب الأوّل ##</p> <p>مبادئ المسؤولية و أسسها في الاسلام</p> <p>الفصل الأوّل :</p> <p>المسؤولية في اللغة و الشرع :</p>		
١	المسؤولية في اللغة	١
٢	مصدر التكليف و إلزام المسؤولية	٢
٣	حقيقة المسؤولية في الاسلام	٣
٤	تعريف المسؤولية الاصطلاحي	٤

رقم الصفحة	الموضوع	
٥	صلة المسؤولية بالتكليف الشرعي	٥
٦	معنى التكليف لغته و شرعا	٦
٨	أقسام أحكام التكليف	٧
٨	أساس تقسيم المسؤولية الى فردية و جماعية	٨
	الفصل الثاني :	
	أركان المسؤولية في الإسلام	
	الركن الأول :	
	هو الله رب العالمين الخالق الحاكم ، و سائل العباد عن مسؤولياتهم و أعمالهم ، و مجازيهم .	
١٠	عقيدة وجود خالق هذا الكون ، و وحدانيته	١
	في ربوبيته و ألوهيته فطرية في النفوس البشرية	
١٢	الايمان بالله تعالى و توحيده أصل و فطرة و الشرك و الإلحاد ضلال و انحراف	٢
١٥	العقل السليم أيضا يدعو الى الايمان بوجود خالق هذا الكون و توحيده عزّ و جلّ	٣
١٩	لله الخالق الحاكم وحده حقّ التكليف ، و الايجاب و التشريع ، و البيان	٤
٢٠	مصدر التشريع الاسلامي كتاب الله - القرآن - و سنّة رسوله خاتم النبيين (صلى الله عليه و سلم)	٥
٢١	من شأن الكتاب و السنة و صفتها في الهداية و البيان من الله عزّ و جلّ	
٢٣	أهمّ خصائص الشريعة الاسلامية	٦

رقم المفحة	الموضوع	
٢٤	من أهم مقاصد التشريع في الاسلام	٧
٢٥	لله الخالق الحاكم ، الموجب ، المشرع حقّ السؤل و الجزاء	٨
	الركن الثاني من أركان المسؤولية : الانسان المخلوق المكرم المختار المكلف المحكوم عليه المسؤول	
٢٧	سلامة فطرة الانسان و عوامل افسادها	١
٢٨	موقف الفكر البشري من الانسان	٢
٢٩	موقف الاسلام من الانسان و هدايته الى الصراط المستقيم	٣
٣١	خلق الله الانسان و رعايته عزّ و جلّ من بداية الحياة الى نهايتها	٤
٣٥	من تكريم الله للانسان ، و انعامه عليه	٥
٣٦	لماذا خلق الانسان و أكرم ؟ ؟	٦
٣٨	اختيار الانسان و مسؤوليته	٧
٤٢	الانسان فاعل لأعماله باختياره حقيقة ، و ليس بخالق	٨
٤٤	ثبوت القدر و وجوب الايمان به و النهي عن ترك العمل اتكالا على القدر ، و بطلان الاحتجاج به في مجال العمل و المسؤولية و المعصية	٩
٤٨	النهي عن الجدال و المخاصمة في القدر ، و أنّ المنكر للقدر ضالّ و زنديق	١٠

رقم الصفحة	الموضوع
	الركن الثالث من أركان المسؤولية :
	موضوع السؤال
٥٠	أمانة التكليف و عظمتها وحمل الانسان إيّاها و مسؤوليته عنها
٥١-٥٠	تفسير قوله تعالى : " إنّا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال " الآية
٥٢	الردّ على القائلين بالمجاز في حمل الأمانة و الإيلاء و الإشفاق منها
٥٣	تكليف الله لعباده بطاعته عهد و أمانة
٥٤	جميع العباد رُسلًا و أممًا يسألون عن أمانة التكليف أمام الله الخالق المنعم الحاكم ربّ العالمين
	الفصل الثالث :
	شروط أهلية التكليف و تحقق المسؤولية في الشريعة الإسلامية
٥٦	معنى الأهلية في اللغة و الشرع
٥٧	أسس المسؤولية و الجزاء و بعض مظاهرهما عند أقوام غير إسلامية قبل أن تتأثر بأصول الشريعة الإسلامية
	شروط أهلية التكليف و تحقق المسؤولية في الاسلام و هي خمسة : العقل ، البلوغ ، الاستطاعة ، حرّية الاختيار ، و بلوغ الدعوة .

رقم المفحة	الموضوع
٥٨	١ - العقل
٦٢	٢ - البلوغ
٦٤	٣ - القدرة و الاستطاعة
٦٧	٤ - اختيار الانسان وحريته
٧٤-٧١	٥ - بلوغ الدعوة
<hr/> <p>## الباب الثاني ##</p>	
٧٥	المسؤولية الفردية نحو الله رب العالمين مدخل الباب
	الفصل الأول :
	مسؤولية العقيدة و العبادة و التوحيد و الاتباع :
٧٧	١ بيان القرآن الكريم وجوب عبادة الله تعالى وحده
٨١	٢ وجوب توحيد الله الأحد و حرمة الشرك به تعالى و التحذير عنه و عقوبة المشركين
٨٥	٣ شهادة الله تعالى بتوحيده عزّ و جلّ في ألوهيته و هو أكبر الشهداء و أعظمهم و شهادة الملائكة و أولى العلم
٨٨	٤ " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " — " و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين " — و معنى الإسلام .
٨٩	٥ الى عبادة الله تعالى وحده و توحيده عزّ و جلّ دعا جميع الأنبياء و الرسل أقوامهم

رقم المفحة	الموضوع	
٩٤	دعوة خاتم النبيين و إمام المرسلين (صلى الله عليه و سلم) الى عبادة الله وحده	٦
٩٨	ردّ القرآن الكريم و الرسول على المشركين من أهل الكتاب و دعوتهم الى عبادة الله وحده لا شريك له	
١٠١	أنواع التوحيد	٧
١٠١	١ - توحيد الربوبية	
١٠٥	٢ - توحيد الأسماء و الصفات	
١١٠	مذهب السلف الصالح في توحيد الاسماء و الصفات	
١١٢	٣ - توحيد الألوهية	
١١٧	لعلماء التوحيد تعبير آخر لهذه الأنواع الثلاثة لتوحيد الله عزّ و جلّ	
١١٨	كلّ القرآن الكريم في بيان توحيد الله عزّ و جلّ و حقوقه و جزاءه و ما ينافيه من الكفر و الشرك و الضلال و جزاءه	
١١٩	٤ - وجوب توحيد متابعة رسول الله (صلى الله عليه و سلم	
١٢٠	و جوب اتباع الكتاب و السنة	٨
١٢٥	تحذير القرآن الكريم من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم	
١٢٦	تحذير الرسول صلى الله عليه و سلم من الإحداث و الابتداع في الدين و ترك اتباع الكتاب و السنة	
١٢٦	بيان شيخ الاسلام ابن تيمية حدوث المحدثات في الدين في مجالاته الثلاثة المهمة : العقيدة ، الفقه و التعبد ففي العقيدة والاصول حدث كلام الفلاسفة و المنطقيين الجدلي العقيم ، و في الفقه، الرأي المحدث بمقابل الكتاب و السنة ، و في التعبد ، التصوف المحدث .	

رقم الصفحة	الموضوع
١٢٨	فتوى الامام المحدث ابن الصلاح في حرمة الاشتغال بالفلسفة و المنطق و جزاء المشتغلين بهما
١٢٩	ذم القرآن الكريم للمجادلين في دين الله بغير علم المعارضين عن الكتاب و السنة
١٣٢	السبيل الحق هو سبيل أهل الحديث والسنة والجماعة و طريقة السلف الصالح هي الصواب ، و الصراط المستقيم الأعلم و الأحكم و الأسلم و الأولى بالاتباع
١٣٥	يوم القيامة تبيض وجوه أهل الحديث و السنة و الجماعة ، و تسود وجوه أهل الضلال والبدع والفرقة
١٣٧	أهل الحديث و السنة و الجماعة على الحق ، يهدون به و به يعدلون
١٣٩	مكانة أصحاب الحديث و فضلهم من معالم العقيدة الاسلامية السلفية
١٤٢	عقيدة أهل الحق أصحاب الحديث و السنة و الجماعة الفرقة الناجية الطائفة المنصورة التمهيد
١٤٢	١ - من عقيدة الامام أحمد بن حنبل - إمام أهل السنة و الجماعة
١٤٦	٢ - من اعتقاد الامام محمد بن اسماعيل البخاري
١٤٨	٣ - من اعتقاد شيخ الاسلام ابن تيمية
١٥٠	٤ - من اعتقاد الامام المحدث أحمد بن عبد الرحيم شاه ولي الله الدهلوي
١٥٠	٥ - من اعتقاد الامام المجدد المصلح العظيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي

رقم الصفحة	الموضوع	
١٥٢	انكار القرآن الكريم على من يوثر تقليد آباءه او إمامه أو شيخه أو زعيمه أو غيره على اتباع الكتاب و السنة	١٤
١٥٧	بيان حرمة التقليد المذموم و آثاره السيئة السلبية	
١٥٨	و بيان الجائز منه	
	الفصل الثاني :	
	مسؤولية الصلاة	
١٦٠	مدخل الفصل	
١٦١	كلمة عامة في مشروعية الصلاة و أهميتها	١
١٦٤	من معاني الصلاة اللغوية و الشرعية	٢
١٦٦	تفسير آيات أوجب الله تعالى فيها الصلاة على عباده المؤمنين	٣
١٧٥	متى ، و أين ، و كيف ، وكم فرضت الصلاة ؟	٤
١٧٧	بيان مواقيت الصلوات الخمسة من الله عزّ و جلّ	٥
١٨٠	الامر بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها و صفاتها	٦
١٨١	صفات المؤمنين الذين يقيمون الصلاة و يحافظون عليها	٧
١٩٤	انذار القرآن الكريم على ترك الصلاة و اضاعتها و التهاون بها و التغافل عنها بالعذاب الأليم في الآخرة	٨
١٩٧	التخلّف عن الصلاة و السهو عنها و الرياء فيها من صفة المنافقين	٩
١٩٨	ترك الصلاة من أفعال المشركين	١٠
١٩٩	حكم تارك الصلاة عمدا	١١

رقم الصفحة	الموضوع
	الفصل الثالث :
	مسؤولية الزكاة
٢٠١	مدخل الفصل — في عدل الاسلام و اهتمامه بحقوق جميع الناس و أهمية الزكاة و ثمراتها الطيبة
٢٠٣	من معاني الزكاة اللغوية و الشرعية
٢٠٤	متى فرضت الزكاة ، ومتى حدّدت مقاديرها ؟
٢٠٥	تفسير آيات أوجب الله تعالى فيها إيتاء الزكاة و الأمر بالانفاق لوجهه الكريم
٢١١	الأمر بانفاق الجيد في الزكاة و الصدقة و النهي عن انفاق الردي
	مصارف الزكاة
٢١٤	تفسير قوله تعالى : " انما الصدقات للفقراء و المساكين " الآية
٢١٨	ترهيب القرآن الكريم و وعيده للذين يكتنون الأموال و لا يؤتون زكاتها و يبخلون بما آتاهم الله من فضله و ينفقون مال الله في معصيته عزّ وجلّ و للصدّ عن سبيله و رثاء الناس
٢٢٠	صدقة الشحيح الصحيح أفضل و أكثر أجرا
٢٢١	الاسرار في الصدقة أفضل إلّا إذا كان هناك مصلحة في الاظهار ، فحينئذ يكون الاظهار أفضل
	الفصل الرابع :
	مسؤولية الصوم
	كلمة عامة في مشروعية الصوم ، و حقيقته ، و آدابه

رقم المفحة	الموضوع	
٢٢٢	و أهدافه ، و أجره ، و حكمه ، و أسرارته ، و تاريخ تشريعه ، و مراحل وجوب الصوم قال الله تعالى :	
٢٢٧	" يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون "	١
٢٢٨	تفسير قوله تعالى : " أيّاما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين " . الآية .	٢
٢٣٠	" شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه و من كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر "	٣
٢٣٣	" يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر و لتكملوا العدة و لتكبروا الله على ما هداكم و لعلكم تشكرون "	٤
٢٣٣	" و إذا سألك عبادي فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي و ليؤمنوا بي لعلهم يرشدون "	٥
٢٣٤	و قال تعالى : " أحلّ لكم ليلة الميام الرفث الى نساءكم هنّ لباس لكم و أنتم لباس لهنّ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم و عفا عنكم فالآن باسروهنّ و ابتغوا ما كتب الله لكم و كلوا و اشربوا حتّى يتبين لكم الخيطة الأبيض من الخيطة الأسود من الفجر ثمّ أتّموا الصيام الى الليل "	٦

رقم المفحة	الموضوع	
٢٣٦	" و لا تباشروهنَّ و أنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبيِّن الله آياته للناس لعلَّهم يتَّقُونَ "	٧
	الفصل الخامس :	
	مسؤولية الحجَّ	
٢٣٧	كلمة عامة في حقيقة الحجَّ و أهدافه و أسراره	١
٢٤٠	من معاني الحجَّ اللغوية و الشرعية	٢
٢٤١	تاريخ بناء الكعبة	٣
٢٤٥	ان الكعبة أول بيت مبارك وضع في الأرض لعبادة الناس لله ربَّ العالمين	٤
	وجوب الحجَّ	٥
٢٤٦	قال الله تعالى : " ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع اليه سبيلا و من كفر فان الله غني عن العالمين "	
٢٤٦	من واجبات الحجَّ : السعي بين الصفا و المروة	٦
٢٤٨	قال تعالى : " إِنَّ الصفا و المروة من شعائر الله " الآية	
	بيان رحلة الحجَّ و أحكامه في سورة البقرة قال الله تعالى :	٧
٢٥٠	١ - " وأتموا الحجَّ و العمرة لله "	
٢٥٢	٢ - " فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي "	

رقم الصفحة	الموضوع
٢٥٤	٣ - " و لا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله "
٢٥٤	٤ - و قوله تعالى :
	" فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك "
٢٥٥	٥ - " فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى فمااستيسر من الهدي " .
٢٥٥	٦ - " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج و سبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة "
٢٥٥	٧ - قال البخاري : " باب قول الله تعالى :
	" ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام و اتقوا الله و اعلموا أن الله شديد العقاب "
٢٥٦	٨ - " الحجُّ أشهر معلومات فمن فرض فيهنَّ الحجَّ فلا رفث و لا فسوق و لا جدال في الحجَّ "
٢٥٩	٩ - " و ما تفعلوا من خير يعلمه الله "
٢٥٩	١٠ - " و تزودوا فان خير الزاد التقوى و اتقون يا أولي الألباب "
٢٥٩	١١ - قال البخاري :
	باب " ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم " .
٢٥٩	١٢ - للحجَّ ركنان أساسيان ، وقوف عرفة و طواف الإفاضة ، بيان الركن الأوَّل ، قال الله تعالى :
	" فإذا أفضتم من عرفات "
٢٦١	١٣ - " فاذكروا الله عند المشعر الحرام "
٢٦١	١٤ - " و اذكروه كما هداكم و ان كنتم من قبيله لمن الضالين " .

رقم الصفحة	الموضوع
٢٦١	١٥ - " ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس "
٢٦٢	١٦ - " و استغفروا لله إِنَّ الله غفور رحيم "
٢٦٢	١٧ - " فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا و ما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا و الله سريع الحساب " .
٢٦٣	١٨ - " و اذكروا الله في أيام معدودات " .
٢٦٣	١٩ - " فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه و من تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى و اتقوا الله و اعلموا أنّكم إليه تحشرون " .
٢٦٤	قول النبي (صلى الله عليه و سلم) : " لتأخذوا عني مناسككم "
٢٦٤	من خطبة رسول الله صلى الله عليه و سلم في حجة الوداع ، و وصيته الى أمته
٢٦٥	تكملة رحلة الحجّ و أحكامه من سورة الحجّ و بيان ركن الحجّ الثاني و هو طواف الإفاضة ، قال تعالى : " و أذن في الناس بالحجّ يأتوك رجالا و على كلّ ضامر يأتين من كلّ فج عميق ليشهدوا منافع لهم و يذكر اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها و أطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا نفثهم و ليوفوا نذورهم و ليطوّفوا بالبيت العتيق " (سورة الحجّ - ٢٧ - ٢٩) وجوب طواف الوداع بعد الحجّ

رقم المفحة	الموضوع
	### الباب الثالث ###
	مسؤولية المسلم نحو أعضاء أسرته
٢٦٨	المدخل مقدمة الباب
٢٦٨	حاجة البشرية الى نظام الأسرة الشرعي ١
٢٦٨	نظام الأسرة في الاسلام هو النظام الطبيعي الفطري ٢
٢٦٩	أهميّة الأسرة ٣
٢٧٠	الحاجة الى الزواج ٤
٢٧١	حث الاسلام على الزواج ٥
٢٧٢	مراحل تأسيس الأسرة بطريقة فطرية مشروعة المرحلة الأولى : ٦
٢٧٣	مرحلة الاختيار و الاقتناع والرضا
٢٧٥	جواز النظر الى وجه المرأة و كفيها لمن يريد تزوجها المرحلة الثانية :
٢٧٦	مرحلة الخطبة ، و ضرورة رضا المرأة و رضا وليها المرحلة الثالثة :
٢٧٧	مرحلة العقد الشرعي

رقم الصفحة	الموضوع	
	الفصل الأول :	
	مسؤولية الزوج نحو زوجته	
٢٧٩	حقوق الزوجات في القرآن بالأجمال	١
٢٨٠	مماثلة الحقوق بين الزوجين ، قال تعالى : " و لهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف و للرجال عليهنّ درجة "	٢
٢٨٥	وجوب النفقة و الكسوة و السكنى على الزوج لزوجته بالمعروف	٣
٢٨٦	انقاذ الاسلام المرأة من مظالم الجاهلية و اعطاءه اياها حقوقها المشروعة و أمره بالعشرة الحسنة	٤
٢٨٩	وجوب أداء المهر كاملا الى الزوجة و النهي عن أكله الا بإذنها راضية	٥
٢٩٠	وجوب العدل بين الزوجات بقدر الاستطاعة	٦
٢٩٢	تحديد الاسلام عدد الطلاق سداً باب الظلم على المرأة فيه	٧
٢٩٤	هداية القرآن الكريم و رسول الله صلى الله عليه و سلم في الطلاق المسنون	٨
/٢٩٥	تتمة الفصل	٩
الى	إكرام الاسلام المرأة و مبادئه الاصلاحية في شؤونها	
٢٩٧	في احدى عشرة نقطة بالايجاز	

رقم المفحة	الموضوع	
	الفصل الثاني :	
	مسؤولية الزوجة نحو زوجها	
٢٩٨	أهم ما يجب على الزوجة نحو زوجها هو احترامه و طاعته في غير معصية ، و الحفاظ على أمانته في نفسها و ماله و أولاده . قال الله تعالى :	١
	" الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم فالمالجات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله "	
٢٩٩	" فالمالجات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله "	٢
٣٠٢	" و اللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن و اهجروهن في المضاجع و اضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا "	٣
٣٠٢	" و اهجروهن في المضاجع "	٤
٣٠٣	" و اضربوهن "	٥
٣٠٥	" فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا "	٦
	خاتمة الفصل :	
٣٠٦	من الواجبات المشتركة بين الزوجين الإخلاص و الأمانة	١
٣٠٦	وجوب الثقة المتبادلة بين الزوجين	٢
٣٠٧	وجوب التعاون المشترك بين الزوجين في شؤون البيت	٣
٣٠٨	من واجبات الزوج الخاصة	٤

رقم الصفحة	الموضوع	
٣٠٨	من أهم واجبات الزوجة الخاصة : طاعة الزوج و رعاية البيت	٥
٣٠٩	وجوب الاقتصاد	٦
٣١٠	من نصيحة الأب الصالح لابنته المألحة	٧
٣١١	من وصية الأم لابنتها المطيعة	٨
٣١١	واجب الزوج تجاه زوجته المألحة المطيعة	٩
	الفصل الثالث :	
	مسؤولية الوالدين نحو الأولاد	
٣١٢	مسؤولية الرضاعة و الانفاق و الحضانة	١
٣١٥	الأم أحقّ بحضانة الولد	
/٣١٧	مسؤولية التربية و التعليم	٢
٣٢٤		
٣٢٤	وجوب العدل بين الأولاد	٣
٣٢٦	وجوب الكسب الحلال للأولاد و تحذير القرآن الكريم عن الخيانة و الوقوع في الحرام و المعصية لأجل الافراط في حبهم	٤
	مسؤولية الأولاد نحو الوالدين	
٣٣٠	إنّ حقّ الوالدين على الأولاد كبير و عظيم ، لأنّه يلي حقّ الله الخالق المنعم . تفسير قوله تعالى : " و قضي ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه و بالوالدين إحسانا	١

رقم المفحة	الموضوع
	<p>إِذَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا "</p> <p>(سورة الإسراء - الآية : ٢٤/٢٣)</p>
٣٣٦	<p>حقوق الوالدين عظيمة ، ولكن حقُّ الأمِّ أعظم قال تعالى : " وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ يَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْهِ إِلَيَّ الْمَصِيرَ " .</p> <p>(سورة لقمان ، الآية : ١٤)</p>
٣٣٧	<p>طاعة الوالدين واجبة مالم تكن معصية لله ربِّ العالمين لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق</p>
٣٣٩	<p>جزاء المؤمنین الصالحین الشاكرین لربِّهم البـارِّين بالوالدين المحسنين الى الأولاد ، التائبين الى الله التوَّاب ، الثابتين على دينهم الاسلام</p>
٣٤٢	<p>وعيد القرآن الكريم للأشقياء العاقين للوالدين العاصين لربِّهم عزَّ و جَلَّ</p>
٣٤٤	<p>وجوب صلة الرحم</p> <p>الفصل الخامس :</p> <p>مسؤولية المسلم نحو جاره</p>
/٣٤٦	<p>تفسير قوله تعالى :</p>
٣٤٨	<p>" و اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً و بالوالدين</p>

رقم الصفحة	الموضوع
	احسانا و بذى القربى و اليتامى و المساكين و الجار ذى القربى و الجار الجنب و المصاحب بالجنب و ابن السبيل و ما ملكت أيمانكم ، إنَّ الله لا يحبُّ من كان مختالا فخورا " (سورة النساء - الآية : ٣٦)
	### خاتمة البحث ###
٢٤٩	البحث بالاجمال ١
٢٥٠	مسؤولية المسلم نحو أعضاء نفسه ٢
٢٥٣	مسؤولية المسلم في محاسبة النفس و استعداده لحساب اليوم الأكبر ، و عدم الاغترار بالدنيا و زينتها ٣
٢٦٠	ففيروا أيها المسلمون حالكم ، و اعبدوا ربكم وحده و استقيموا اليه ٤
/٢٦٤ ٢٦٧	التوصيات و العزم ٥
/٢٦٨ ٢٩١	دليل المراجع
	#####